



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشيعة الاثنا عشرية بين التشبيه والتعطيل عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:

سلطان بن مطر بن ساعد السحري

الرقم الجامعي: ٤٣٢٨٨٠٥٩

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور/ أحمد قوشتي عبدالرحيم مخلوف

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة "الشريعة الاثنا عشرية بين التشبيه والتعطيل" عرض ونقد.

وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، وتشتمل على مقدمة وتمهيد عن الشريعة الاثني عشرية وعن تعريف التشبيه والتعطيل، وقد قمت بتقسيم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: وهو إثبات أن متقدمي الشيعة كانوا مشبهه في باب الأسماء والصفات، فهم يشبهون الخالق بال مخلوق، وأنهم مع هذا التشبيه فقد حكموا على مخالفهم وهم المعطلة بالتضليل، والتبرئة، والتكفير.

وأما الفصل الثاني: فيتناول حال متأخري الشيعة مع أسماء الله وصفاته، وأثبتنا فيه أن متأخريهم كانوا معطلة فهم يعطلون الباري عن صفاته، وذكرنا موقفهم من المشبهة، وأنهم يرون تكفير وتضليل من قال بالتجسيم والتشبيه الحقيقي، وأما من قال بالتجسيم والتشبيه اللفظي فإنه لا يكفر.

ثم ذللنا البحث بخاتمة وكشافات علمية متنوعة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اسم الطالب: سلطان بن مطر بن ساعد السحري

اسم المشرف: د/ أحمد بن قوشتي بن عبدالرحيم

A summary of the thesis

The Title: "*Shia Twelver between resembling and obstructing*" presentation and criticism .

It is an introduction to the Master's degree which includes an introduction and pave the Twelver Shiites. the definition of resembling and obstructing . Therefor I have divided the research into two chapters:

* Chapter One: It is to prove that the Former Shiites were resembling in the matter of Names and Attributes, they are resembles the creature to the creator, and with this analogy they has a delusion. disown and disbelief judgement on there converses. although they were the obstructers .

* The second chapter deals with the case of the Late Shiites with the names of ALLAH and His attributes, and proved that the formers were obstructers . They obstructs THE ALL MIGHTY ALLAH off his attributes, as we have stated their position from the resemblers. and they considered those who believes in incarnation and obstruction are disbelievers and delusions .

* Then I followed that by a conclusion and a variety of indexes .

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may Allah bless him and bless our Prophet Muhammad and upon his family and companions and followed them in truth until the Day of Judgment.

The student's name: Sultan bin Mattar bin Saaide AL-Saahari

Name of Supervisor: Dr / Ahmed Abdul Rahim Qoshti



شكر وتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
وعظيم سلطانك، اللهم لك الحمد علي تيسيرك وتسهيلك، فبفضلك وإحسانك تتم
الصالحات فلك الحمد في الأولى والآخرة •

وبعد:

فلا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى وكلية الدعوة وأصول
الدين على ما يبذلونه لطلبة العلم من تشجيع وتسهيل لنيل المعارف، وأسأل الله لهم
مزيداً من التوفيق.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لشيخنا المفضل الدكتور / أحمد قوشتي عبدالرحيم
المشرف على هذه الرسالة والذي منحني من علمه ووقته وتوجيهاته النافعة
وإرشاداته الصائبة الشيء الكثير، فجزاه الله خير الجزاء ونفع الله بعلمه ووقته وماله
وأهله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لزوجتي التي منحني الوقت والراحة لإكمال هذا
الطريق، وأترحم على والدتي التي كانت تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، لكن كان أمر
الله قدراً مقدوراً فرحمك الله يا أمه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه

وسلم •

الباحث

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١).

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار (١).

لقد بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ الرسالة

(١) سورة آل عمران الآية: (١٠٢)

(٢) سورة النساء الآية: (١)

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٧٠-٧١)

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، وهي تشترع بين يدي كل حاجة، وهي مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أخرجها مسلم في كتاب الجمعة، (٢/٥٩٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة، (١/٦٥٩) والنسائي في كتاب الجمعة، (٢/١٠٥)، وابن ماجه في كتاب النكاح، (١/٦٠٩) وغيرهم. وانظر تخریجها للشيخ الألباني في رسالة مستقلة بعنوان (خطبة الحاجة التي كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها أصحابه)٠

وأدي الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة؛ فدعا أمته إلى توحيد الله تعالى، ووصفه بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص والعيوب، والتشبيه، والتمثيل، وقد سار أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين على ذلك، فأمنوا بكل ما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا سيما فيما يتعلق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة، وإخلاص العبادة له ﷻ فاتفقت كلمتهم على إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله، فلم يخوضوا في كفيئتها المفضية إلى التمثيل والتعطيل، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وقد سلك هذا الطريق كل من اقتفى أثرهم، ووسعه ما وسعهم من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

إلا أن سنة الله التي لا تتبدل، ولا تتغير في وجود الافتراق والاختلاف في هذه الأمة، فوجد أهل أهواء وبدع، خاضوا بعقولهم الفاسدة في ذات الله وصفاته وأفعاله، فقالوا بمقالات فاسدة تقشعر منها الجلود لهولها وفظاعتها، وكان على رأس هذه الطوائف والفرق طائفة الشيعة، التي جمعت بين التشبيه والتعطيل.

فهذا عبدالله بن سبأ اليهودي الذي دخل في الإسلام نفاقا، وطلبا لتفريق المسلمين وإفساد عقائدهم، فأخذ يدعو إلى مقالات التشبيه الكفرية، فأله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووصفه بصفات الخالق ﷻ، وقال بالحلول الذي هو لازم التشبيه الذي قال به، فنجم عن هذا القول خروج طوائف من الروافض الغلاة، فأخذوا يتكلمون في ذات الله وصفاته وكيفية ذلك بعقولهم؛ فرفعوا المخلوق إلى منزلة الخالق حتى صيره إلهًا، وأنزلوا صفات الخالق حتى صيره إنسانا.

وهذه المرحلة من المذهب الشيعي هي محط رحلنا في هذا البحث؛ إذ إن هذا البحث وإن ذكر فيه التعطيل عند الشيعة المتأخرين، إلا أن أساسه إثبات التشبيه عند المتقدمين الأوائل من الشيعة.

فتشبيه الخالق بالمخلوق مرحلة مرت على الفكر الشيعي، وتغلغت فيه، ويظهر ذلك جليا فيما سيطر من أقوال محكية عن رواد الفكر الكلامي في المذهب الشيعي

أمثال: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ومؤمن الطاق، وعلي بن منصور، وعلي بن اسماعيل بن ميثم، ويونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، وغيرهم من مفتقة المذهب.

وهذا التشبيه المذكور عن هؤلاء هو في حقيقته تعطيل، إذ لا يتصور تشبيه بلا تعطيل، فالتشبيه والتعطيل بينهما تلازم لا ينفك، وهما جناية على نصوص الصفات، ومطيتان تطاول بهما أهل البدع على النصوص *

فمقالات هؤلاء دائرة بين التشبيه والتعطيل لا توجد لهم مقالة متوسطة بينهما، فهم أهل شرك وتشبيه وتعطيل ورفع للمخلوق إلى منزلة الألوهية ووصفه بصفات الله ﷻ والعكس من وصف الله بصفات خلقه، إلا أن التشبيه كان عند الأوائل من الشيعة والتعطيل هو ما استقر عليه المتأخرون منهم *

وقد دفعني لدراسة هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها:

- ١- أن في هذا البحث إثبات مدى تناقض الشيعة الاثني عشرية في التنزيه، فالمتقدمون مشبهة، والمتأخرون معطلة.
- ٢- حاجة الناس الملحة اليوم إلى جمع وعرض ونقد واستجلاء عقائد الشيعة الاثني عشرية *
- ٣- أن هذا الموضوع لم يسبق أن بحث وهو "إثبات أن قدماء وأوائل الشيعة كانوا مشبهه" حسب علمي.
- ٤- إثبات تناقض مذهب الشيعة الاثني عشرية في باب صفات الله تعالى فتناقض المذهب دليل على فساده، وهو ما أردنا إثباته هنا.

ويشمل هذا البحث على:

التمهيد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المقصود بالتمثيل والتشبيه وحقيقته، والتعطيل وحقيقته.

و يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل.

المطلب الثاني: مفهوم التعطيل.

المبحث الثاني: تعريف موجز بالاثني عشرية.

الفصل الأول: التمثيل والتشبيه عند الاثني عشرية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات التمثيل والتشبيه عند المتقدمين.

المبحث الثاني: موقف المتقدمين من التعطيل.

الفصل الثاني: التعطيل عند الاثني عشرية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعطيل عند المتأخرين.

المبحث الثاني: موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه.

وأخيراً: **الخاتمة** وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا

البحث.

ولقد ذيلت الرسالة **بالفهارس العلمية** لكي يسهل الاستفادة منها وهي كالتالي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس الطوائف والفرق.

٦- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

٧- فهرس الأماكن والبلدان.

٨- فهرس الأبيات الشعرية.

٩- فهرس المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الموضوعات.

وإنّي لأمل أن أكون قد سلكت في هذا البحث المسلك العلمي، فما كان فيه من صواب؛ فهو من توفيق الله تعالى، فالتوفيق بيده سبحانه.

فالحمد له أولاً وآخراً، والشكر له ظاهراً وباطناً، حمداً وشكراً يليقان بعظمته وجلاله •

وما كان من خطأ وزلل، فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه.
والله أسأل أن يكون هذا العمل لوجهه خالصاً، وأن ينفع به، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التمهيد

وفيه مبحثان:

✿ المبحث الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل، والتعطيل.

✿ المبحث الثاني: تعريف موجز بالاثني عشرية.

المبحث الأول

مفهوم التشبيه والتمثيل، والتعطيل

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل.
- المطلب الثاني: مفهوم التعطيل.

* * * * *

المبحث الأول:

مفهوم التشبيه والتمثيل

من الملاحظ أن التشبيه قد يأتي بمعني التمثيل^(١) - من حيث الجملة إلا أنه عند التدقيق نجد أن بينهما بعض الفروق حيث إن التشبيه هو ذكر شبه أو أكثر من بعض الوجوه بين شيئين *

وأما التمثيل فهو أخص من ذلك إذ هو المطابقة التامة بين شيئين من كل وجه^(٢)، وحتى نتصور هذه التفرقة حق التصور، فلا بد أن نقف مع هذه القضية عدة وقفات، نجعلها في مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل *
- المطلب الثاني: مفهوم التعطيل.

(١) كان عنوان هذه الأطروحة في بداية عرضها على لجنة القسم "الإمامية بين التمثيل والتعطيل" ثم عدل العنوان من قبل اللجنة إلى "الشبهة الاثني عشرية بين التشبيه والتعطيل" وكانت هذه اللجنة مكونة من "دكتور/ سالم القرني رئيس قسم العقيدة- دكتور/ عبدالله القرني - دكتور/ محمد عبد الحافظ" أمد الله أعمالهم في طاعته *

(٢) انظر: الحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/٢٧٣)، وشرح الواسطية للعثيمين (١/١١١)، وفتاوى ابن عثيمين (١/١٧٩-١٨٢).

المطلب الأول مفهوم التشبيه والتمثيل

✽ أولاً: تعريف التشبيه والتمثيل:

التشبيه لغة: التمثيل وهو مشتق من فعل شبه، يقال: شبهت هذا بذاك تشبيهاً، أي مثلت به وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه.

قال ابن فارس (المتوفي سنة ٣٩٥هـ): (شبه) الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، يقال شبه وشبهه^(١)، وهو مصدر شبه يشبه تشبيهاً، وشبهه وشبهه لغتان بمعنى واحد^(٢).

وأما التشبيه اصطلاحاً: فقد عرفه ابن رشيح القيرواني (المتوفي سنة ٤٥٦هـ) في عمدته بقوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته"^(٣) ويقول السيوطي (المتوفي سنة ٩١١هـ): "٠٠٠ والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها"^(٤).

وتصارييف كلمة "شبه" جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه^(٥)، يقال: فلان شبه من فلان أي: بينهما تشابه في بعض الصفات.

(١) معجم مقاييس اللغة لأبن فارس (٣/٢٤٣) مادة: شبه".

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (١٦١٠) ولسان العرب لا منظور (٣/٥٠٤-٥٠٥) مادة "شبه"، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/٣٠٦).

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه للقيرواني (١/٩٤).

(٤) الحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/٢٧٣)، وانظر شرح الواسطية للعثيمين (١/١١١)، وفتاوى ابن عثيمين (١/١٧٩-١٨٢).

(٥) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٦/٩٠)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٥٠٤).

قال ابن الأعرابي^(١)

أَصْبَحَ فِيهِ شَبَهُ مِنْ أُمَّهِ مِنْ عِظَمِ الرَّأْسِ وَمِنْ خَرْطُمِهِ

وفي الحديث المرسل: "نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَسْتَرْضِعَ الْحَمَقَاءَ؛ فَإِنَّ اللَّبْنَ يَشْبَهُ"^(٢) وَرُوي عَنْ عَمْرٍ أَنَّهُ قَالَ: اللَّبْنُ يُشْبَهُ عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمَرْضِعَةَ إِذَا أَرْضَعْتَ غَلَامًا فَإِنَّهُ يَنْزِعُ إِلَى أَخْلَاقِهَا فَيَشْبَهُهَا، وَلِذَلِكَ يُخْتَارُ لِلرَّضِيعِ امْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ غَيْرَ حَمَقَاءَ^(٣).

ويقال: فيه شبه من هذا إذا أشبهه من بعض الوجوه، وإن كان مخالفاً له في الحقيقة قال تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾^(٤) ذكر الأزهري (المتوفي سنة ٣٧٠هـ)^(٥): "أن أهل اللغة يقولون في المتشابه المذكور في الآية: يُشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْجُودَةِ وَالْحَسَنِ"^(٦). قال أبو العالية (المتوفي سنة ٩٣هـ)^(٧): في قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾ قال: يشبه بعضه بعضاً "أي في الصورة"، ويختلف في الطعم"^(٨).

ودليلهم أول الآية: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ لأن صورته الصورة الأولى

- (١) انظر لسان العرب لابن منظور (٥٠٣/١٣)، المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن المرسي (١٩٣/٤).
- (٢) انظر السنن الكبرى للبيهقي (١١٦/٧) وقد ذكر البيهقي أنه مرسل، والمرسل ما أرسله التابعي وهو من أقسام الضعيف "انظر النكت على ابن الصلاح (٩١/١).
- (٣) تهذيب اللغة للأزهري (٥٩/٦).
- (٤) سورة البقرة آية (٢٥)
- (٥) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح الأزهري الهروي الشافعي اللغوي الأديب، من مصنفاته "تهذيب اللغة" "علل القراءات" (توفي سنة ٣٧٠هـ)، انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٦٤/١٧).
- (٦) تهذيب اللغة للأزهري (٩١/٦).
- (٧) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، "ثقه كثير الإرسال" كما قال عنه الحافظ ابن حجر، توفي سنة ٩٣ أو بعدها انظر تقريب التهذيب لابن حجر (٢١٠/١).
- (٨) تفسير ابن كثير (٦٣/١).

ولكن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب على الخلق، فلو رأيت تُفاحا فيه طعم كل الفاكهة لكان نهاية في العجب^(١).

وقد يطلق الشبيه ويراد به المثل ويعرف ذلك من سياق الكلام وقد مر معك طرف من ذلك؛ لأن المثل في اللغة هو المشابه للشيء من كل الوجوه^(٢).

فالمثل يدل على النظير، والنظير هو مناظرة الشيء للشيء، يقال هذا مثله: أي نظيره^(٣)، والمماثلة لا تكون إلا بين المتفقين. يقال: نحو كنعوه، وفقهه كفقعه، ولون كلونه، وطعم كطعمه، فإذا قيل: هو مثله على الإطلاق بدون تقييد فمعناه أنه يسد مسده وإن قُيد فليل: هو مثله في كذا، فهو مساوٍ له في ذلك القيد^(٤).

ومما سبق نخلص إلى أنه من المقرر عند أهل اللغة أن التشبيه قد يراد به التمثيل، وهو قليل^(٥)، فإذا أطلق بدون تقييد فالمراد به مشابه الشيء للشيء ومشاركته له في جميع صفاته^(٦)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾^(٧) أي: فإن آمنوا بمثل إيمانكم فقد صاروا مسلمين، يعني أن هؤلاء إن آمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم وأسلموا لله وحده فقد اهتدوا وأصابوا الحق^(٨) فأطلق "المثل" في الآية وأريد به

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٩٥/١٥).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٦١٠/١١)، ونقض تأسيس الجهمية لابن تيمية (٤٧٧/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٦/٥) مادة "مثل".

(٤) لسان العرب لابن منظور (٦١٠/١١) مادة "مثل".

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٩٦/٥) مادة "مثل".

(٦) نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية (٢٠٥/٢).

(٧) سورة البقرة الآية (١٣٧).

(٨) تفسير ابن كثير (١٩٣/١)، وتفسير ابن سعدي (١٤٨/١).

المساواة من كل الوجوه في الاتصاف بالصفات التي تحصل بها الهداية التي آمن بها المؤمنون^(١).



(١) مقاله التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر أمير (١/٧٢).

❖ ثانياً: ما الأدق في النفي، هل هو نفي التشبيه أو التمثيل:

قبل أن نتكلم عن الأدق في الاستخدام حال النفي، فإن هنالك أمراً لا بد للمتكلم في مسائل الغيبات أن يلتزمه، وهو الالتزام بألفاظ الكتاب والسنة، وذلك لأن الألفاظ كلما كانت مستقاة من الكتاب والسنة كانت أدق في التعبير وأوضح^(١).

وحيثما ترك كثير ممن تكلم في باب الغيبات هذا الأمر؛ وقع الخلاف والزلل والخطأ في هذا الباب، فنفتت الصفات عن الباري عند بعضهم^(٢) من أجل "الجسمية" والجسمية: لفظة لم تستعمل في الكتاب والسنة^(٣)، وقل مثل ذلك في "الجهة" فهي من الألفاظ التي لم ترد أيضاً في الكتاب والسنة^(٤)، والتي بسببها نفي العلو عن الله، فالتزام ألفاظ الكتاب والسنة أسلم في التعامل مع الغيبات^(٥).

إذا تقرر ذلك فنقول: إن استعمال نفي التمثيل أدق من نفي التشبيه لأمور:

"الأمر الأول: أن نفي التمثيل هو الذي ورد في القرآن الكريم، ولم يرد في القرآن نفي التشبيه، واللفظ الذي هو تقييد قرآني خير من اللفظ الذي هو تقييد إنساني. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٦).

(١) انظر: شرح الواسطية للغنيمان (٢/٢)، والاعتصام للشاطبي (٢/٢٩٣)، الرسالة للشافعي (ص ٥٠)، الإيوان حقيقته وخوارمة ونواقضة لعبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص ١٠٨).

(٢) كالجهمية والمعتزلة والاشاعرة، انظر "الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات" عبد القادر صوفي (١/٣١٧).

(٣) شرح السفارينية للعثيمين (ص ٩٦)، وأصول وتاريخ الفرق لمصطفى بن محمد (١/٣٨٢).

(٤) معارج القبول للحكمي: ١/٢٠٢، فتح رب البرية للعثيمين (ص ١٢٧).

(٥) أهل السنة لهم طريقة في التعامل مع هذه الألفاظ العامة التي لم ترد في الكتاب والسنة انظر: التدمرية لابن تيمية (ص ٦٥).

(٦) سورة الشوري الآية (١١).

الأمر الثاني: أن التشبيه لا يصح نفيه على الإطلاق لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك اتفقا فيه وإن اختلفا في الحقيقة، فله وجود، وللإنسان وجود، والله حياة، وللإنسان حياة، وهذا الاشتراك في أصل المعنى - الحياة - نوع من التشابه، لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق.

فحياة المخلوق ناقصة مسبوقه بعدم وملحوقه بفناء، وهي أيضاً ناقصة في حد ذاتها، يوماً يكون طيباً، ويوماً يكون مريضاً، ويوماً يكون متكدرًا، ويوماً يكون مسروراً وهي أيضاً حياة ناقصة في جميع الصفات، البصر ناقص، السمع ناقص، العلم ناقص، القوة ناقصة، بخلاف حياة الخالق جَلَّ وَعَلَا فإنها كاملة من كل وجه.

الأمر الثالث: أن بعض أهل التعطيل يسمون المثبتين للصفات مشبهة فإذا قلت: من غير تشبيه فهم هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة؛ ولذلك نقول: إن التعبير بقولنا من غير تمثيل أولى من التعبير بالتشبيه" (١).

وعلى كل فإن أهل العلم متفقون على أن استعمال النفي للتمثيل أدق "من التشبيه، والثاني مُخْتَلَفٌ في إطلاقه بين أهل العلم، والأولى أن لا يُسْتَعْمَلَ التشبيه (١) إلا في معنى التمثيل؛ حتى لا يَظُنُّ الظَّانُّ - ممن لا يفهم طريقة أهل السنة والجماعة - أنهم يتساهلون في مسألة التشبيه، فيَصَدِّقُونَ أنهم مُشَبَّهَةٌ، أو يُوَكِّدُونَ أنهم مُشَبَّهَةٌ.

وهذا وإن استعمله (١) بعض أهل العلم كابن تيمية وغيره؛ ولكن أرادوا منه

(١) المجلي للكواري: ص ٢٠٦ وأصل الكلام سؤال علي ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فكان هذا الجواب •

(٢) جاء في "المعجم الفلسفي أن «التشبيه هو تصور الآلهة في ذاتها وصفاتها على غرار الإنسان» وأن «المشبهة

هم قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثله بالمحدثات" المعجم الفلسفي معجم اللغة العربية (ص ٤٤)

(٣) أي لفظة التشبيه.

حَقًّا، وهو أن لا تُنْفَى الصفات^(١).

ولكن من حيث الاستعمال لا تُسْتَعْمَلُ دون تفصيل، فلا يقال: إن هناك تشبيهاً جائزاً أو أن من التشبيه ما هو حق.

لذلك لفظ التشبيه لم يأت في الكتاب والسنة مَنْفِيًّا، وإنما جاء نفي المثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، ولكن لا نستعمل لفظ التشبيه، فالله عَزَّ وَجَلَّ ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وكذلك ليس له شبيه عَزَّ وَجَلَّ، وأهل التشبيه هم أهل الضلال^(٣).

وأهل التشبيه سواء كلياً أو جزئياً مذمومون عند الله وعند أهل الحق •



(١) وذلك لأن هناك تشابهاً بين الموجودات في المعاني المطلقة الموجودة في الأذهان التدمرية لابن تيمية (ص ٦٨).

(٢) سورة الشوري الآية (١١).

(٣) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ال الشيخ (ص ٥٠).

❖ ثالثاً: أقسام التشبيه:

للتشبيه قسمان:

القسم الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا قليل، وهو باطل، قال أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ)^(١): "من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله"^(٢)

وهو المنفي في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾^(٤)، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٦)، وما أشبه ذلك من الآيات التي سبقت.

القسم الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق، وهو كثير جداً في الناس^(٧)، ولا يزال باقياً ومتجدداً وهذا التشبيه يكون ولو في حق من الحقوق، فمثلاً: المشركون مشبهة؛ حيث جعلوا أصنامهم آلهة فشبهاها بالله تعالى، وكذلك العابدون الذين يعبدون غير الله، أو يجعلون للمخلوق ما هو خالص حق الله - ولو كان جزئياً - فإنهم يكونون مشبهة في ذلك، وهذا أقبح التشبيه وأخبثه، وصاحب هذا التشبيه إذا مات عليه فإن الجنة عليه

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة (١٦٤هـ)، كان آية في العلم والحفظ والعبادة، نصر السنة ورد على المعتزلة وصبر في المحنة، وله عدة مصنفات، توفي سنة (٢٤١هـ)، وصلى عليه مئات الألوف، انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ١٧٧).

(٢) إبطال التأويل (١/ ٤٣)، درء التعارض لابن تيمية (٢/ ٣٢)، مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٥٩)، المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد بن حنبل في العقيدة للأحمدي (١/ ٣٦٤).

(٣) سورة الشوري الآية (١١).

(٤) سورة البقرة الآية (٢٢).

(٥) سورة مريم الآية (٦٥).

(٦) سورة الإخلاص الآية (٤).

(٧) ويكثر عند الشيعة والصوفية، انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٤٢٣)، الإنحرافات العقديّة للزهراني (ص ٥٤٤).

حرام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، وقال أيضاً: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢) فهذا هو الشرك الأكبر^(٣) الذي هو تشبيه المخلوق بالخالق تعالى وتقدس، وهذا جاء تفصيله في القرآن كثيراً، ولكن أصحاب المقالات والمتكلمين أعرضوا عن هذا^(٤)، ومع إعراضهم عنه فهو من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الأمة الإسلامية^(٥)، وهذا أمر معلوم يعلمه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد^(٦).

وهذا التقسيم يجعلنا نقول: إن التشبيه لا يزال باقياً في الأرض ولن يرفع حتى قيام الساعة قال ﷺ "ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان..."^(٧).

(١) سورة النساء الآية (٤٨).

(٢) سورة المائدة الآية (٧٢).

(٣) الشرك الأكبر هو صرف شيء من خصائص الله للمخلوق، بخلاف الأصغر فهو إما وسيلة للأكبر، أو ما ورد في النصوص أنه شرك لكن علم من نصوص آخر أنه لا يخرج من الملة والتعريف الثاني هو قول الجمهور أنظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢٠٦/١) وشرح المعتصر على كتاب التوحيد للخضير (ص٥٠).

(٤) شرح الواسطية للغنيمان: ص٩، فتح رب البرية لابن عثيمين (ص١٠٨).

(٥) الانحرافات العقدية لبخيت الزهراني (ص٧٣٧).

(٦) هذا اقتباس من آية وجمهور أهل العلم على جوازه في الجملة إذا كان لمقاصد لا تخرج عن المقاصد الشرعية تحسینا للكلام، أما إن كان كلاماً فاسداً فلا يجوز ككلام المبتدعة وأهل المجون والفحش، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧/٦).

(٧) أبو داود في السنن برقم (٤٢٥٢) وابن ماجه في السنن برقم (٤٠٠٠) وأخرجه أحمد في المسند (٥/٢٧٨)، والحاكم في المستدرک (٤/٤٤٩)، وأبو بعيم في الحلية (٢/٢٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٦/٥٢٦). قال صاحب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص١٢٩) بسند صحيح (على شرط مسلم).

❖ رابعاً: مفهوم التشبيه عند أهل السنة والجماعة:

منطلقات أهل السنة والجماعة في التكلم في الأمور الغيبية هي الكتاب والسنة، ومن الأمور الغيبية التي حصل فيها الكلام بين الفرق مسألة صفات الله، وكان منطلقهم في هذه المسألة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) يقول الهراس: "هذه الآية المحكمة من كتاب الله ﷻ هي دستور^(٢) أهل السنة والجماعة في باب الصفات، فإن الله ﷻ قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفي عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سمعا وبصرا، فدل هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقا، كما هو شأن المعطلة، ولا إثباتها مطلقا كما هو شأن الممثلة؛ بل إثباتها بلا تمثيل".^(٣)

فأهل السنة لا يصفون الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن ثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات والخصائص^(٤)، مثل أن يقال: يد الله مثل يد المخلوقين، وسمع الله مثل سمع المخلوقين ونحو ذلك^(٥)، أو يعطي لمخلوق شيء من خصائص الخالق التي لا يماثلها شيء من خصائص المخلوق.

هذا هو المعنى الحق الذي أراده أهل السنة في معني التشبيه، إلا أن هذا الكلام

(١) سورة الشوري الآية (١١).

(٢) "الدستور" كلمة فارسية بمعنى قانون أو الأساس، انظر: تعليقات علوي السقاف على الواسطية (ص ٦٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهرايس (ص ٦٩) والمراد بنفي الإطلاق القول بالتشبيه.

(٤) انظر: فتاوي ابن تيمية: ٦/٣٥، ٣٦، ودرء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية (٤/١٤٦ و ٧/٧٢٣)، منهاج السنة لابن تيمية (٢/٥٩٤، ٥٩٦)، وفتح رب البرية للعثيمين (ص ٥٥).

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية: ٢/٥٣ فتح رب البرية لابن عثيمين (ص ٥٦).

لم يرق للمعطلة، فوصفوا أهل السنة بالمشبهة^(١)، فانبرى الأئمة من أهل السنة لدفع هذه الفرية الممقوته، وضربوا لذلك أمثلة ذكروا فيها أن التشبيه إنما يكون بإعطاء الخالق ما يخص المخلوق من الصفات بتمثيله لهم، لا بنفي صفات الله تعالى .

فهذا إسحاق بن راهويه (المتوفي سنة ٢٣٨هـ)^(٢) يقول فيما رواه الترمذي في سننه: "إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"^(٣).

فبين إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللهُ بما ذكره معني التشبيه المنفي عن الله تعالى وهو: تمثيل الله بخلقه، بجعل صفاته كصفات المخلوق أو كيفها بكيفية مفضية إلى التمثيل .

أما إثبات الصفات مع نفي التمثيل فليس تشبيهاً، بل هو جمع بين الإثبات

(١) انظر: دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي (ص ١٢٥)، مقدمة الكوثري على تبين كذب المفتري لابن عساكر (ص ١٤).

(٢) هو الإمام الكبير سيّد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن راهويه، ولد سنة (٢٦١هـ) أشهر من أن يعرف به. سئل عنه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فقال: مثل إسحاق يسأل عنه؟ إسحاق عندنا إمام. وقال أيضاً: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً. وقال الإمام النسائي: ابن راهويه أحد الأئمة، ثقة مأمون. سمعت سعيد بن ذؤيب يقول: ما أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق. وقال الإمام الحفاظ المتقن ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين، لأقرّوا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٨/١١)، التاريخ الكبير للبخاري (٣٧٩/١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٩٩/١)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤٣٣/٢)، البداية والنهاية لابن كثير (٣١٧/١٠)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢١٦٠/١).

(٣) سنن الترمذي كتاب الزكاة (٥١/٣)، والعلو لذهبي (١٢٠-١٢١)، واجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم (ص ٩٦) وأقاويل الثقات في تأويل مرعي الكرمي (١٣٩).

والتنزيه الموافق لوحي الله، وهذا الفعل وهو الجمع بين الإثبات والتنزيه ليس ممتنعاً؛ وذلك لأن الله جمع بين ذلك في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه و﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ عن التشبيه فقال: "من قال بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي فقد شبه الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾" (١).

وهذا الإمام الدارمي (المتوفي سنة ٢٨٠هـ) (١) يؤكد ما قرره العلماء من قبله في رده على بشر المريسي (المتوفي سنة ٢١٨هـ) (٢)، الذي يقول: "إنَّ إثبات صفة الاستواء يستلزم منها التشبيه فرد عليه الدارمي: بأن التشبيه هو الذي يقول فيه المشبه في صفة الله كذا على كذا، أو كمخلوق على مخلوق، ولكن كريم خالق غير مخلوق على عرش عظيم مخلوق (٣)، فكأنه يقول مقولة الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ الشهيرة حينما سأله رجل فقال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (٤).

(١) إبطال التأويل (٤٣/١)، درء التعارض لابن تيمية (٣٢/٢)، مدارج السالكين لابن القيم (٣/٣٥٩)، المسائل والرسائل المروية عن الامام إحمد بن حنبل في العقيدة للاحمدي (١/٣٦٤).

(٢) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ الناقد، له كتاب "الرد على المريسي" من أعظم كتب الردود في الإسلام توفي سنة ٢٨٠هـ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٩/١٣)، شذرات الذهب للعكري (١٧٦/٢).

(٣) بشر بن غياث بن أبي كريمة بن عبدالرحمن المريسي المعتزلي المبتدع الضال، كان أبوه يهودياً، تنسب إليه طائفة المريسية من المعتزلة، مات سنة ٢١٨هـ، ميزان الاعتدال للذهبي (١/٣٢٢)، وفيات الأعيان لأبن خلكان (١/٢٧٧)، الأعلام للزركلي (٢/٤١)، رد الدارمي على بشر المريسي (١/٤٢٧).

(٤) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/٤٢٧).

(٥) قال شيخ الإسلام في الفتاوي: "وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه" ٣٦٥/٥، وقد أورده الحافظ في الفتح من قول مالك: ٤٠٦/١٣ وجود أحد أسانيده، وأما حديث أم سلمة فأخرجه اللالكائي في شرح السنة (٣/٣٩٧) بسند ضعيف، أنظر: تخریج

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفي سنة ٧٢٨هـ)^(١) يقرر ويؤكد ما أكده العلماء من قبله في معني التشبيه فيقول: "ومن قال: له علم كعلمي، وقوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضا كرضائي، أو يدان كيدائي، أو استواء كاستوائي، كان مشبها لله بالحيوان، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل"^(٢).

فالتشبيه الذي نفاه هؤلاء الأئمة، إنما هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه، أو ما كان من خصائص المخلوقين، فمن قال: له يد كيدي، أو قدم كقدمي وغير ذلك من الصفات الخاصة بالله فهو مشبه.

ويدخل في التشبيه - أيضا - وصف الله تعالى بصفات النقص الخاصة بالمخلوقين التي ينزه عنها البارئ عَلَّيْكَ، كوصفه بضد صفات الكمال كالسنة والنوم واللغوب والعجز ونحو ذلك من صفات النقص التي يجب تنزيه الله عنها، لما فيها من النقص المضاد لاتصافه تعالى بصفات الكمال الواجبه له تعالى.^(٣)

ومن التشبيه أيضا تشبيه المخلوق بالخالق وهو أصل الشرك، وقد نتج عن هذا التشبيه عبادة الأصنام والقرآن فيه كثير من الآيات في إبطال أن يكون في المخلوقات ما يشبه الرب تعالى، أو يماثله قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) وقال أيضا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٥) فهو لاء جعلوا

= أحاديث شرح العقيدة الطحاوية للألباني (ص ٣١٣).

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام، ابن تيمية النميري الحراني، الإمام الفقيه، المجتهد، المحدث، الحافظ، المفسر، الأصولي، الزاهد، شيخ الإسلام، علم الأعلام، أفتى ودرّس وهو دون العشرين، وله مئات التصانيف، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/٣٨٧)، الدرر الكامنة لابن حجر (١/١٥٤).

(٢) الفتاوي لابن تيمية (١١/٤٨٢).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (٢/٥٩٥-٥٩٦).

(٤) سورة البقرة الآية (٢٢).

(٥) سورة البقرة ١٦٥ للآية تقديران عند العلماء، أنظر فتح المجيد (١/٥٥٣).

المخلوق مثلاً للخالق، فالند^(١) الشبه يقال: فلان ند فلان ونديده أي: مثله وشبهه ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَنْ قَالَ لَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ أَجْعَلْتَنِي اللَّهُ نَدًا^(٢) "وعلى ما سبق ذكره من أقسام التشبيه فكلا القسمين وما يندرج تحتها من أنواع كلها مذمومة، وليست من قول السلف في شيء".

وخلاصة قول أهل السنة في فهم موقفهم من التشبيه، أن الأمور الغائبة لا تفهم إلا بقدر مشترك مع الأمور المشاهدة، وأن هذا التشابه مطلق لا وجود له في الخارج، إنما مكانه في الأذهان، وأن هذا التشابه يختلف عند التخصيص وعند الإضافة قال ابن تيمية: "والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد مع العلم بالفارق المميز وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد"^(٣)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره"^(٤).

(١) لا يطلق الند على الشيء إلا بقيد: ١- أن يكون مثيله ٢- أن يكون مناوياً، لسان العرب لابن منظور (٤١٣/٣).

(٢) أحمد المسند ١/ ٢١٤، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٨٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٩٨٨)، وذكره الالباني في صحيحة برقم (١٣٩).

(٣) التدمرية لابن تيمية (ص ٩٧).

(٤) المصدر السابق (ص ٢١).

❖ خامساً: مفهوم التشبيه عند الشيعة الاثني عشرية:

إن من الأمور المقررة عند العلماء أن هنالك أسماء وألفاظاً اختلفت اصطلاحاتها عند أصحابها كـ "التشبيه والتوحيد والتنزيه" فكل طائفة تعني من هذه الأسماء ما لا تعنيه غيرها من المعاني، فالتوحيد مثلاً: له معنى عند الجهمية ومعنى عند المعتزلة ومعنى ثالث عند الأشاعرة، فالقوم في تعريفه على اختلاف كبير، فالجهمية ترى أن التوحيد نفي الأسماء والصفات، والمعتزلة ترى أن التوحيد هو إثبات الأسماء دون الصفات، وأما الأشاعرة فأثبتوا الأسماء وبعض الصفات^(١)، وقل مثل ذلك في اختلافهم في التشبيه فهم في تعريفه على طرائق قدا^(٢)، إلا أن الدارس لتعريف التشبيه عند الشيعة يجد له مرحلتين:

• المرحلة الأولى: معناه عند الشيعة المتقدمين

• المرحلة الثانية: معناه عند الشيعة المتأخرين

• المرحلة الأولى: (التشبيه عند قدماء الشيعة):

إذا نظرنا إلى التشبيه عند قدماء الشيعة نجد أن له صورتين:

الصورة الأولى: تشبيه المخلوق بالخالق، فالشيعة في هذا الجانب لهم قصب السبق في ذلك بين طوائف المسلمين، فشيخهم عبدالله بن سبأ هو أول من نادى به^(٣)، ويظهر هذا جلياً عندما ادعى ألوهية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول الجوزجاني

(١) الأشاعرة على طرائق شتى في ما يثبت وما لا يثبت لله، إلا أن الذي استقر عليه مذهب الأشاعرة تأويل ما عدا الصفات السبع المعروفة عندهم، انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/١٠٩٥).

(٢) وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: {كنا طرائق قدا} قال: أهواء مختلفة. الدر المشور للسيوطي (٢٢/١٥).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: ص١٥، وعبدالله بن سبأ للعودة (ص١١٩).

المتوفي ٢٥٩ هـ^(١): "ثم السبئية اذ غلت في الكفر، فزعمت أن علياً إلهها، حتى حرقهم بالنار إنكاراً عليهم واستبصاراً في أمرهم حين يقول:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت نارى ودعوت قنبراً^(٢)

وقال البغدادي (المتوفي سنة ٤٢٩ هـ)^(٣): "أما السبئية فإنها دخلت في جملة الحلولية لقولهم بأن علياً صار إلهاً بحلول روح الإله فيه"^(٤)

وقد بدأ القول بالتشبيه في الإسلام على أيدي الغلاة من الشيعة يقول الشهرستاني: "وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة"^(٥)، بل إن الشهرستاني (المتوفي سنة ٥٤٨ هـ)^(٦) اعتبر "التشبيه" هو أحد البدع الأربع

(١) هو ابراهيم بن يعقوب الدمشقي، محدث الشام، وأحد الثقات الحفاظ، نسبة إلى "جوزجان" وهي منطقة في خراسان مات سنة (٢٥٩ هـ)، وله مصنفات منها: الجرح والتعديل، والضعفاء، أنظر الإعلام للزركلي (٧٦/١)، معجم المؤلفين (١/١٢١).

(٢) انظر: كتاب ابن سبأ للعودة (ص ٢٠٦).

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أحد أعلام الشافعية، أتقن علوماً متعددة، له مؤلفات كثيرة، كان البغدادي ذا مال كثير، أنفق على العلم والحديث، ولم يكن يسعى بعلمه ليكسب مالا. صنف في العلوم المختلفة، وأكثر مصنفاته في علوم الدين، ومنها: الناسخ، والمنسوخ، والفرق بين الفرق، وأصول الدين مات بإسفرايين سنة (٤٢٩ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/٢٠٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧٢/١٧).

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٤١).

(٥) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٢).

(٦) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: "الفيلسوف المتكلم"، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تحبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرته مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام "من كتبه الملل والنحل، و" نهاية الإقدام في علم الكلام ← =

المشهوره عندهم^(١).

وقد اعتنقه كثير من الغلاة وصار هو والتجسيم^(٢) من عقائدهم الرئيسية، بل " كان التجسيم مبدأً مشتركاً بين جميع فرق الغلاة، والعلة في اجتماعهم عليه هو أنهم ركزوا اهتمامهم في الارتفاع بالإنسان مرة، حتى يصير إلهاً والنزول بالإله حتى يصير إنساناً فعقيدتهم في جدلهم الصاعد والنازل تعتمد على إله وإنسان، وكلها تدور حول الارتفاع بهذا الإنسان، فحاجتهم إلى التجسيم أشد من حاجتهم إلى التجريد، فهم لا يستطيعون تجريد المادة الحية السائرة الأكلة الشاربة، وإنما يستطيعون أن يجسموا المجرّد لتقريب فكرة تأليه الإنسان"^(٣).

ونتج عن هذا التشبيه لازم التأله، الذي هو من لوازم الربوبية^(٤)، فصرفت العبادة لغير الله، وسرى في مذهب الغلاة شبهات اليهود والنصارى الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، أو شبهوا المخلوق بالخالق، وإن كان الأول خاصاً باليهود، والثاني خاص بالنصارى^(٥).

إلا أن هذا الأمر أنتج التآله للمخلوقين، والتآله أنتج الحلول، يقول

= والإرشاد إلى عقائد العباد. أنظر: معجم البلدان (٤٢٧/٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٣/٤) وسير اعلام النبلاء للذهبي (٢٨٦/٢٠) والأعلام للزركلي (٢١٥/٦).

(١) بدع غلاة الشيعة محصورة في أربع: التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ، الملل لشهرستاني (١٧٢/١).

(٢) التجسيم نتاج التشبيه وقد يستعملان في صعيد واحد ويؤديان معنى مشتركاً، أنظر: غلاة الشيعة وتأثرهم في الأديان فتحي محمد الزغبى (ص ٤١٠) والقول "بالجسم" من الألفاظ المبتدعة التي لم ترد في الوحيين نفيًا ولا اثباتاً، والموقف منها هو الإستفصال، أنظر التدمرية (ص ٦٥).

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشبيبي (ص ١٢٤).

(٤) توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية وتوحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية ولا عكس، تقريب الطحاوية لخالد فوزي (١/٣٦٥).

(٥) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٧٤).

الشهرستاني: "ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية، وقال: يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل في صورة أعرابي، وقد تمثل لمريم بشرا سويا" ثم يقول "والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول"^(١)، أي أنهم مشبهة وذهبوا إليه نتيجة القول بالتشبيه، ولذلك فإن البغدادي يرى أن المشبهة صنفان، صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره، ثم يبين بعد ذلك أن الصنف الأول صدر عن الغلاة من الشيعة^(٢)، ويضع منهم السبئية القائلين بإلهية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبيانية^(٣) والمغيرية^(٤) والمنصورة^(٥) والخطابية^(٦) وغيرهم،

(١) المصدر السابق (١/١٠٧).

(٢) درج بعض الكتاب على ألا يفرق بين الشيعة والرافضة فقال: "إن معظم الباحثين يقسم الشيعة إلى إمامية وباطنية... والحق أنه لا وجه لهذه التفرقة فكلهم إمامية حيث يجمعهم القول بالإمام وكلهم باطنية حيث لا تسلم طائفة منهم من الإيمان بالباطن وكلهم روافض لأنهم رافضون لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وما عليه أهل السنة والجماعة" مجلة التوحيد، عبدالرحمن بن عبدالسلام، العدد ٦ السنة السابع ١٣٩٩هـ. وأنظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة للقفاري (١/١٤٥).

(٣) فرقة البيانية من فرق الشيعة الراضية نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي، زعم أنه نبي وأنه المشار إليه بقوله (هذا بيان للناس وهدى). من عقائدها: -إن الله يفنى إلا وجهه، كذبو -عليهم لعنة الله -وإنما المعنى: كل شيء هالك إلا وجهه، إلا هو (وكذا) بقوله (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) أي فهناك وجه الله، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: ص ٢٧٧، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٩)، المواقف للإيجي (٣/٦٧١).

(٤) المغيرية: أتباع المغيرة بن سعيد، عدّهم أصحاب الفرق من غلاة الشيعة، نسب إليه القول بألوهية علي، ودعوى النبوة، والتجسيم، وضلالات أخرى، وقد جاء في كتب الإثنى عشرية ذمه ولعنه عن الأئمة. قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٩هـ. انظر: تاريخ الطبري: ٧/١٢٨-١٣٠، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٢٩)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٦٩-٧٤)، التبصرة في الدين للإسفراييني (ص ١١٩).

(٥) المنصورية اتباع أبي منصور العجلي الذي شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد إلى السماء وزعم أيضا أن الله مسح يده على رأسه وقال له يا نبي بلغ عنى، انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين للرازي: ص ٥٨، ↩ =

وغيرهم، أي أن كل من قال بالحلول فهو مشبه^(١) وهذه الطوائف السابقة قالوا بحلول الله في أشخاص الأئمة، وعبدوا الأئمة لذلك *

وعلى كل فإن التشبيه^(٢) وجد عند غلاة الشيعة، بل هم أول من قال بذلك، وقد وجد له بين عقائدهم مكانا فسيحا كما أنه ارتبط بقولهم بالحلول، قال أبو عبد الله جعفر الصادق: "ثم مسحنا بيمينه فأفضي نوره فينا"^(٣).. "ولكن الله خلطنا بنفسه"^(٤) وهذا الجزء الإلهي - الذي كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك من يقرأ ما يسمى معجزات الأئمة المذكورة في كتبهم، يلاحظ أن هؤلاء الأئمة أصبحوا كرب العالمين تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا في الإحياء والإماتة والخلق والرزق *

فهذا مثلاً علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما تزعم رواية الكافي يُحي الموتى، فعن أبي عبد الله قال: "إن أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم وإن شاباً منهم أتاه فقال: يا خالي، إن أخي مات، وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فقال: تشتهي أن تراه؟ قال: بلي، قال: فأرني قبره، قال فخرج ومعه بردة رسول الله متزراً بها، فلما انتهى إلى القبر تلممت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير

= التبصير في الدين للإسفراييني (ص ١٢٠)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٣٤).

(١) اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي الأجدع المقتول سنة ١٤٣هـ. قال البغدادي: "الخطابية كلها حلولية لدعواها حلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي خطاب الأسدي، فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة ومن جهة دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحباؤه". انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي: ص ٢٥٥، التبصرة في الدين للإسفراييني: ص ١٢٠، المواقف للإيجي (٣/٦٧٣).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٣٨).

(٣) تشبيه المخلوق بالخالق.

(٤) أصول الكافي للكليني: ١/٤٤٠-٤٤١، بحار الأنوار للمجلسي (١٥/١٩).

(٥) وانظر: شرح أصول الكافي للمازندراني (١١/١٩٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/٣٣٩).

المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكننا متنا على سنة فلان وفلان (أي أبا بكر وعمر) فانقلبت ألسنتنا" ^(١)، بل إن عليا - كما يزعمون - أحيى موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم ^(٢) وضرب الحجر فخرجت منه مائة ناقة ^(٣).

ومع هذا التعظيم المبتوث في كتب الشيعة لأئمتهم، إلا أنهم ذكروا في كتبهم ما يناقض هذا الغلو المفرط في الأئمة، ليثبت تناقضهم كالعادة فيما يقولون، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: "فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبتنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة وإنما ليتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم وما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما معي براءة من الله إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبتني عذاباً شديداً" ^(٤).

وعلى ما تقدم ذكره، فإن شيوخ الشيعة يرون أن مثل هذه الإقرارات إنما هي من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ أصحاب العمام السود ^(٥) لا مذهب الأئمة ^(٦).

(١) أصول الكافي للكليني (١/٤٥٧)، وأنظر بحار الأنوار للمجلسي (٤١/١٩٢)، وبصائر الدرجات: (ص٧٦).

(٢) بحار الأنوار ٤١/١٩٤ وانظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥١٩).

(٣) المصدر السابق (٢/٥١٩).

(٤) رجال الكشي (ص٢٢٥-٢٢٦).

(٥) العادة المعروفة عند علماء الشيعة أن من كان هاشمياً فإنه يلبس العمامة السوداء، ومن كان من غير بني هاشم فإنه يلبس العمامة البيضاء، مجلة البيان (العدد ١٧٣) مقالة د/ سلمان الظفيري •

(٦) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٨٠٣).

أما الصورة الثانية: فهي تشبيه الخالق بالمخلوق، والقول في هذه الصورة - أيضا - كالقول في الصورة الأولى، فإن الشيعة هم أول من قال بها، قال الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ هـ^(١): "اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن، وأبي جعفر الأحول"^(٢).

وهذه الشخصيات سابقة الذكر يعدون من طليعة الشيعة الاثني عشرية، والثقات من نقله المذهب^(٣).

وقد حدد ابن تيمية أول من قال هذه الفرية وتولى كبرها من هؤلاء فقال: "وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إنه جسم هو هشام بن الحكم"^(٤)

ومسألة أن قدماء الشيعة مجسمة أمر معروف عند علماء الفرق، وممن حكى ذلك من العلماء أبو الحسن الأشعري^(٥)، والبغدادي،

(١) محمد بن عمر بن الحسن المعروف بالفخر الرازي، مفسر متكلم فقيه أصولي من تصانيفه "التفسير الكبير، والمحصول وغيرها" ونسب له نوع تشيع توفي سنة (٦٠٦ هـ)، انظر: لسان الميزان لابن حجر (٤/٤٢٦) طبقات المفسرين للسيوطي (ص١١٥).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٩٧).

(٣) أعيان الشيعة محسن الأمين (١/١٠٦)، وهذه الأسماء أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم، وجميعهم من الروافض.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١/٢٠).

(٥) هو علي بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعرية، وهو أحد علماء القرن الثالث، تنتسب إليه الأشعري، ولد في البصرة سنة (٢٥٠ هـ) وقيل: سنة (٢٧٠ هـ) وتوفي سنة (٣٣٠ هـ) على أحد الأقوال، تعمق أولا في مذهب المعتزلة وتلمذ على أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب أحد مشاهير المعتزلة، إلا أن الله أراد له الخروج عن مذهبهم والدخول في مذهب أهل السنة والجماعة، وتوج ذلك بما سجله في كتاب "الإبانة عن أصول الديانة"، وكان ذكيا طالبا للحق، كان الأشعري إماما فذا كثير التأليف ولهذا تجد أن كل طائفة تدعي نسبته إليها "فالملكي يدعي أنه مالكي، والشافعي يزعم أنه شافعي، والحنفي ← =

وابن حزم^(١)، ومع أنهم قالوا بالتشبيه إلا أنهم عدلوا عنه إلى التعطيل في وقت مبكر كما ذكر ذلك عنهم الأشعري في المقالات^(٢).

يقول البغدادي: "زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض عميق، وأن طوله مثل عرضه..."^(٣) ويقول ابن حزم: "قال هشام: إن ربه سبعة أشبار بشبر نفسه"^(٤).

ويذكر الدكتور علي سامي النشار أن مؤرخي الفكر الإسلامي^(٥) القدامى شيعة وسنة ومعتزلة أجمعوا على أن هشام بن الحكم هو أول من قال: "إن الله جسم"، وأن مقالة التجسيم في الإسلام إنما تنسب إليه، فهو أول من أدخلها أو ابتدعها كما نسب إليه التشبيه أيضاً^(٦).

= كذلك "انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨٥ / ١٥، وشذرات الذهب للذهبي (٢ / ٣٠٣)، فرق معاصرة للعواجي (٢ / ٨٥٣)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (١ / ٣٢٩).

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه رئاسة الوزارة، فأنصرف عنها إلى العلم والتأليف، كان فقيهاً، وحافظاً، مجتهداً وقد انتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتحالوا على بغضه وتقليله، وشوا به إلى الملوك، توفي سنة ٤٥٦ هـ من تصانيفه: المحلي، المغرب في تاريخ المغرب، الفصل بين الأهواء والنحل، انظر: معجم الأدباء (٣ / ٥٤٦)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٣٢٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٨٤)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢ / ٩٨).

(٢) مقالات الاسلاميين للأشعري (١ / ١٠٦).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٦٥).

(٤) الفصل لابن حزم (٥ / ٤٠).

(٥) القول "بالفكر الإسلامي" من الألفاظ التي يجذر منها العلماء إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر، أنظر معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (٤٣٠-٤٣١)، المناهي اللفظية السؤال ابن عثيمين (ص ٧٢).

(٦) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢ / ١٧٣).

ومهما قيل في الدفاع عنه^(١)، فإن الآراء التي نسبت إليه تثبت إفراطه في التشبيه والقول بالتجسيم، حتى قال المجلسي: "ولعل المخالفين نسبوا إليهما^(٢) هذين القولين^(٣) معاندة"^(٤).

وقول المجلسي هذا في الدفاع عن هذين الرجلين أو عن التشبيه، أمر غير مستغرب، فهم ينكرون الحقائق الواضحة، ويصدقون بالأكاذيب البينة، فكيف بغيرها.

والحق يقال إن أغلب ما نقل من التشبيه والتجسيم عن هشام بن الحكم وأتباعه؛ إنما هو من نقل خصوم الشيعة، ومع هذا الحق إلا أن أصحاب المقالات على اختلاف اتجاهاتهم^(٥) قد استفاضت عنهم نسبة القول بالتشبيه والتجسيم لهشام بن الحكم وأتباعه، وهم أصدق من الشيعة أنفسهم مقالاً، وأوثق منهم نقلاً، وقد ثبت عنهم أن الشيعة هم الأصل في إدخال هذه البدعة على المسلمين، وأن هشاماً وأتباعه هم من تكلموا في ذلك.

ومع ما سبق تبينه فإنه قد جاءت روايات في كتب الشيعة المعتمدة عندهم تدل على أن متكلمي الشيعة كهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبدالرحمن القمي وأمثالهم، لم يكتفوا بالإثبات الذي جاءت به نصوص الوحيين، بل تجاوزوا ذلك إلى الغلو في الإثبات حتى التشبيه والتجسيم.

(١) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٢٨).

(٢) يعني هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي.

(٣) يشير إلى ما نسب إليهما من القول بالجسم والقول بالصورة.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٨).

(٥) انظر رساله الجاحظ في بن أمية صد ٩٩ ضمن كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبن هاشم، لسان الميزان لأبن حجر (٦/١٩٤)، التنبيه والرد للملطي (صد ٢٤)، أصول مذهب الشيعة للقفاري (صد ٥٣٠).

فهذا كتاب أصول الكافي للكليني، وكتاب التوحيد لابن بابوية يذكران أن الشيعة في سنة (٢٥٥هـ) قد تاهوا في ببداء مظلمة؛ إذ قد غرقوا في خلافهم في التجسيم فمن قائل إنه صورة، ومن قائل إنه جسم، وقد صوروا هذا الواقع لإمامهم فحكم عليهم بأنهم بمعزل عن التوحيد، تقول الرواية كما يرويها صدوقهم القمي عن سهل قال كتبت إلى أبي محمد سنة (٢٥٥هـ) قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول هو جسم، ومنهم من يقول هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه، ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك.

فوقع بخطه سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق يخلق تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما يشاء من الأجسام، ويصور ما يشاء، وليس بمصور، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتعالى أن يكون له شبيه، هو لا غير ليس كمثل شيء وهو السميع البصير^(١).

بل إن هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي بالذات كان لهما دور في اتجاه التجسيم عند الشيعة، كما يظهر ذلك في رواياتهم*

جاء في أصول الكافي "عن محمد بن الفرّج الرّخجي قال: "كتبت إلى أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب دع عنك حيرة الخيران واستعد بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهاشميان"^(٢)

بل قد ورد عن أئمة القوم أنهم كانوا يتبرؤون من قول الهاشميين، فهذا أبو الحسن على بن محمد يقول: مالكم وقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم

(١) أصول الكافي للكليني (١/١٠٣)، التوحيد لابن بابوية (ص١٠١-١٠٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٦١).

(٢) أصول الكافي للكليني: ١/١٠٥، وانظر هذه الرواية في التوحيد لصدوقهم ابن بابوية: ص٩٧، والفصول المهمة للحر العاملي: ص١٥، وبحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٨)، وأمالي الصدوق (ص٢٢٨).

ونحن منه براء في الدنيا والآخرة"^(١)

ويدخل إبراهيم بن محمد الخراز محمد بن الحسن على أبي الحسن الرضا، فيذكران له مقولة هشام بن سالم وصاحب الطاقة والميثمى^(٢) أنهم يقولون: "إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجدا ثم قال سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لو صفوك بما وصفت به نفسك..."^(٣)

فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد ظهر على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان اتجاه التشبيه والتجسيم الذي تزعمه هشام وأتباعه، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، يقول ابن تيمية: "والنقل بذاك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم بحيث إن معرفة المنقول في هذا الباب عن أئمة أهل البيت يوجب علما ضروريا بأن الرافضة مخالفون لهم لا موافقون لهم"^(٤)

• المرحلة الثانية: (التشبيه عند المتأخرين):

إذا نظرنا إلى التشبيه عند المتأخرين من الشيعة نجد أن له صورتين أيضاً:

الصورة الأولى: تشبيه المخلوق بالخالق، فالشيعة المتأخرون في هذا الجانب هم امتداد للشيعة المتقدمين، إلا أن هذا الجانب أخذ اشكالا عند المتأخرين وطرائق لم تكن على عهد أسلافهم من تنظير وترتيب، فالأعمال لا تقبل إلا بالإيمان بإمامة الاثني عشر وولايتهم وليس توحيد الله ﷻ، والأئمة وسائط بين الله والخلق، للأئمة

(١) التوحيد ابن بابويه (صد ١٠٤)، بحار الأنوار (٣/٢٩١).

(٢) وسوف تأتينا ترجمة مستقلة لهؤلاء الأشخاص .

(٣) التوحيد ابن بابويه صد ١١٣-١١٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤/٤٠، أصول الكافي للكليني: ١/١٠١

(٤) منهاج السنة لابن تيمية: ٤/١٧

حق التشريع والتحليل والتحريم وغير ذلك من أمور الجاهلية - نسأل الله العافية - (١)

الصورة الثانية: تشبيه الخالق بالمخلوق، أخذت هذه الصورة من التشبيه غير صورة المتقدمين من التشبيه، وذلك لأن التشبيه صفة لازمة لكل من تعامل مع نصوص الصفات على غير مراد الله، فالمشبه إذا شبه صفات الله بصفات خلقه كان مشبها صراحة، وهذا لا إشكال في معرفة تشبيهه، والمعطل إذا عطل صفات الله ونفاها فهو في الحقيقة مشبه

، إذ إن كل مشبه معطل وكل معطل مشبه (٢)، فمن نفى صفات الله فكأنه شبه صفات الله بصفة المعدوم؛ لأن النفي يستلزم العدم (٣)، وعلى هذا المعنى اللغوي يكون متأخرة الشيعة مشبهه أيضا، لأنهم شبهوا الله بالمعدوم، إلا أن هذا المعنى قد لا يرد عند من يتكلم على معني التشبيه عند الشيعة، إذ إن هذا التشبيه لازم للقول بالتعطيل، ولازم القول ليس بقول (٤)، وعلى ذلك فإن متأخري الشيعة معطلة وهذا ما سوف نعرض له في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى -

(١) للتوسع في هذا الجانب أنظر أصول مذهب الشيعة للقفاري: ٢/٤٢٦ وما بعده.

(٢) التدمرية لابن تيمية (ص ١٦).

(٣) ولهذا (قال محمود بن سبكتين) لمن ادعى ذلك في الخالق: ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم، ومحمود سبكتين هو السلطان الغزنوي أبو القاسم محمود سبكتين، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، عاش مجاهداً في سبيل الله محبا للعلم والعلماء، بواسطة التدمرية تحقيق السعوي (ص ٦٠).

(٤) لازم القول هل هو قول خلاف بين العلماء والحق أن يقال: أن لازم الحق حق، وأما لازم القول الباطل فهذا ليس بلازم إلا إذا التزمه الشخص، وإلا للزم تكفير كثير من الناس على لازم قولهم، انظر المجلى للكوارى (ص ١١٣).

المطلب الثاني: مفهوم التعطيل

تمهيد:

يعد التعطيل أشد خطورة من التشبيه، وإن كانا في الإفساد سواء، إذ إن كليهما جناية على النص^(١)، ونتيجة جنايتهما واحدة، فكل معطل مشبه وكل مشبه معطل، إلا أن المشبه غلا في الإثبات وأغفل التنزيه، والمعطل غلا في التنزيه وأغفل الإثبات، وحتى تعرف هذه الجناية فلا بد من الوقوف مع التعطيل عدة وقفات، نجعلها في مطالب على النحو التالي:

أولاً: تعريف التعطيل:

التعطيل لغة: العين والطاء واللام أصل واحد بمعنى الخلو والفراغ، فالعين والطاء يقال: عطلت المرأة وتعطلت إذا خلا جيدها من الحلي فهي عطل وعاطل ومعطال، وعطلت البئر إذا لم تورد، وإبل معطلة إذا لم يكن لها راع^(٢)، ويقال: إن أصله في الخلو من الزينة، ثم توسع في مدلوله حتى أصبح اسماً لمطلق الخلو بقطع النظر عن متعلقه^(٣).

وأما في الاصطلاح: فإن للعلماء وجهتين في تحديد مدلوله:

أولها: من يخصه بمن ينكر وجود الله تعالى، كأبي الحسين الملقب^(٤)

(١) التدمرية لابن تيمية (ص٧٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس (٤/٣٥١).

(٣) مقالة التعطيل والجعد بن درهم للتميمي (ص١٦-١٧).

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب المقرئ الشافعي، سمي بالمطلي نسبة إلى مدينة ملطية، بلدة من بلاد الروم، نزل الامام الملقب عسقلان، وكان فقيه متقن ثقة، وكان كثير العلم كثير التصنيف في الفقه، وكان يتفقه للشافعي وكان يقول الشعر، توفي سنة (٣٧٧هـ) أنظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٣٤٣).

والراغب الأصفهاني^(١)، وهو ما استقر عليه اصطلاح المتكلمين^(٢).

ثانيها: جعل التعطيل عاما في الصفات وغيره، وهو الاتجاه الغالب على علماء السلف^(٣)،

وبناء على ذلك ذكر الإمام ابن القيم أن التعطيل ثلاثة أنواع:

الأول: تعطيل المخلوق عن خالقه، كتعطيل الدهرية من الفلاسفة وغيرهم.

الثاني: تعطيل الخالق عن حقه على عباده، كتعطيل من صرف نوعا أو فردا من افراد العبادة لغير الله تعالى.

الثالث: تعطيل الخالق عن صفات كماله، وذلك بنفيها أو نفي شيء منها^(٤).

وقد حدث تعطيل الصفات أو آخر عصر التابعين^(٥)، وأول من حفظت عنه مقالة التعطيل هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسطة، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، فأظهرها وناظر عليها، ودعا إليها، فنسبت المقالة إليه، واشتهر المعطلة بلقب الجهمية، فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان. وفي أثناء ذلك حدث الاعتزال، ثم سرى التعطيل إليه، وإلى كثير من الفرق التي جاءت من بعده، وأصبح التعطيل أو التجهم على ثلاث درجات: تجهم الغلاة، وهم الجهمية الأولى، وتجهم المعتزلة، وتجهم الكلابية ومن وافقهم^(٦).

(١) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، أديب من أذكى المتكلمين، من كتبه "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، و"المفردات في غريب القرآن"، توفي سنة ٥٠٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٢٠)، بغية الوعاة للسيوطي (٢/٢٩٧)، الأعلام للزركلي (٢/٢٥٥).

(٢) انظر: بحث عن التعطيل للشيخ الدكتور عيسى السعدي في موقع ملتقى أصحاب الحديث.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: اغائة اللفهان لابن القيم (٢/٢٦٨).

(٥) مقالة التعطيل والجعد بن درهم للتميمي (ص ٥٨).

(٦) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٧٣)، شرح النونية لابن عيسى (١/٤٥).

❁ ثانياً: أول من قال بالتعطيل:

يقول ابن أبي العز (المتوفي سنة ٧٩٢هـ): "كان أول من ابتدع هذا في الإسلام - أي التعطيل - هو الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط"^(١)، وذلك في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية^(٢).

قال شيخ الإسلام: "وهذه مسألة عظيمة القدر اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية، فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا، وإنما نشأ ذلك في أوائل المائة الثانية، لما ظهر "الجعد بن درهم"^(٣) "وصاحبه" الجهم بن صفوان"^(٤) ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات"^(٥)، وإن كانت هذه البدعة متأخرة الظهور بعد بدعة الخوارج والشيعة إلا أنها تعد من أغلظ البدع في الإسلام، وذلك لسببين:

أولهما: أن أصحاب هذه المقالة كانوا أول من عارض الوحي بالرأي ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات،

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٧٣).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (١/٣٠٩)، مجموع الفتاوى (١٣/١٧٧).

(٣) هو الجعد بن درهم، من الموالي، مبتدع. قال الذهبي: "عداده في التابعين مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، قتله خالد القسري في العراق، انظر: لسان الميزان لابن حجر: (٢/١٠٥)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/٣٩٩) الإعلام للزركلي (٢/١٢٠).

(٤) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب رأس الجهمية قال الذهبي الضال المبتدع هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً كثيراً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر لا تقوم علينا مع اليمامة أكثر مما قمت: وأمر بقتله، فقتل "١هـ، انظر: الكامل في التاريخ لابن الاثير (٥/٣٤٤) الإعلام (٢/١٤١).

(٥) الفتاوى لابن تيمية (٦/٣٣).

وإنما حدث ذلك في أواخر عصر التابعين^(١).

يقول ابن القيم وهو يكسر طاغوت معارضة العقل للنقل: "وبالجمله فمعارضة أمر الرسل أو خبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار، فهم سلف الخلق بعدهم، فبئس السلف والخلف، ومن تأمل معارضة المشركين للرسل بالعقول وجدها أقوى من معارضة الجهمية والنفاة لخبرهم عن الله وصفاته وعلوه على خلقه، وتكليمه لملائكته ورسله بعقولهم، فإن كانت تلك المعارضة باطلة فهذه أبطل وأبطل، وإن صحت هذه المعارضة فتلك أولى بالصحة منها وهذا لا محيد لهم عنه"^(٢)

ثانياً: أن بدعة هؤلاء كانت في أعظم مسائل الايمان، ألا وهي الايمان بالله وبأسماؤه وصفاته، التي عليها ينبنى التبعيد^(٣).

❁ ثالثاً: كيف انتقل التعطيل إلى الشيعة؟ ومتى؟

تأثرت الشيعة المتأخرون بالمعتزلة وهذه حقيقة لا ينكرها من لديه أدنى علم بالفرق، وتظهر هذه الحقيقة جلية في أمرين:

الأمر الأول: ما نجده مسطوراً في كتب الفرق المتخصصة من ذكر هذا التأثير، فهذا أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" يقول: "وقالوا في التوحيد بقولي المعتزلة والخوارج وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه"^(٤) وذكر بعض أوجه التأثير بالمعتزلة من التوحيد والإرادة والاستطاعة وأفعال العباد والمعرفة والنظر.... وغير ذلك من صور التأثير بالمعتزلة^(٥).

(١) الصواعق المرسله لابن القيم (٣/١٠٦٩-١٠٧٠).

(٢) مختصر الصواعق المرسله لابن القيم (ص٩٧٠).

(٣) مقالة التعطيل والجعد بن درهم لمحمد التميمي (ص٧٥).

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٠٩).

(٥) المصدر السابق (١/١١٤-١٤٠).

وهذا الشهرستاني صاحب "الملل والنحل" يقول عن الإمامية: "وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم... فصارت الإمامية بعضها معتزلة: إما وعيدية وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية: إما مشبهه وإما سلفية..."^(١).

وهذا الذهبي^(٢) رَحِمَهُ اللهُ يَقْرُرُ تَصَادُقَ وَتَمَازُجِ الشَّيْعَةِ مَعَ الْمُعْتَزَلَةِ فَيَقُولُ: "إِنْ الرَّفْضُ وَالْإِعْتِزَالُ تَصَادُقًا مِنْ حُدُودِ سَنَةِ ٣٧٠ هـ وَتَوَاحِيًا"^(٣) وَيَقُولُ صَدِيقُ خَانَ عَالَمِ الْهِنْدِ الْمَشْهُورِ: "قَلِمًا يَوْجَدُ مُعْتَزَلِيًّا إِلَّا وَهُوَ رَافِضِيٌّ"^(٤) بَلْ إِنَّ مَقَالَاتِ الْمُعْتَزَلَةِ فَشَتْ فِي صُفُوفِ الشَّيْعَةِ كَمَا قَالَهُ الْمُقْرِيزِيُّ^(٥) رَحِمَهُ اللهُ: "وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَشُكُّ فِيهِ عَاقِلٌ اللهُ"^(٦).

الأمر الثاني: أن الناظر إلى عقائد الشيعة المتقدمين يجد أنها بعيدة كل البعد عن

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٦٥).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين أبو عبدالله: ولد سنة (٦٧٣ هـ) بدمشق، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين. مولده ووفاته في دمشق رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة (٧٤١ هـ) له تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها "دول الإسلام والمشتبه في الأسماء والأنساب و تاريخ الإسلام الكبير وسير النبلاء، وتذكرة الحفاظ، توفي بدمشق سنة (٧٤٨ هـ)، أنظر: شذرات الذهب العكري (٦/١٥٣) والدرر الكامنة لابن حجر (٣/٣٣٦).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٢٣٥).

(٤) خبيئة الأكوام للقنوجي (ص ٢٢).

(٥) هو أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، قال عنه ابن حجر: "كان إماماً بارعاً مفتياً متقناً ضابطاً ديناً خيراً محباً لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به حتى نسب إلى الظاهر حسن الصحبة حلوا المحاضرة" مات سنة ٨٤٥ هـ.. انظر: أنباء الغمر (٩/١٧٠-١٧٢) وانظر ترجمته في الضوء اللامع للسرخاوي (٢/٢١)؛ والبدر الطالع للشوكاني (١/٧٩).

(٦) الخطط والاعتبار (٤/١٨٤).

(٧) ولطلب المزيد حول تأثير الشيعة بالمعتزلة، أنظر: "تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره" لعبد اللطيف الحفظي وهي رسالة جيدة في بابها.

المسائل الكلامية، أو بمعنى أدق عن المسائل الإعتزالية التي كانت تشتهر بها طائفة المعتزلة، فإن المتأمل لحال الشيعة عموماً في أول نشأتهم يلحظ أنه لم يكن عندهم من البدع إلا التشيع لآل البيت، وما ترتب على هذه القضية من أولوية علي بن أبي طالب للخلافة وأبنائه من بعده، وما ترتب عليها - أيضاً - من الإغلاظ في القول على الصحابة حتى وصل إلى تكفيرهم، كل ذلك كان نتاج التشيع لآل البيت، أما ما يتعلق بالتعطيل فلم يكن معروفاً في عقائد المتقدمين حتى أضافها متأخروهم، فأصبحت غالب عقائدهم إعتزالية^(١).

أما عن زمن تحول عقائد الشيعة من التشبيه إلى التعطيل، فإن بدايته كانت في أواخر المائة الثالثة حيث تأثرت بمذهب المعتزلة في تعطيل الباري ﷻ من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد^(٢) وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى^(٣)، وأبو جعفر الطوسي^(٤)، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة، وكثير مما كتبه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف (ص ٤٦٥).

(٢) هو محمد بن محمد بن عمران العكبري الملقب بالمفيد، نال في زعمهم شرف مكاتبة مهديهم المنتظر، وله قريب من مائتي مصنف. قال الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة الضلال. هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه. ومات سنة (١٣ هـ) انظر: الفهرست للطوسي (ص ١٩٠)، الفهرست لابن النديم (ص ١٩٧)، الكنى والألقاب للقمي (٣/ ١٦٤)، لؤلؤة البحرين للبحراني (ص ٣٥٦).

(٣) هو أبو طالب علي بن حسين بن موسى القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي من ولد موسي الكاظم، ولد سنة ٣٥٥ هـ كان يقول بالاعتزال، له تصانيف كثيرة منها: "الشافي في الإمامة" وغيره، وهو متهم بوضع كتاب نهج البلاغة توفي سنة ٤٣٦ هـ انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٥٨٨)، الاعلام للزركلي (٤/ ٢٧٨).

(٤) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي شيخ الشيعة، أخذ الكلام عن الشيخ المفيد، له تصانيف كثيرة منها: "المفصح في الإمامة" و"الاقتصاد في الاعتقاد" وغيرهما، توفي سنة (٤٦٠ هـ)، انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٣٣٤)، الاعلام للزركلي (٦/ ٨٤).

المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة^(١).

ولهذا لا يكاد من كان لديه أدنى إطلاع على كتب القوم أن يخفي عليه ذلك، ويكتشف ما تطابق عليه متأخرة الشيعة مع المعتزلة في باب الأسماء والصفات من حيث الخصوص، وباقي المسائل العقدية من حيث العموم، فكلا الفريقين جعلوا العقل عمدتهم وحكمهم في باب الأسماء والصفات، بل إن شبّهات القوم التي يثيرونها على أهل السنة والجماعة قد اتفقوا فيها، وهذا وإن دل على شيء، فإنه يدل على أن الشيعة تعتبر نسخة ثانية للمعتزلة في باب الصفات من حيث الجملة، إلا أن الشيعة ملحوا وجمّلوا التعطيل عندهم بروايات نسبوها وأسندوها إلى أئمتهم، فبعضها مروية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، والبعض الآخر لعلماء أهل البيت كمحمد الباقر، وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل فجعلوا هذه الروايات عمدتهم في التعطيل، حتى قال بعض شيوخهم المعاصرين: "هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) كمال الإخلاص نفي الصفات عنه"^(٢).

ومع احتجاجهم بروايات الأئمة في نفي الصفات إلا أن العقل عمدتهم - أيضا - في الحكم على الصفات كالمعتزلة، فهم بين مشرب أخباري، ومشرب اعتزالي عقلي يتأرجحون بينهما لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

هذا والثابت عن علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وعن أئمة أهل البيت هو إثبات الصفات، والنقل بذلك مستفيض في كتب أهل العلم^(٣) وهذا - أيضا - ما تعترف به بعض

(١) أصول مذهب الشيعة للقفاري بتصرف بسيط (٢/٥٣٥).

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني (ص٢٨)، وانظر: أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٢/٥٣٦).

(٣) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/٥٢).

روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، ومن هذه الروايات ما جاء في تفسير العياشي: "عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال... إنه كلام الله غير مخلوق..."^(١)، وجاء في رجال الكشي: "...إن الكلام ليس بمخلوق..."^(٢) هذا في صفة الكلام، أما صفة النزول فقد جاء في كتاب الأنوار أنه: "

قال سائل لأبي عبدالله: تقول إنه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبدالله: بذلك، لأن الروايات قد صحت به والأخبار"^(٣)، هذه بعض الروايات من كتبهم تثبت ما قررناه من أن أئمة أهل البيت براء مما قيل عنهم من نفي الصفات.

وعلى كل فإوائل الشيعة أخذوا بالتشبيه وأواخراهم أخذوا بالنفي، وأعرضوا عن المذهب الوسط، وهو مذهب الأئمة كما مر بك طرف من ذلك، فدل على أنهم ليسوا على شيء في هذا الباب، فلم يأخذوا بمنهج القرآن والسنة، ولم يأخذوا بطريقة الأئمة الذين يزعمون أنهم قدوتهم، بل ساروا مع أهل التمثيل أولاً، وخالفوا قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم أخذوا بمسلك أهل التعطيل، وأعرضوا عن نصوص الصفات الواردة عن الله ورسوله •

(١) تفسير العياشي (٨/١).

(٢) رجال الكشي (ص ٤٩٠).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٣٣١) وقد عزاه المجلسي إلى كتاب التوحيد لابن بابويه.

رابعاً: أسباب انتقال التعطيل إلى الشيعة:

ليس بمستغرب أن تتغير أفكار ومعتقدات كل من بعد عن النهج القويم؛ فإن أصحاب الأهواء تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه حتى لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله^(١)، والشيعة من أصحاب الأهواء إجماعاً. وعلى كل حال فإن انتقال الشيعة من التشبيه إلى التعطيل كان له أسباب فمن هذه الأسباب:

١- النزعة الشيعية التي ظهرت في كثير من شيوخ المعتزلة، مما هيأ نفوس الشيعة للميل للمعتزلة والأخذ منهم، ويمكن أن يستدل على ذلك بما جاء في بداية شرح نهج البلاغة: "الحمد لله الواحد العدل... وقدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف، واختص الأفضل من جلال المآثر ونفائس المفاخر"^(٢).

لكن تبقي نزعة التشيع لها دور في نفوسهم، لدرجة أن من تسمى بأسماء أحد رجالات التشيع من آل البيت كعلي، والحسن، والحسين، وجعفر، فإنهم يكرمونه ويجلونهم، فكيف إذا رأوه ينصر مبدأ التشيع ولو على وجه الإجمال.

وكم تساوي هذه المقولة الصادرة من أحد المعتزلة عند الشيعة؟ حيث يقول: "أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشة وطلحة والزبير فإنهم تابوا... وأما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغي وموتهم عليه رؤسائهم والأتباع جميعاً"^(٣).

(١) من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في حديث تفرّق الأمة: وفيه: "وإنه سيخرج في أمّتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله": أخرجه الحاكم في مستدرکه (٢١٨/١) حديث رقم (٤٤٣) وانظر: صحيح الترغيب للألباني (١/٩٧-٤٨).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن الحديد (٢/١).

(٣) المصدر السابق (٤/١) من كلام ابن الحديد.

ولو لم تخرج الشيعة إلا بمثل هذه الأقوال من المعتزلة لكانت كافية في اعتبارهم أنصاراً لتشييعهم •

٢- استياء المتأخرين من الشيعة من عقائد المتقدمين. إن الشيعة في الأصل لم يكن لهم عقيدة واحدة، وأصول واضحة، يعتمدون عليها سوى ما كانوا يعتقدونه في الإمامة والإمام، وقد انتشر عند المتقدمين منهم التجسيم والتشبيه، الذي كان سبب ازدراء من غيرهم، وسبب في نفور الناس من عقائد الشيعة، فأخذوا يبحثون عن عقائد تبعد عن سمعتهم ما لصق بها، فلما كانت عقائد المعتزلة في العقائد البدعية هي الظاهرة بين المخالفين، ورأوها أقرب إلى عقول الناس من عقائد متقدميهم أخذوا بها. يقول الشهرستاني: "كان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك، وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول، وأبعد من التشبيه والحلول" (١).

فمذهب الشيعة في صفات الله ﷻ هو ما قاله هشام بن الحكم الرافضي، وداود الجواربي، وما أصله لهم عبد الله بن سبأ؛ من أن علياً هو الله؛ فهم حلولية يمثلون الله بخلقه، ويثبتون الصفات إلى حد أنهم يجعلونها مثل صفات المخلوقين، وهذا أصل دين الشيعة.

٣- ذكر الدكتور النشار أن من أسباب تأثر الإمامية بالمعتزلة دخول كثير من الزيدية في الإمامية، وحملهم لكثير من عناصر مذهبهم المعتزلي، ثم مزج تلك العناصر بالمذهب الإمامي الاثني عشري على أن الزيدية كانت متكاملة المذهب آنذاك •

٤- من الأسباب - أيضاً - أن من أصولهم في التعامل مع الآخرين أنه قائم على مقولة أبي عبد الله جعفر الصادق التي تقول: "إذا كنت في بلد ليس فيه أحد من الأئمة ولا من الفقهاء، فانظر إلى ما عليه العامة فخالفه، فهو الحق" والعامة بحسب

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٣).

زعم الشيعة! هم أهل السنة، ويعنون بذلك جميع أهل السنة حتى كبارهم، وحتى العلماء منهم، وهكذا دأبهم: خالف تصب، المهم ألا توافق أهل السنة في شيء.

فكانوا يقولون بهذا التمثيل كما هو دين عبد الله بن سبأ اليهودي؛ فلما وجد الرافضة أن أهل السنة يحاربون الاعتزال؛ لأن المعتزلة ينفون صفات الله وينفون الكلام عن الله وينفون الرؤية وافقوا المعتزلة وخالفوا أهل السنة، فالمطلب عندهم أن يخالفوا علماء أهل السنة؛ كالإمام أحمد بن حنبل، ومالك، والشافعي، وغيرهم، وأن يكونوا على خلاف دينهم؛ فخالفوهم؛ فأصبحوا معتزلة؛ فاتحدت الفرقتان وأصبحتا شيئاً واحداً.

٥- ذكر النشار - أيضا - أن من أسباب أخذ الشيعة بعقائد المعتزلة ومناهجهم "أنهم أرادوا أن يبنوا قلعة محصنة ضد الأشاعرة الذين ازدهرت عقائدهم بعد أن قضوا على المعتزلة، فأرادوا الاستعانة ببقايا هذا المذهب لإيقاف المذهب الأشعري."^(١)

❖ خامساً: ما الأعظم شراً التشبيه أو التعطيل؟

لا يشك عاقل أن كلا من التشبيه والتعطيل جناية على النص إلا أن التعطيل أشد جرماً من التشبيه، قال ابن تيمية: "كان السلف والأئمة يعلمون أن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه... فكان كلامهم وذمهم للجهمية المعطلة أعظم من كلامهم وذمهم للمشبهة الممثلة"^(٢) وبهذا يُعلم أن التعطيل شر من التشبيه، ويظهر ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن التعطيل مصادمة صريحة للنصوص، ومصادمة صريحة

(١) انظر لهذه الأسباب في كتاب: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف عبدالقادر (ص ٤٦٦-٤٧٣)، ومقالة للشيخ سفر الحوالي عن أسباب التأثير بواسطة موقعة، كتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق (ص ٤٠).

(٢) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (١/٦).

للعقول، فمن زعم أن ربه ليس له ذات ولا أسماء ولا صفات؛ فقد صادم نصوص القرآن والسنة مصادمة مباشرة، ورد الوحي رداً صريحاً لا تأول فيه ولا شبهة.

والوجه الثاني: أن التعطيل موهم ملبس؛ لأن المعطل يأتي إلى سدج الناس وقليلي العلم ويقول لهم: إني لا أفهم من هذه الصفة أو هذا الاسم إلا ما أعرفه في المخلوقات، وهذا لا يليق بالله ﷻ وإذا حكمت بأني لا أفهم من ذلك إلا ما أعرفه في المخلوق فسأقع قطعاً في التشبيه، ودفعاً للتشبيه نفي المعنى إطلاقاً ونقول: هذه الألفاظ ليس لها معان، إنما هي مجرد ضبط لمفاهيم الناس أو مخاطبتهم بظاهر غير الباطن، أو بمعنى غير المعنى الحقيقي إلى آخره.

فالتعطيل موهم، بمعنى أنه تنظلي شبهاته على بعض الناس، خاصة الأذكياء الذين ليس عندهم علم شرعي، أما العوام فالغالب أنهم في هذه الأمور على الفطرة ويسلمون من التعمق في هذه الأمور ولا يدركونها، ومن الخير لهم أن لا يدركوها، لكن بعض الأذكياء تنظلي عليهم هذه الشبهات إذا لم يكن عندهم فقه في الدين، فيأتي المعطل ويلبس، فإذا لبس وقعت شبهاته في قلوب الناس، فوقعوا في التعطيل أو التأويل، ومن هنا تكون الفتنة بالتعطيل أكثر، وهذا هو السبب الذي جعل التعطيل والتأويل يبقى إلى يومنا هذا والتشبيه ينقطع؛ لأن التشبيه لا يصادم النصوص مصادمة، إنما هو خطأ في فهم النصوص، فالمشبه لا ينكر أن الله ﷻ له أسماء وصفات، بل يثبتها، لكن يثبتها على وجه مغلوط مبالغة في الإثبات، وذلك عدم فقه لنصوص التنزيه لله ﷻ وعدم فهم لما في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، فهذا فهم ناتج عن قصور وليس ناتجاً عن إلحاد قلب وعن سوء نية أو عن تلبس، فلذلك التشبيه لم يستمر، لأنه يصطدم بالعقول اصطداماً مباشراً، لكنه لا يصطدم بالنصوص، إنما بعد بيان النصوص يتبين لأدنى من عنده علم أن التشبيه مرفوض بالبدهة وبالفطرة

(١) سورة الشوري الآية (١١).

بعكس التعطيل، فإنه وإن كان مرفوضاً بالبداهة وبالفطرة، لكن فيه شبهات تنطوي على ضعف الفقه وضعاف العلم.^(١)

وأخيراً يقول الغزالي^(٢) "...فإن قيل: إن كان المبالغة في التنزيه خوف التعطيل بالإضافة إلى البعض، ففي استعمال الألفاظ الموهمة خوف التشبيه بالإضافة إلى البعض^(٣)، قلنا: بينها فرق من وجهين، أحدهما أن ذلك يدعو إلى التعطيل في حق الأكثرين، وهذا يدعو إلى التشبيه في حق الأقلين، وأهون الضررين أولى بالاحتمال، وأعم الضررين أولى بالاجتناب. والثاني أن علاج وهم التشبيه أسهل من علاج التعطيل، إذ يكفي أن يقال مع هذه الظواهر: ليس كمثله شيء، وأنه ليس بجسم ولا مثل الأجسام^(٤)، وأما إثبات موجود في الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه شديد جداً، بل لا يقبله واحد من الألف لا سيما الأمة الأمية العربية"^(٥)

(١) انظر: شرح الطحاوية صالح ال الشيخ (١/١١٨).

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ) وهو من أشهر تلاميذ أبي المعالي الجويني، ويعدّ من كبار الأشاعرة ونظّارهم، غلبت عليه تصوّف، له مؤلّفات كثيرة منها: الأربعين في أصول الدين، وقواعد الاعتقاد، والاقتصاد في الاعتقاد، وتهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وغيرها. انظر ترجمته في تبين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٢٩١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٦/١٩١)، ووفيات الأعيان (٤/٢١٦).

(٣) هنا يفترض الغزالي جدال الخصم، كأن الخصم يقول الضرر المتحقق بالغلو في التنزيه لا يقل عن الضرر المتحقق باستعمال الألفاظ الموهمة، ويقصد الخصم بالألفاظ الموهمة ما وصف الله به نفسه.

(٤) وللأئمة كلام حول الحاجة إلى الاستفصال عند إيراد ألفاظ محدثة مجملة كهذه أو غيرها كالعرض والجوهر والحيز... الخ وقد مر طرف من ذلك.

(٥) الجام العوام للغزالي (ص ٩٦).

المبحث الثاني

تعريف موجز بالشيعة الاثني عشرية

وفيه سبعة مطالب :

- المطلب الأول: تعريف الشيعة.
- المطلب الثاني: الشيعة وأصل ظهورهم.
- المطلب الثالث: الألقاب والأسماء.
- المطلب الرابع: أشهر شخصيات الشيعة على مر العصور.
- المطلب الخامس: الكتب المعتمدة عند الاثني عشرية.
- المطلب السادس: مجمل عقائد الشيعة الاثني عشرية.
- المطلب السابع: الحكم على الشيعة.

* * * * *

المبحث الثاني:

تعريف موجز بالشيعة الاثني عشرية

حتى نلم بتعريف مجمل لهذه الفرقة فإننا نجعل التعريف بها تحت مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشيعة.

المطلب الثاني: الشيعة وأصل ظهورهم.

المطلب الثالث: الألقاب والأسماء.

المطلب الرابع: أشهر شخصيات الشيعة على مر العصور.

المطلب الخامس: الكتب المعتمدة عند الاثني عشرية.

المطلب السادس: مجمل عقائد الشيعة الاثني عشرية.

المطلب السابع: الحكم على الشيعة.



المطلب الأول تعريف الشيعة لغة واصطلاحاً

الشيعة لغة: لفظ "الشيعة" يطلق ويراد به: الأعوان، والأنصار، والأحزاب^(١)، والأتباع، فالمتابعة والمناصرة والموافقة بالرأي والاجتماع على الأمر أو الممالة عليه، معاني تدور حولها معاني لفظ "الشيعة"^(٢).

يقول ابن دريد^(٣): "شايعة الرجل على الأمر مشايعةً وشياعاً، إذا مالته عليه... وشيعة الرجل على الأمر تشييعاً، إذا أعنته عليه. وفلان من شيعة فلان، أي ممن يرى رأيه"^(٤).

وقال الأزهري: "والشيعة: أنصار الرجل وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجماعة شيع وأشياع، وقال الله جلّ وعزّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾"^(٥)، والشيعة: قوم يهوون هوى عثرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويوالونهم"^(٦)، وقال الزبيدي^(٧): "وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له

(١) معجم مقاييس اللغة لأبن فارس (٣/٢٣٥)، مجمل اللغة لابن فارس (٢/٥١٨).

(٢) هو شيخ الأدب، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصري، صاحب التصانيف، كان آية من الآيات في قوة الحفظ، توفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وله ثمان وتسعون سنة، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/٩٦-٩٧).

(٣) جهرة اللغة لابن دريد مادة (ش-ع-ي).

(٤) سورة سبأ الآية (٥٤).

(٥) جهرة اللغة مادة (شاع).

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد عبد الرازق الحسيني، الزبيدي، الملقب بمرتضى (أبو الفيض) لغوي، نحوي، محدث، أصولي، أديب، ناظم، ناثر، مؤرخ، نسابة، مشارك في عدة علوم، أصله من واسط في العراق، ولد في بلجرام من الهند، ومنشأه زييد باليمن، ولد سنة (١١٤٥هـ)، توفي سنة (١٢٠٥هـ)، انظر: معجم المؤلفين لكحالة (١١/٢٨٢-٢٨٣)، الأعلام للزركلي (٧/٧٠).

شيعة... أصل ذلك من المشايعة، وهي المطاوعة والمتابعة. وقيل: عين الشيعة واو، من شوع قوم، إذا جمعهم... وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ)... قال الحافظ: وهم أمة لا يحصون، مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظية، يسبون الشيخين، وغلاة غلاتهم ضلال يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة - أعاذنا الله منها -" (١).

وقد ورد مادة "شيع" في القرآن الكريم في "اثني عشر موضعاً، وقد أجمل ابن الجوزي (١) معانيها بقوله: "وذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة أوجه: أحدها: الفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ (١)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأُولِينَ﴾ (١)...

والثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عُذُوِّهِ﴾ (١) أراد من أهله في النسب إلى بني إسرائيل.

والثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ (١)...

(١) تاج العروس للزبيدي (١/٥٣٥٤).

(٢) هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرني التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف الكثير من فنون متعددة، حتى أنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته، قال الذهبي: (له) أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يجره ويتقنه) ولد سنة (٥٠٩ أو ٥١٠هـ) وتوفي سنة (٥٩٧هـ) وانظر: سير اعلام النبلاء للذهبي (٢١/٣٦٥-٣٨٤) والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٨-٣٠).

(٣) سورة الانعام الآية (١٥٩).

(٤) سورة الحجر الآية (١٠).

(٥) سورة القصص الآية (١٥).

(٦) سورة مريم الآية (٦٩).

(٧) سورة القمر الآية (٥١).

والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شِيعًا﴾^(١).

ويشير ابن القيم^(٢) رَحْمَةُ اللَّهِ فِي نَصِّ مَهْمٍ لَهُ إِلَى أَنَّ لَفْظَ الشَّيْعَةِ، وَالْأَشْيَاعِ غَالِبًا مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الذَّمِّ، وَيَقُولُ: "وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا كَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أُمَّتَهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِنِيًّا﴾^(٣)، وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾^(٤) وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾^(٥).

ويعلل ابن القيم لذلك بقوله: وذلك - والله أعلم - لما في لفظ الشيعة من الشيعاء، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم^(٦).

ويلاحظ مما سبق ذكره في المعنى اللغوي أن لفظ الشيعة في كتاب الله ومعانيها،

(١) سورة الانعام الآية (٦٥).

(٢) بتصرف بسيط من كتاب أصول وتاريخ الفرق لمصطفى محمد مصطفى (١/١٣١)، ثم قال في حاشية كتابه "وزاد الدامغاني وجهاً خامساً وهو: الشيع والإشاعة، واستشهد له بقوله سبحانه: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا} (النور: ١٩) يعني أن تفشو الفاحشة، والوجه الثاني الذي استدلل له ابن الجوزي بآية القصص، استدلل بها نفسها الدامغاني أن من معاني الشيعة: الجيش، واتفقا فيما سوى ذلك من المعاني.

(٣) وهو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين ولد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء مولده ووفاته في دمشق تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت ابن تيمية وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً وألف تصانيف كثيرة. انظر: البداية والنهاية (١٤/٢٣٤)، الدرر الكامنة لابن حجر (٤/٢١).

(٤) سورة مريم الآية (٦٩).

(٥) سورة الانعام الآية (١٥٩).

(٦) سورة سبأ الآية (٥٤).

(٧) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٢).

لا تدل على الاتجاه الشيعي المعروف، وهذا أمر يدرك ببداهة العقول، لكن الغريب في الأمر أن نجد عند الشيعة إتجاهاً يحاول فيه أصحابه، أن يفسر بعض ألفاظ الشيعة الواردة في كتاب الله بطائفته، ويؤول كتاب الله على غير تأويله، ويحمل الآيات ما لا تحتمل تحريفاً لكتاب الله وإلحاداً فيه، فقد جاء في أحاديثهم في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) قالوا إن إبراهيم من شيعة علي^(١). وهذا مخالف لسياق القرآن وأصول الإسلام، وهو نابع من عقيدة غلاة الروافض الذين يفضلون الأئمة على الأنبياء، فهذا التأويل أو التحريف يجعل خليل الرحمن أفضل الرسل والأنبياء بعد محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجعله من شيعة علي... وهو أمر يعرف بطلانه من الإسلام بالضرورة، كما هو باطل بالعقل والتاريخ... وهو من وَضَعِ وَضَاعٍ لا يحسن الوضع... ولا يعرف كيف يضع^(١).

أما التعريف الاصطلاحي للشيعة:

فنقول اختلفت كلمة العلماء في تعريف الشيعة اصطلاحاً، ومن أقدم من عرّف الشيعة من أصحاب المقالات والفرق - من غير الشيعة^(١) - الإمام الأشعري رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: "إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، ويقدمونه على سائر

(١) تفسير البرهان للبحراني (٤/ ٢٠)، وانظر: تفسير القمي (٢/ ٣٢٣)، وبحار الانوار المجلسي (٦٨/ ١٢ - ١٣)، سفينة البحار عباس القمي (١/ ٧٣٢)، المعالم الزلفي للبحراني (ص ٣٠٤)، مجمع البحرين للطريحي (٢/ ٣٥٦)، وقد نسبوا هذا التفسير - كذباً وافتراءً - إلى جعفر الصادق، ودينه وعلمه ينفيان ذلك.

(٢) اصول تاريخ الفرق لمصطفى محمد (١/ ١٣٣) "بتصرف بسيط".

(٣) هنالك تعريف لمصطلح الشيعة في كتب الشيعة وقد أعرضنا عنها خشية الإطالة ومن هذه التعريف تعريف شيخهم القمي حيث قال: "هم شيعة علي ابن أبي طالب"، وفي موضع آخر يقول: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته"، ويوافق على هذا التعريف شيخهم النوبختي حتى في الألفاظ نفسها. انظر: المقالات والفرق للقمي (ص ٣-١٥) وفرق الشيعة للنوبختي (٢-١٧).

أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)"^(١).

ويقول ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: "ومن وافق الشيعة في أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الناس بعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"^(٢).

وهذا الشهرستاني رَحِمَهُ اللهُ يعرف الشيعة بتعريف شامل جمع أغلب أصول الشيعة وهو أوسع وأشمل من التعريفين السابقين فيقول: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حالة التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك"^(٣).

وهذه التعريفات السابقة الذكر لم تكن معروفة في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في زمن أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي (رضي الله عن الجميع)، وإنما ظهر هذا اللفظ بعد مقتل الحسين (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).^(٤)

ومما يدل على هذا ما جاء في وثيقة التحكيم بين الخليفين علي ومعاوية

(١) مقالات الإسلاميين للاشعري (١/٦٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٩٠).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٥).

(٤) نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار (٢/٣٥).

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) ورود لفظ الشيعة بهذا المعنى، حيث أطلق على أتباع علي شيعة، كما أطلق على أتباع معاوية، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع علي.

ومما جاء في صحيفة التحكيم: "هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما... ومنها: وأن عليا وشيعته رضوا بعباد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمر بن العاص... ومنها: فإذا توفي أحد الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه •

ومنها: وإن مات أحد الاميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلاً يرضون عدله" (١).

وقال حكيم بن أفلح: "لأني نبيتها" يعني عائشة "أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً" (٢).

من هذا يتبين لنا أن لفظ الشيعة في صدر الإسلام ليس خاصاً بأتباع علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، وإنما استعمل في معناه اللغوي أي: أتباع الرجل وأنصاره، فكان يقال عن أنصار علي "شيعة علي"، ويقال عن أصحاب معاوية ومناصريه: شيعة معاوية، ولكنه تطور وأصبح يطلق بعد مقتل الحسين رضي الله عنه على من شايعوا علياً وبنيه من بعده، واستقر على هذا المعنى إلى اليوم (٣).

(١) تاريخ الطبري (٣/١٠٣)، موقعة صفين لابن مزاحم المقرئ (١/٥٠٥).

(٢) هذا جزء من حديث طويل في صحيح مسلم _ كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (١٣٩)، وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا النص، ليأخذ منه دلالة على تاريخية على عدم اختصاص علي باسم الشيعة في ذلك الوقت، انظر منهاج السنة النبوية (٢/٩٥).

(٣) عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية لأشرف الجيزاوي (ص٢٣).

المطلب الثاني الشيعة وأصل ظهورهم وتطورهم

يقول الدكتور ناصر القفاري: "إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرت بمراحل كثيرة، ونشأت تدريجياً.. وانقسمت إلى فرق كثيرة. ولا شك أن التبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع يحتاج إلى بحث مستقل، ولهذا سيكون الحديث هنا عن: أصل النشأة وجذورها التاريخية، ولا يعيننا تتبع مراحلها ونشوء فرقها.. وسنبداً بعرض رأي الشيعة من مصادرها المعتمدة عندها، ثم نذكر بعد ذلك آراء الآخرين"^(١).

وهذا هو المنهج العلمي الصحيح في عرض الأقوال في أي مسألة، وعلى هذا فإن هناك عدة أقوال في نشأة الشيعة، أشهرها ثلاثة أقوال^(٢)، أولاهما وثانيهما لعلماء الشيعة الروافض، وثالثهما للباحثين المحققين من أهل السنة وغيرهم.

القول الأول:

يقول بعض الشيعة الروافض إن التشيع قديم ولد قبل رسالة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأنه ما من نبي إلا وقد عرض عليه الإيمان بولاية علي. وقد وضع الشيعة أساطير كثيرة لإثبات هذه الشنائع، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: "ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنوّة محمد

(١) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/٥٧).

(٢) الوشيعة في كشف شنائع الشيعة لصالح الرقب بتصرف بسيط (ص٣)، وهناك أقوال غير ما ذكر انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٧٨)، ومسألة التقريب للقفاري (١/١٢)، دراسة عن الفرق لأحمد جلي (ص١٥٢)، فرق معاصرة للعواجي (١/١٣١)،: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لناصر بن علي الشيخ (٣/١٩٠).

صلى الله عليه وآله، ووصية عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ" (١).

وثبت عند القوم " أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب محبيين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين.. فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار" (٢)، وغير ذلك من رواياتهم في هذا المعنى في كثير من كتبهم المعتمدة، وما ذكر فهو قليل من كثير وغيض من فيض (٣).

القول الثاني: قول كثير من الشيعة:

يزعم كثير من الشيعة الروافض أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هو الذي غرس بذرة، التشيع وتعهدها بالسقي حتى نمت وأينعت، يقول محمد كاشف الغطاء: "إن أول مَنْ وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدتها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته" (٤).

ويقول عالم شيعي آخر: "إن المذهب الجعفري هو مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهو أقدم المذاهب نشأة وأقواها عاملاً. فقد تكون في عهد صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو أول من وضع

(١) الكافي للكليني (٤٣٧/١).

(٢) تفسير الصافي للكاشاني (١٦/١).

(٣) انظر: الكافي للكليني (٨/٢)، الوافي للكاشاني (١٥٥/٢-١٠/٣)، البحار للمجلسي (١٥١/٣٥)، سفينة البحار للقمي (٧٢٩/١)، والحصال للصدوق (٢٧٠/١)، علل الشرائع للصدوق (ص-١٢٢)، ١٣، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٤، والفصول المهمة للحر العاملي (ص-١٥٨)، تفسير الصافي للكاشاني (٨٠/٢)، البرهان للبحراني (٨٦/١).

(٤) أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء (ص-١٨٥).

بذرة التشيع في حقل الإسلام، يوم غرس دوحة شريعته الغراء جنبا إلى جنب، ولم يزل غارسها (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعهدا بالسقي والعناية حتى نبتت ونمت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته، حيث استمر آل بيته وخلّص أصحابه بتعهدا^(١).

وممن ذهب لهذا القول: محسن العاملي^(٢)، ومحمد جواد مغنية^(٣)، وهاشم معروف^(٤)، والوابلي^(٥)، والشيرازي^(٦)، ومحمد الحسني^(٧)، ومحمد باقر الصدر^(٨).

القول الثالث: قول المحققين من أهل السنة وغيرهم:

نشأت فرقة الشيعة عندما ظهر رجل يهودي اسمه "عبد الله بن سبأ" ادعى الإسلام، وزعم محبة أهل البيت، وغالى في علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، وادعى له الوصية بالخلافة ثم رفعه إلى مرتبة الألوهية، وهذا ما تعترف به الكتب الشيعية نفسها. فالشيعي القمي في كتابه "المقالات في الفرق": "يقر بوجوده ويعتبره أول من قال بفرض إمامة علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ورجعته، وأظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، كما قال به علامتهم النوبختي^(٩)، وكما قال به الكشي^(١٠)، والاعتراف كما قيل سيد الأدلة،

(١) انظر: الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيع لصالح الرقب (ص ٦).

(٢) أعيان الشيعة للحر العاملي (١/١٣-١٦).

(٣) الاثنا عشرية وأهل البيت لمحمد جواد (ص ٢٩).

(٤) تاريخ الفقه الجعفري لهشام معروف (ص ١٠٥).

(٥) هوية التشيع لأحمد الوائلي (ص ٢٧).

(٦) هكذا الشيعة لمحمد مهدي (ص ٤).

(٧) في ظلال التشيع لمحمد الحسني (ص ٥٠-٥١).

(٨) بحث حول الولاية لمحمد باقر الصدر (ص ٦٣).

(٩) فرق الشيعة للنوبختي (ص ٢٢).

(١٠) رجال الكشي (ص ٧١-٧٥)، والكشي هو أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المتوفي عام

(٣٤٠هـ) مؤلف معرفة أخبار الرجال المشهور (برجال الكشي): قال الطوسي: "محمد بن عمر بن عبد

وهؤلاء جميعهم من كبار شيوخ الشيعة الاثني عشرية.

وقال البغدادي: "السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه الله". وقال البغدادي كذلك: "وكان ابن السوداء "أي ابن سبأ" في الأصل يهودياً من أهل الحيرة، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي وأن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو وصي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (١).

وذكر الشهرستاني عن ابن سبأ أن أول من أظهر القول بالنص على إمامة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذكر عن السبئية أنها أول فرقة قالت بالتوقف بالغيبة والرجعة، ثم ورثت الشيعة فيما بعد-رغم اختلافها وتعدد فرقها-القول بإمامة علي وخلافته نصاً ووصية، وهي من مخلفات ابن سبأ، وقد تعددت فيما بعد فرق الشيعة وأقوالها إلى عشرات الفرق والأقوال. وهكذا ابتدعت الشيعة القول بالوصية والرجعة والغيبة، بل والقول بتأليه الأئمة إتباعاً لابن سبأ اليهودي (٢).

وأخيراً: يقول د.ناصر القفاري تحت عنوان: (الرأي المختار في أصل التشيع):
"والذي أرى أن التشيع المجرد من دعوى النص والوصية ليس هو وليد مؤثرات

= العزيز الكشي يكني أبا عمرو، ثقة بصير بالأخبار وبالرجال حسن الاعتقاد له كتاب الرجال"، وقال المجلسي: "الشيخ المقدم الجليل، والرجالي الكبير أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، الثقة الثبت، العالم البصير بالرجال والأخبار، قال النجاشي: كان ثقة عين، روى عن الضعفاء كثيراً وصحب العياشي وأخذ عنه تخرج عليه في داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم" وقال عن كتابه: "له كتاب الرجال الذي سماه ابن شهر آشوب في المعالم (بمعرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) هو أحد الأصول الأربعة الرجالية" أنظر: مقدمة الصراط المستقيم بقلم شهاب الدين الحسيني المرعشي (ص ٧)، الفهرست للطوسي (ص ١٧١-١٧٢)، مقدمة بحار الأنوار (ص ٢٠٥).

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٣٥).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٢).

أجنبية، بل إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد لآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي، ثم الحسين... الخ.

هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث.. لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة... الخ، فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة، دخيلة على المسلمين، ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام، وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم" (١).

فأصبح التشيع خليطاً من مذاهب الفرس واليونان وغيرهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إلى إن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع" (٢).

(١) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/٥١-٥٢).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٤/١٤٧).

المطلب الثالث: الألقاب والأسماء التي يطلقها مؤرخو الفرق على الاثني عشرية

الشيعة - الرافضة - الجعفرية - الإمامية - الخاصة - الإثنا عشرية - القطعية - أصحاب الانتظار، أسماء وألقاب تطلق على طائفة واحدة وهي "الشيعة" إلا أن هذه الأسماء والألقاب لها معاني ومدلولات عند أصحابها تحكي مرادهم من هذا الاسم واللقب^(١):

١- "الشيعة": اسم أو لقب في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها^(٢)، ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أطلق في نظر جمع من الشيعة وغيرهم لا ينصرف إلا إلى طائفة الاثني عشرية^(٣)، وسموا بالشيعة لمشايعتهم علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وقولهم بوجوب إمامته بعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

٢- "الرافضة": الرفض لغة: الترك يقال رفضت الشيء: أي تركته^(٤)، أما اصطلاحاً: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأن خلافة غيرهم باطلة.

(١) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/٩٩-١٠٨).

(٢) ماعدا الغلاة منهم وفرقة الكيسانية أنظر: أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/٩٩)، ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين لأحمد جلي (ص١٧٩)، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة لناصر القفاري (١/١٤٥).

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٦٨، الطبرسي: مستدرک الوسائل ٣/٣١١، وأمير علي: روح الإسلام ٢/٩٢ وأصول مذهب الشيعة للقفاري (١/٩٩).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٧/١٥٦) مادة "رفض".

سبب التسمية^(١) بهذا الاسم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "قلت: الصحيح^(٢) أنهم سموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك"^(٣)

كما يلاحظ أن كتب الاثني عشرية تنص على أن هذا لقب الرافضة من ألقابهم، وقد أورد شيخهم المجلسي في كتابه: (البحار) باب سماه: "باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها"، أربعة أحاديث من أحاديثهم في مدح التسمية بالرافضة. وهذا هو الصواب الذي يجب أن يتسمى به القوم نظرا لكونه الاسم الذي ينطبق عليهم حقيقة، نظرا لعقائدهم المخالفة للعقيدة الإسلامية، ولرفضهم إيمان الصحابة وخلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عن الجميع *

^(٤) وأيضاً يرتضي هذه التسمية "الرافضة" من المعاصرين علامتهم محمد باقر الصدر^(٥).

٣- "الجعفرية": نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس - كما يزعمون - وهو

(١) حصل خلاف بين العلماء في سبب التسمية بالرافضة منها ما ذكره ابن تيمية وقيل: لانهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، وقيل لرفضهم الدين، انظر لهذه المسألة في كتاب المقالات للأشعري (١/٨٩) والملل والنحل للشهرستاني (١/١٥٥) والغنية للجيلاني (١/٧٦)، مسألة التقريب بين السنة والشيعة لناصر القفاري (١/١٤٥-١٧١).

(٢) هنالك أقوال في سبب التسمية منها: أنهم سموا بذلك لرفضهم الدين أنظر التاريخ الكبير للبخاري (١/٢٧٩) وقيل سموا بذلك لرفض إمامة أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٦) وقيل غير ذلك *

(٣) منهاج السنة ٢/١٣٠

(٤) بحار الانوار للمجلسي (٦٨/٩٦-٩٧)، وانظر: تفسير فرات (ص ١٣٩)، المحاسن للبرقي ص ١٥٧، دائرة المعارف للأعلمي (١٨/٢٠٠).

(٥) التشيع ظاهرة طبيعية لمحمد باقر الصدر (ص ٧٧)، انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (١/١٠٧).

من باب التسمية للعام باسم الخاص.^(١)

وروى الكشي أن شيعة الصادق في الكوفة سموها بالجعفرية^(٢)، وأن هذه التسمية نقلت إلى جعفر الصادق فغضب^(٣).

وروى الكشي عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنا نغير بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية، قال: فغضب أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قال: إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنا أصحاب جعفر من اشد ورعه، وعمل لخالقه^(٤).

وجعفر الصادق الذي كان فقهاء عصره، وينسب إليه كذباً وزوراً فقه هذه الفرقة، فإنهم يسندون إليه أقوالاً واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام، فكيف به؟ وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم الروافض^(٥).

٤- "الإمامية": سموا بذلك لأنهم قالوا بإمامة علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بعد النبي (عليه الصلاة والسلام)، نصاباً ظاهراً وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين^(٦).

ويرى بعضهم أنهم لقبوا بهذا اللقب بعد غيبة الإمام الثاني عشر - كما يزعمون - إذ ليس هنالك قبل غيبته ما يستدعي التسمية، وقد صرح بهذا الدكتور عبد الله فياض وهو شيعي إذ يقول: "إن مصطلح الإمامية لم يصبح علماً لفرقة من فرق الشيعة

(١) رجال الكشي: (ص ٢٥٥).

(٢) المصدر السابق: (٢/ ٥٢٥).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٢٥).

(٤) والحقيقة أنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق، وإنما هي تحريصات جمعوها وتلفيقات استحسوها ثم نسبوها إليه، انظر: اصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/ ١٠٩)، وفرق معاصرة لغالب العواجي (١/ ١٦٩).

(٥) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦١).

إلا بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين" (١)، وقد يستعمل لقب الإمامية بإطلاق على الاثني عشرية. (٢)

٥- "الاثنا عشرية": سموا بذلك نسبة إلى الاثني عشر إماماً الذين يتخذهم الرافضة أئمة، وهؤلاء الأئمة يبرؤون إلى الله تعالى من اعتقادات الشيعة، وما ينسبونه إليهم من كذب وزور وبهتان، وهؤلاء الأئمة يتسلسلون على النحو التالي (٣):

١- علي بن أبي طالب، الكنية (٤) أبو الحسن، واللقب المرتضي المولد سنة ٢٣. ق. هـ، الوفاة ٤٠ هـ.

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب، الكنية أبو محمد، اللقب المجتبي - وقيل الزكي، المولد ٢ هـ، الوفاة ٥٠ هـ.

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب، الكنية أبو عبدالله، اللقب الشهيد، المولد ٣ هـ، الوفاة ٦١ هـ.

(١) تاريخ الإمامية لعبدالله فياض (ص ٨٥).

(٢) اصول الشيعة لناصر القفاري (١/ ١٠٠)، وأصل الشيعة وأصولها (ص ٩٢).

(٣) انظر: الكافي للكليني (١/ ٢٨٦) وما بعدها، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦١)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٥١)، أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/ ١٠٥).

(٤) الفرق بين الكنية واللقب، أن الكنية ما كان مصدر بأب وأم كأبي فلان وأم فلان، وأما اللقب فهو ما كان وصف يطلق على الشخص وغالب استعماله في الذم ولهذا قال الله تعالى {ولا تنازروا بالألقاب} الحجرات ١١ ولا خلاف في تحريم تلقيب الإنسان بما يكرهه سواء كان فيه أو لم يكن وأما إذا عرف بذلك واشتهر به كالأعمش والأشتر والأصم والأعرج فقد اضطرر استعماله على السنة أهل العلم قديماً وحديثاً وسهل فيه الإمام أحمد قال أبو داود في مسائله سمعت أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يكون له اللقب لا يعرف إلا به ولا يكرهه قال أليس يقال سليمان الأعمش وحيد الطويل كأنه لا يرى به بأساً، قال أبو داود سألت أحمد عنه مرة أخرى فرخص فيه قلت كان أحمد يكره أن يقول الأعمش " بتصرف من كتاب تحفة المولود لابن القيم (ص ١٣٦).

٤- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الكنية أبو محمد، اللقب السجاد وقيل زين العابدين، المولد ٣٨هـ، الوفاة ٩٥هـ.

٥- محمد علي بن الحسين، الكنية أبو جعفر، اللقب الباقر، المولد ٥٧هـ، الوفاة ١١٤هـ.

٦- جعفر بن محمد بن علي، الكنية أبو عبدالله، اللقب الصادق، المولد ٨٣هـ، الوفاة ١٤٨هـ.

٧- موسى بن جعفر الصادق، الكنية أبو إبراهيم، اللقب الكاظم، المولد ١٢٨هـ، الوفاة ١٨٣هـ.

٨- علي بن موسى بن جعفر، الكنية أبو الحسن، اللقب الرضا، المولد ١٤٨هـ، الوفاة ٢٠٣هـ.

٩- محمد بن علي بن موسى، الكنية أبو جعفر، اللقب الجواد، المولد ١٩٥هـ، الوفاة ٢٢٠هـ.

١٠- علي بن محمد بن علي، الكنية أبو الحسن، اللقب الهادي، المولد ٢١٢هـ، الوفاة ٢٥٤هـ.

١١- الحسن بن علي بن محمد، الكنية أبو محمد، اللقب العسكري، المولد ٢٣٢هـ، الوفاة ٢٦٠هـ.

١٢- محمد بن الحسن العسكري، الكنية أبو القاسم، اللقب المهدي وقيل الحجة القائم المنتظر، المولد...، الوفاة...^(١)

وهذا الأخير يزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ أو ٢٥٦هـ، وهو الحجة الغائب عند

(١) يزعم الشيعة أن أسماء هؤلاء الأئمة وترتيبهم سطر في لوح كان عند فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أهداه لها أبوها عليه الصلاة والسلام، أنظر: الإحتجاج للطبرسي (ص ٨٥)، والكافي للكليني (ص ٥٢٥)، أنظر دراسات عن الفرق للجلي (ص ١٨٠).

الشيعة، ويزعمون ايضاً أنه غائب غيبة صغري سنة ٢٦٠هـ، وغيبة كبري سنة ٣٢٩هـ.

كما يعتقدون - ايضاً - أن هذا الإمام الثاني عشر، قد دخل سرداباً في دار أبيه، ولم يخرج إلى الآن.

وفي الحقيقة التي يشهد بها المؤرخون، أنه ليس له وجود على الإطلاق؛ لأن الحسن بن علي بن محمد لم يكن له عقب، وورثته أمه وأخته، كما ثبتت بذلك كل الروايات الصحيحة في كتب التاريخ، ولكنه عند الشيعة هو الإمام المنتظر الغائب المختبئ منذ أكثر من ألف سنة في سرداب في سامراء ينتظر لحظة الخروج ليقتل أهل السنة ويملاً الأرض عدلاً^(١).

وهذا المصطلح لا نجده في كتب الفرق والمقالات المتقدمة، فلم يذكره القمي في "المقالات والفرق"، ولا النوبختي في "فرق الشيعة"، ولا الأشعري في "مقالات الإسلاميين". ولعل أول من ذكره المسعودي^(٢)، أمّا من غير الشيعة فلعله عبد القاهر البغدادي حيث ذكر أنهم سمو بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٣). قال الرافضي المعاصر محمد جواد مغنية: الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً.^(٤)

٦- "القطعية": وهو من ألقاب الاثني عشرية عند طائفة من أصحاب الفرق كالأشعري والشهرستاني. والإسفراييني^(٥) وغيرهم. وهم يسمون بالقطعية؛ لأنهم

(١) منهاج السنة لابن تيمية (١٧٦/٥)، اصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٨٤٩/٢)، فرق معاصرة للعواجي (٢١٨/١).

(٢) التنبية والإشراف للمسعودي (ص١٩٨).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٦٤).

(٤) أنظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (١/١٠٣)، والاثنا عشرية وأهل البيت (ص١٥).

(٥) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٩٠، ٩١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٦٩)، التبصير في الدين

قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق^(١)

٧- "أصحاب الانتظار": يلقب فخر الدين الرازي الاثني عشرية بأصحاب الانتظار، وذلك لأنهم يقولون بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو غائب وسيحضر.. ويقول: وهذا المذهب هو الذي عليه إمامية زماننا.^(٢)

والانتظار للإمام مما يشترك في القول به جمع من فرق الشيعة على اختلاف بينهم في تعيينه، ولا يختص به طائفة الاثني عشرية^(٣).

٨- "الخاصة": وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم، ويلقبون أهل السنة والجماعة بـ "العامة" جاء في دائرة المعارف الشيعية^(٤) ما نصه: "الخاصة في اصطلاح بعض أهل الداربية: الإمامية الاثنا عشرية، والعامة: أهل السنة والجماعة" ويطلق كثيراً هذا الاستعمال في رواياتهم للأحاديث، فيقولون: هذا عن طريق العامة، وهذا عن طريق الخاصة^(٥).

= للاسفراييني (ص٣٢) الحور العين لنشوان الحميري (ص١٦٦).

(١) انظر: المقالات والفرق للقمي (ص٨٩)، مسائل الإمامة للأكبر (ص٤٧)، مقالات الإسلاميين

للأشعري (١/٩٠)، اصول مذهب الشيعة للقفاري (١/١٠٦).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٨٤-٨٥).

(٣) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/١٠٦).

(٤) دائرة المعارف الشيعية (١٧/١٢٢).

(٥) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (١/١١١).

المطلب الرابع أشهر شخصيات الشيعة على مر العصور

إن لكل فرقة رجالات يناضلون من أجلها، و من أجل بقائها، يضعون قواعدها، ويرسمون مسيرتها، وهذا أمر مقرر عند كل فرقة وطائفة، والناظر إلى فرقة الشيعة الاثني عشرية يجد أن لها مؤسسين ومناضلين، فكان من هؤلاء المؤسسين من غير ما ذكر من الأئمة الاثني عشر^(١) - كما يزعمون -:

١- "عبد الله بن سبأ، وهو يهودي من اليمن. أظهر الإسلام، ونقل ما وجدته في الفكر اليهودي إلى التشيع، كالقول بالرجعة، وعدم الموت، وإثبات البداء، والنسيان على الله ﷻ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وقد كان يقول في يهوديته: بأن يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام)، فقال في الإسلام بأن علياً وصي محمد (صلى الله عليه وسلم)، تنقل من المدينة إلى مصر والكوفة والفسطاط والبصرة، وقال لعلي: "أنت أنت" أي أنت الله مما دفع علياً إلى أن يهيم بقتله لكن عبد الله بن عباس نصحه بأن لا يفعل، فنفاه إلى المدائن."^(٢)

٢- الكليني (المتوفى سنة ٣٢٦هـ) صاحب كتاب الكافي المطبوع في إيران سنة ١٢٧٨هـ وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة، ويزعمون بأن فيه ١٦١٩٩ حديثاً، توفي سنة ٣٢٨هـ.

٣- أبو جعفر الطوسي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) صاحب كتاب (تهذيب الأحكام والاستبصار) المتوفى سنة ٣٦٠هـ وهذان الكتابان من الكتب المعتمدة عند المذهب الشيعي.

٤- منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى سنة ٥٨٨هـ) صاحب كتاب

(١) الأئمة ليسوا مؤسسين للتشيع بل هو منسوب إليهم زوراً.

(٢) انظر كتاب عبدالله بن سبأ/ لسليمان العودة، فهو من أفضل من كتب عن هذه الشخصية.

الاحتجاج طبع في إيران سنة ١٣٠٢هـ.

٥- محمد بن مرتضى المدعو ملا محسن الكاشي صاحب كتاب (الوافي) (المتوفي سنة ١٠٩١هـ)، ومحمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة) المتوفي سنة ١١٠٤هـ، ومحمد باقر بن الشيخ محمد تقي المعروف بالمجلسي صاحب كتاب (بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار) توفي سنة ١١١٠هـ، وآية الله المامقاني ولد في مدينة النجف الأشرف في عام ١٢٩٠هـ وتوفي عام ١٣٥١هـ وهو صاحب كتاب (تنقيح المقال في أحوال الرجال) وهو لديهم إمام الجرح والتعديل، وفيه يطلق على أبي بكر وعمر لقب الجبت والطاغوت، انظر ٢٠٧/١ - طبع ١٣٥٢ بالمطبعة المرتضوية بالنجف.

٦- الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (المتوفي سنة ١٣٢٠هـ) والمدفون في المشهد المرتضوي بالنجف، وهو صاحب كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب)، يزعم فيه بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. ومن ذلك ادعائهم في سورة الانشراح نقص عبارة (وجعلنا علياً صهرك)، معاذ الله أن يكون ادعائهم هذا صحيحاً. وقد طبع هذا الكتاب في إيران سنة ١٢٨٩هـ.

٧- آية الله الخميني (المتوفي سنة ١٩٨٩م) من رجالات الشيعة المعاصرين، قاد ثورة شيوعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وله كتاب (كشف الأسرار) وكتاب (الحكومة الإسلامية). وقد قال بفكرة ولاية الفقيه. وبالرغم من أنه رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة، إلا أنه ما لبث أن كشف عن نزعة شيوعية متعصبة ضيقة، وورغبة في تصدير ثورته إلى بقية العالم الإسلامي^(١).

٨- المفيد هو محمد بن محمد النعمان الكعبري الملقب بالمفيد، نال في زعمهم شرف مكاتبة مهديهم المنتظر، وله قريب من مائتي مصنف. قال الخطيب البغدادي:

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/٥١)، أصول مذهب الشيعة للفقاري (١/٢١٢) والخطوط العريضة للخطيب (ص ١٠-١٩).

كان أحد أئمة الضلال. هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه. ومات
سنة (١٣ هـ) (١).



(١) الفهرست للطوسي ١/٢٠٤ والفهرست لابن النديم ١/٣٦٧.

المطلب الخامس الكتب المعتمدة عند الاثني عشرية

إن لكل أصحاب فكر مرجعيه يرجع إليها حال الحديث عن فكرهم، وبها يذودون عن حياضه، فهي معالم لهم - إن كان فيها معالم -، وهي نجاتهم إن كان لهم فيها نجاة .

فالناظر إلى مذهب التشيع يجد أن لهم كتباً رئيسية تعتبر مصدراً للفكر الشيعي الاثني عشري، وهذه الكتب هي ^(١):

أولها: "الكافي في الأصول والفروع" لمحمد بن يعقوب الكليني، أبي جعفر، الملقب بثقة الإسلام (المتوفي سنة ٣٢٦هـ)، اشتمل كتابه على أربعة وثلاثين كتاباً، وثلاث مئة وستة وعشرين باباً، وأحاديثه ستة عشر ألف حديث، وأغلب الروايات لا تصل للنبي أو الأئمة الأوائل؛ لأن الحديث عندهم ما روي عن أحد الأئمة، فلا فرق عندهم بين واحد منهم وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو أول موسوعة حديثة جامعة ألفت بمدرسة أهل البيت حاول مؤلفه أن يجمع فيه الأصول والمدونات الحديثية الصغيرة، فجمع فيه ستة عشر ألفاً ومئة وتسعين حديثاً، بعد تفحص استمر عشرين سنة، قضاهما متنقلاً بين البلاد طلباً للحديث وأهله.

ويمتاز الكافي عند أصحابه من الشيعة "قربه من الأصول المعتمدة المعول عليها، وبدقة ضبطه، وجودة ترتيبه، وحسن تبويبه، وإيجاز عناوينه، فلا تجد فيه حديثاً

(١) الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيع لصالح الرقب (ص١٦)، الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في التفسير لمحمد العسال (١/١٠٠) وقراءة في عقيدة الشيعة الإمامية للشلهوب (ص٥٧).

ذكر في غير بابيه، كما أنه لم ينقل الحديث بالمعنى أصلاً ولم يتصرف فيه"^(١).

"قال الفيض الكاشاني في معرض ثنائه على الكتب الأربعة: الكافي أشرفها وأوثقها وأتمها وأجمعها لاشتماله على الأصول من بينها، وخلوه من الفضول وشينها.

قال العلامة الطهراني عنه: وهو أجل الكتب الأربعة الاصول المعتمدة عليه، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول... وقد بلغ من شهرة الكافي أنه كان يقرأ في المساجد"^(٢).

"وقد أشار علماء الشيعة إلى أن هذا الكتاب أصح الكتب الأربعة المعتمدة عندهم، وأن أبا يعقوب الكليني كتبه في فترة الغيبة الصغرى التي بواسطتها يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته... وقد طبع عدة طبعات، وشرحه عدد من شيوخهم، ومن شروحه: مرآة العقول للمجلسي، الذي اعتنى بالحكم على أحاديث الكافي من ناحية الصحة والضعف.. وقد صحح كثير من الروايات المفتراه والمكذوبة، والتي هي كفر بإجماع المسلمين كروايات: تحريف القرآن، وتأليه الأئمة، ومنها شرح المازندراني للكافي المسمى "شرح جامع"، وكذلك الشافعي شرح أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني"^(٣).

إلا أن هذا الكتاب العظيم عند الشيعة، أتى من يبين حقيقته من علماء الشيعة الذين عرفوا الحق قبل فوات الأوان، وهو آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقي^(٤) الذي يعود نسبه إلى الإمام محمد الجواد بن موسى الرضا، وقد كان شيعياً

(١) انظر: لمقدمة كتاب وسائل الشيعة للحر العامل (١/٦٥)، وكانت من وضع "مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث".

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: مختصر التحفة للألوسي (ص٦٩)، الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة لصالح الرقب (ص١٦).

(٤) هو آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقي الذي يعود نسبه إلى الإمام محمد الجواد بن موسى

متعصباً للمذهب الجعفري^(١)، ثم اهتدى بفضل الله إلى الحق، فأصبح من أهل السنة • وله مئات التصانيف، والمؤلفات، والبحوث، والرسائل، إلا أن كتابه "كسر الصنم" الذي ألفه في نقد "الكافي" الذي هو أصح كتاب عند الشيعة الإمامية صنماً يجب كسره لما فيه من المتناقضات، والأضداد، ولما بين دفتيه من الخرافات التي لا تعد ولا تحصى.

وهذا النقد له وزنه عند علماء الحق؛ لأنه داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٢)، وداخل - أيضاً - تحت قول العرب "أهل مكة أعرف بشعابها"^(٣)، فمن قرأ هذا الكتاب علم حقيقة الكافي ويكفي^(٤).

ثانيها: "من لا يحضره الفقيه" لشيخهم المشهور عندهم بالصدوق محمد بن

= الرضا - عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب كتاب كسر الصنم، وقد كان شيعياً متعصباً للمذهب الجعفري، حاز على درجة الاجتهاد ولقب بأية الله، ثم اهتدى بفضل الله إلى الحق فأصبح من أهل السنة، له مصنفات من أشهرها "كسر الصنم" المتوفي سنة (١٤١٢هـ)، انظر: دعوة أهل البدع لخالد بن أحمد الزهراني (ص١٠٦).

(١) انظر: مقدمة كتاب "كسر الصنم" للدكتور عبد الرحيم ملا زاده البلوشي (ص٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٢٦).

(٣) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين اليوسي (ص٥٧).

(٤) ونتيجة لهذا الكتاب وبعد قيام الثورة الإيرانية، قام حرس الثورة بالاعتداء عليه وحرصوا عليه سفلة الناس وجهالهم الذين قاموا مراراً بمهاجمة بيته، ولما رأت الدولة أنه لا يفتأ عن المجاهرة بالحق بجرأة بالغة وأنه ماض في أنشطته دست إليه نفرًا من حرس الثورة لاغتياه بالرصاص في عقر داره، فاطلقوا عليه أعيرة نارية وهو قائم يصلي فأصابته الطلقات الخلد الأيسر منه لتخرج من الخلد الأيمن.

وبعد أن نجاه الله من الموت، تم سجنه بعد ذلك لمدة سنة في سجن (أوين) الذي يعد من أفسى السجون الإيرانية، ونفي بعد ذلك إلى مدينة (يزد) ولكن بعد خمسة أيام من نفيه اقتيد إلى السجن ثانية إلى أن توفي (رحمة الله) سنة (١٤١٢هـ) (١٩٩٣م)، انظر مقدمة كتاب "كسر الصنم" للدكتور عبد الرحيم ملا زاده البلوشي (ص٣).

بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ)، وقد كان من أكبر علمائهم بخرسان قدم بغداد سنة ٣٥٥هـ ومات بالري سنة ٣٨١هـ، وصاحبه أوثق عندهم من الكليني مع أنهم يعتبرون كتابه في المرتبة الثانية بعد الكافي، وقد اشتمل على ١٧٦ باباً أولها باب الطهارة وآخرها باب النوادر، وبلغت أحاديثه (٩٠٤٤) وقد ذكر في مقدمة كتابه أنه ألفه بحذف الأسانيد لئلا تكثر طرقه، وأنه استخرجه من كتب مشهورة عندهم، وعليها المعول، ولم يورد فيه إلا ما يؤمن بصحته، وقد اشتمل على الأحكام والسنن من طرق آل البيت، ومراسيله كمسانيده في الصحة والاعتبار، كما أن أكثر ما فيه بطريق الإجازة.^(١)

ثالثهما ورابعهما: "تهذيب الأحكام والاستبصار" وهما لشيخهم المعروف بـ"شيخ الطائفة" أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) و"تهذيب الأحكام" قد ألفه لمعالجة التناقض والاختلاف الواقع في رواياتهم، وبلغت أبوابه (٣٩٣) باباً، أما عدد أحاديثه فبلغت (١٣٠٥٩) خبراً، فهو كتاب مشتمل على الأصول والفروع في العلم الإمامي.

وأما الاستبصار فيحتوي على (٥٥١١) خبراً، وما فيه من أخبار فهي داخلة في التهذيب؛ لأن الاستبصار يتكلم عن الفروع الفقهية فقط، فهو اختصار للتهذيب في الفروع والغالب على الكتابين في الرواية هو الإرسال وعدم اتصال السند رغم الفارق الزمني بينه وبين الإمام الصادق الذي ترجع جل من مروياتهم عنه، وكذلك عدم تمحيصه لرجال أسانيده، ومخالفته لغيره في مروياته من الكتب السابقة عليه، كما أنه يعتمد اعتماداً كثيراً على الإجازة في مروياته.

وهذه الكتب السابقة هي الكتب المعتمدة عند الشيعة، ومع أنها معتمدة عندهم إلا أن رواياتها ومصنفاتها وصفهم الطوسي بأن أكثرهم فاسدو المذهب، حيث قال: "إن

(١) الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيع لصالح الرقب ص ١٦. الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في التفسير لمحمد العسال ١/ ١٠٠، لمقدمة كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي ١/ ٦٥، وكانت من وضع "مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث".

كثيراً من مصنفي أصحابنا يتحلون المذاهب الفاسدة " ومع أنها فاسدة يقول " إن كتبهم معتمدة" (١)

وهذا الأمر ليس بمستغرب على "المذهب الإمامي" فقد عملوا وأخذوا بأخبار الفطحية (٢) مثل: عبدالله بن بكير وغيره، وأخبار الواقفية (٣) مثل: ساعة بن مهران وغيره، والواقفية والفطحية في عداد الكفار عند الإمامية الاثني عشرية ولكنهم يعملون برواياتهم (٤).

بل يزداد على هذا التساهل في عدالة الرواة، أن الشيعة ليس لهم عناية بدراسة الأسانيد والتمييز بين صحيحها وضعيفها، فهم كحاطب ليل يقشون الذي أمامهم، وقد أكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على شيخهم "ابن المطهر" في كتابه "منهاج السنة النبوية" (٥) وبعد هذا الرد من ابن تيمية بدأ الشيعة محاولات في وضع مقاييس لنقد الحديث عندهم وتمييز الصحيح من الضعيف (٦).

وهذا الأمر في استحداث هذا الفن عند الشيعة مما يثبتته الشيعة أنفسهم. يقول صاحب وسائل الشيعة الحر العاملي: "أن هذا الاصطلاح مستحدث، في زمان

(١) انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٢٤-٢٥)، مختصر التحفة (ص ٦٩).

(٢) الفطحية: فرقة من فرق الشيعة قالت بأن الإمام بعد جعفر هو ابنه عبدالله وسموا بالفطحية لأن عبدالله كان أفطح الرأس وقيل: نسبة إلى رئيس لهم يقال له عبدالله بن فطح، أنظر: المقالات والفرق للقمي (ص ٨٧).

(٣) الواقفية: هم الذين وقفوا على موسى بن جعفر وقالوا أنه حي ينتظر وربما يطلق الواقفي على من وقف على موسى بن جعفر كمن وقف على علي أو الصادق أة الحسن العسكري، أنظر المقالات والفرق للقمي (ص ٩٣).

(٤) انظر: المقالات والفرق للقمي (ص ٨٠)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ٦٧).

(٥) انظر منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ١١٠).

(٦) انظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة للقفاري (١/ ٢٧٩).

العلامة^(١)، أو شيخه، أحمد بن طاوس، كما هو معلوم، وهم معترفون به^(٢).

ويذكر العامل الفائدة في ذكر السند هو رفع تعيير أهل السنة للشيعة، فيقول: "والفائدة في ذكره - أي الإسناد - دفع تعيير العامة - أهل السنة - الشيعة بأن أحاديثهم غير معنعة بل منقولة من أصول قدمائهم"^(٣)

وهذا الكلام السابق يفيد تأخر دراسة الشيعة للأسانيد والرجال إلى حوالي القرن السابع، وإن كانت كتابة ترجمة الرجال بدأت عندهم مع "الكشي" في القرن الرابع، كما يقول عالمهم الحر العاملي حيث قال: "ثم اعلم أن أكثر علماء الشيعة كانوا يعملون سابقا بروايات أصحابهم بدون تحقيق وتفتيش، ولم يكن فيهم من يميز رجال الإسناد، ولا من ألف كتابا في الجرح والتعديل، حتى صنف الكشي سنة أربعمئة تقريبا كتابا في أسماء الرجال"^(٤)

ومع وضعهم لضوابط الجرح والتعديل إلا أن عالمهم الفيض الكاشاني يقول عن الجرح والتعديل عندهم: "في الجرح والتعديل وشرئطها اختلافات وتناقضات واشتباها لا تكاد ترتفع بما تطمئن إليه النفوس كما لا يخفى على الخبير بها"^(٥) وعلى كلٍ فهذه هي أمات^(٦) كتب الأخبار عند الشيعة الاثني عشرية، وليست

(١) لفظ "العلامة" إذا أطلق عند الشيعة في كتبهم فالمراد به ابن المطهر الذي رد عليه ابن تيمية في منهاج السنة، واسمه: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي. أنظر مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة للقفاري (١/٢٨٠).

(٢) وسائل الشيعة للعالمي (١٠٢/٢٠).

(٣) المصدر السابق (١٠٠/٢٠).

(٤) المصدر السابق (١١٢/٢٠).

(٥) الوافي للكاشاني (١/١١-١٢).

(٦) يقال أمهات لبنات آدم وأما غيرهن فيقال أمات. أنظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٣٩١)، والمخصص لابن سيده (٤/١٢٥).

كل أخبارهم التي رووها عن أئمتهم، بل لهم مصنفات وكتب لا تحصى، وخصوصاً إذا علمت أن الذين رووا عن الصادق فقط قد تجاوزوا الأربعة آلاف راوي، كل واحد منهم قد روى عدة آلاف حديث، مثل: أبان بن تغلب الذي روى ثلاثين ألف حديث، ومثله: محمد بن مسلم الذي روى ستة عشر ألف حديث عن الصادق فقط^(١)، فالرواية عن الأئمة من الشيعة لا تحصى.

وقد قال شيخهم الفيض الكاشاني: "إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها"^(٢).

وألف شيوخهم في القرن الحادي عشر وما بعده مجموعة من المدونات ارتضى المعاصرون منها أربعة، سموها بالمجاميع الأربعة المتأخرة^(٣) وهي:

١- الوافي: لملا محسن الفيض الكاشاني المتوفي سنة ١٠٩٠هـ.

٢- وبحار الأنوار: للشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المجلسي، شيخ الاسلام وكبير المحدثين عندهم، ولد سنة ١٠٣٧هـ، وتوفي في ١١١٠هـ.

٣- وسائل الشيعة: لمحمد بن الحسن بن علي المعروف بالحر العاملي المتوفي سنة ١١٠٤هـ.

٤- مستدرك الوسائل: لحسين النوري الطبرسي المتوفي سنة ١٣٢٠هـ.

(١) نظر: كتاب الإمام الصادق للمظفر (١١٤/٢).

(٢) الوافي للكاشاني (١١/١)، وانظر: الذريعة للطهراني (١٤/٢).

(٣) انظر: اصول مذهب الشيعة للفقاري (١/٣٥٥)، الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيع لصالح الرقب (ص١٦)، الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في التفسير لمحمد العسال (١/١٠٠)، لمقدمة كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي (١/٦٥)، وكانت من وضع "مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث".

المطلب السادس مجل عقائد الشيعة الاثني عشرية

الناظر إلى عقائد الشيعة الاثني عشرية يجد أنها تأثرت بعقائد أهل الكتاب والديانات الوثنية، يقول العلامة موسى جار الله رَحْمَةُ اللَّهِ: "للشيعة انتحالات من الأناجيل والتوراة ومن سائر الأديان كثيرة، تزيد على مائة، ضبطتها في دفاتري"^(١)، ومع هذا المزيج فهي عقائد متطورة، فهم لا يثبتون على قول واحد في جانب المعتقدات^(٢).

وإليك هذه الإلماحة الموجزة عن اعتقاد هذه الطائفة في القرآن، والسنة، وأصول الدين وأشياء تفردوا بها عن غيرهم في المعتقد، فنقول وبالله التوفيق:

عقيدتهم في القرآن:

القرآن هو المصدر الأول في التشريع عند المسلمين، إلا أن الشيعة كان لهم موقف مغاير جداً لما كان عليه المسلمين نحو القرآن، فهم يقولون: إن القرآن الذي عندنا ليس هو الذي أنزل الله على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بل جرى التغيير والتبديل، وزيد فيه ونقص منه، وجمهور المحدثين منهم يعتقدون التحريف في القرآن كما ذكره صاحب كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)^(٣) للطبرسي وقال محدثهم محمد بن يعقوب الكليني في (الكافي) تحت باب: "أنه لم يجمع القرآن كله إلا"

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله (٢١٢-٢١٣)، وانظر أثر اليهود والنصارى في التشيع (ص٢٩).

(٢) انظر: اصول مذهب الشيعة للفقاري (١/٢١٢) فرق معاصرة للعواجي (١/١٢٨)، وأصول تاريخ الفرق لمحمد مصطفى (١/١٢٣).

(٣) وهو أول من ألف كتاب مستقل في ذلك وانظر: التفسير والمفسرون لحسين الذهبي (١/٣٦٤)، أصول مذهب الشيعة (١/٢١٢)، الشيعة عقائد وموائد لعبدالرحمن الزكزي (ص٣).

الأئمة: "عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر: يقول ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزله الله إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده" (١)

ومن مقولاتهم المشهورة "أن أمير المؤمنين ألف القرآن كما أنزل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وجاء به إلى أبي بكر وعمر وجماعة من الناس فعرضه عليهم، فقالوا: لا حاجة لنا في قرآنك ولا فيك، عندنا من القرآن ما يكفيننا، فقال الإمام: أما - والله - لن تروه بعد هذا اليوم حتى يقوم قائمنا.." (٢)

وهذا القول بالتحريف ليس مقتصرًا على قدماء الشيعة، فإن من العلماء الكبار المعاصرين من يقول بذلك، فهذا العلامة الكبير - كما يزعمون - آية الله العظمى الإمام (الخراساني) وهو - أيضاً - يؤمن بوجود قرآن آخر غير هذا القرآن، حيث يقول: "إننا معاشر الشيعة نعترف بأن هناك قرآنًا كتبه الإمام علي (عليه السلام)، فجاء به إلى المسجد النبوي، فنبذه الفاروق عمر بن الخطاب، فرده الإمام علي (عليه السلام) إلى بيته، ولم يزل كل إمام يحتفظ عليه كوديعة إلهية، وهو محفوظ عند الإمام المنتظر" (٣)

وقولهم بتحريف القرآن ونقصه مما تضافرت به النصوص المتواترة عندهم، حتى أصبح من ضروريات المذهب عند بعض علماء الشيعة (٤).

(١) الكافي للكليني (١/٢٢٨).

(٢) شرح الصحيفة السجادية لنعمة الله الجزائري (ص٤٣).

(٣) الاسلام على ضوء التشيع للخراساني (ص٢٠٤) وأنظر: فصل الخطاب للطبرسي (ص٣١).

(٤) وما سبق ذكره إنما هو إلماحة لقول بعض رموز الشيعة في القرآن وإلا فإن قول الشيعة في تحريف القرآن أمرٌ قد تناقلته الركب، وهو أمرٌ مشتهر عند علماء المسلمين. أنظر: فصل الخطاب (ص٣١-١٥٦-١٥٧)، الكافي للكليني (١/٤٣١-٣٤٢-٣٤٥)، والشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف (ص٤٠-٤٢).

عقيدتهم في السنة المطهرة:

من عرف نظرة الشيعة، ورأيهم في الصحابة، عرف موقف الشيعة من السنة المطهرة، إذ أنكر الشيعة كل الأحاديث التي وردت عن طريق هؤلاء الصحابة، بل إنهم شنوا هجوماً عنيفاً على رواية الحديث كأبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب^(١).

وعلى هذا الأساس لم يقبل الشيعة من الأحاديث إلا الأحاديث الواردة عن آل البيت، أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، يقول صاحب كتاب (أضواء على خطوط محب الدين) إن كل من قرأ كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ومؤلفاتهم في مختلف العلوم الإسلامية كالحديث، والفقه، والتفسير، وجد نقولها تكاد تنحصر عن النبي (صلى الله عليه وآله) عن الإمام علي "عَلَيْهِ السَّلَامُ" عن شيعة الإمام الأربعة: سلمان الفارسي، أبي ذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد بن الأسود وغيرهم من الصحابة الكرام، أمثال جابر بن عبد الله الأنصاري، وابن تيهان، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبي رافع مولى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وغيرهم وعلى رأسهم حبر الأمة عبدالله بن عباس^(٢).

هذا وقد اتسع معني السنة عند الشيعة، فلم تقتصر على قول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية أو الخلقية^(٣)، بل أدخلوا في السنة

(١) أضواء على خطوط محب الدين العريضة لعبدالرحمن الانصاري (ص٤٨-٦٥-٦٨-٩٠) والحكومة الإسلامية للخميني (ص٦٠) و"الشهادة" لعلي شريعتي (ص٢٦) وهذا الكتاب الأخير يتهم الصحابي الجليل أبو هريرة بأنه وأمثاله سلكوا طريقة إبتداع الاحاديث، واختلاق المتون لإسناد وتدعيم حكم معاوية.

(٢) أضواء على خطوط محب الدين لعبدالرحمن الانصاري (ص٦٤).

(٣) فتح المغيث للسخاوي (١/١٠)، توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري (١/٤٠).

أقوال الأئمة، وجعلوها في مرتبة واحدة مع أقوال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١).

فالشيعة الإمامية كما يقول أحد كتّاب الشيعة: "يأخذون بكل حديث يرويه الثقات عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أو عن أحد أئمتهم الأَطهار، ويعتقدون أن أقوال الإمام هي عين أقوال جده رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، سواء أسندها إليه أم أرسلها بدون إسناد، وأن الكذب في حقه محال" لهذا كان عندهم من الأحاديث ما يغنيهم عن الرأي بشتى أقسامه" (٢).

ونتيجة لهذا التأصيل الهزيل، لم يهتم الشيعة بصحة الاسناد، ولا تقويم الرجال كما أهتم به علماء السنة، فرفضوا صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة، واعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني وغيره (٣).

والناظر إلى كتاب الكافي للكليني. يجد أنه أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سناً متصلاً بالنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولا أن يدعي أن هذه أقوال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأنها دين الله، وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق، وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ونادراً ما يقف عند النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (٤).

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة (١/٣٠٨).

(٢) الشيعة في الميزان لمغنية (ص٨١)، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين لأحمد جلي (ص٢٤٠).

(٣) الكافي للكليني (١/٣٤١-٣٤٢-٣٤٥)، ويعتبر كتابه "الكافي" من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، "وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به، والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه، وهم مجمعون على الاقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان إلى اليوم، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الاحاديث" انظر: دراسة عن الفرق لجلي (ص٢٤٢).

(٤) الإمام الصادق لأي زهرة (ص٤٢٩). لا يقتصر الشيعة في الاعتماد على كتاب الكافي، بل لديهم كتاب "← =

عقيدتهم في أصول الدين:

اتخذت الشيعة موقفاً مخالفاً لأهل الحق في أصول الدين، سواءً ما كان متعلقاً بتوحيد الربوبية، أو توحيد الألوهية، أو توحيد الأسماء والصفات، أو ما كان متعلقاً ببقية أركان الإيمان الستة •

أولاً: توحيد الربوبية الذي هو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق والملئ والتدبير وغير ذلك من الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله^(١)، كان موقف الشيعة مخالفاً جداً، إلا أنه يقال هنا. إن الرب عند بعض الشيعة هو الإمام، جاء في أخبارهم - كما يفترون - أن علياً (رضي الله عنه) قال: "أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به"^(٢) وقالوا: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف شاء، فقد عقد الكليني باباً بعنوان: "باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام"^(٣) ثم ساق عدة روايات منها ما نصه: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أما على الإمام زكاة؟ فقال: أحلت يا أبا محمد، أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله، إن الإمام يا أبا محمد لا يبيت ليلة أبداً والله في عنقه حق يسأله عنه."^(٤)

= من لا يحضره الفقيه "لأبي جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه، وصاحب هذا الكتاب من أكابر علماء الشيعة في خراسان، وكتاب "تهذيب الأحكام" و"الاستبصار فيما اختلفت من الأخبار" لمحمد بن حسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعة مليئة بالآلاف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها، بل معظمها موضوع مختلق، أنظر: الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (ص ٤٩).

(١) انظر في معنى توحيد الربوبية: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣/١٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٧)، وتجريد التوحيد للمقريزي (ص ٤٣) ولوامع الأنوار للسفاريني (١/١٢٨-١٢٩)، تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الوهاب (ص ٣٣)، ودعوة التوحيد للهراس (ص ٢٧).

(٢) مرآة الأنوار لابي الحسن العاملي (ص ٥٩).

(٣) الكافي للكليني (١/٤٠٧-٤١٠).

(٤) المصدر السابق (١/٤٠٩).

وأيضاً إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، فقد أخرج المفيد في الاختصاص^(١)، والبحراني في البرهان^(٢)، والمجلسي في البحار^(٣)، ما نصه: عن "مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ".

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الدالة دلالة صريحة على شركهم في توحيد الربوبية الذي أقر به كفار قريش من حيث الجملة.^(٤)

ثانياً: توحيد الألوهية فضلاهم فيه أمر ليس بخاف على أحد، وذلك بجعلهم نصوص التوحيد في ولاية الأئمة، فمن ذلك تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥) بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٦) جاء في تفسير القمي ما نصه: "عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن قول الله لنبيه "لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" قال: تفسيرها لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك؛ ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين."^(٧)

وأما الكليني فأورد لفظاً آخر لتفسير الآية ما نصه: "عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: "ولقد اوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك"

(١) الاختصار للمفيد (ص ٣٢٧).

(٢) البرهان للبحراني (٢/٤٨٢).

(٣) بحار الانوار للمجلسي (٢٧/٣٣).

(٤) انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٠٧-٥٢٤)، مختصر التُّحفة الاثنى عشرية الألووسي (ص ١١٢-١٢٣)، قراءة في عقيدة الشيعة الإمامية للشلهوب (ص ٧٢).

(٥) سورة الزمر الآية (٦٥).

(٦) تفسير القمي (٢/٢٥١).

قال: يعني إن أشركت في الولاية غيره. (١)

وقالوا على قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢)، جاء في تفسير القمي ما نصه: "عن أبي عبد الله عليهما السلام في قوله: "إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير" يقول: إذا ذكر الله ووجد بولاية من أمر الله بولايته كفرتم، وإن يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بأن له ولاية." (٢)

بل جعلوا الولاية أصل قبول الأعمال، فمن ذلك ما جاء في أصول الكافي للكليني: "عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل نصب عليا عليه السلام علما بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا؛ ومن نصب معه شيئا كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة." (٣)

وغير ذلك من النصوص المفضية لتعطيل توحيد الألوهية. (٤)

ثالثا: توحيد الأسماء والصفات، فيظهر فيه وقوع التشبيه عند القدماء ووقوع التعطيل عند المتأخرين، فقد جاء في البحار رواية طويلة ومما جاء فيها ما نصه: "وكمال التوحيد نفي الصفات عنه... (٥) ووصفوا أئمتهم بأنهم هم أسماء الله وصفاته، فقد روى الكليني في الكافي ما نصه: عن "أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

(١) الكافي للكليني (١/٤٢٧).

(٢) سورة غافر الآية (١٢).

(٣) تفسير القمي (٢/٢٥٦) والبرهان للبحراني (٤/٦٤).

(٤) الكافي للكليني (١/٤٣٧).

(٥) انظر: بحار الانوار للمجلسي (٢٣/٩٩-١٠٣)، (٢٧/١٦٩-١٧٢)، انظر للزيادة اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٤٢٥-٥٠٣).

(٦) بحار الانوار للمجلسي (٤/٢٥٨).

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) قال: نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا"^(٢).

وجاء - أيضا - في أصول الكافي ما نصه: عن "أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: نحن المثاني الذي أعطاه الله نبينا محمدا (صلى الله عليه وآله)، ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا وإمامة المتقين."^(٣).

إلى غير ذلك من النصوص التي ستأتي^(٤).

رابعا: الإيمان فقد أحدثت الشيعة في الإيمان أمراً لم يأت في قرآن ولا سنة، وهو الإيمان بالأئمة الاثني عشر، وأدخلوه في مسمى الإيمان. وبالإيمان بالأئمة فسرت الشيعة قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا﴾ : ﴿فَأَنمَأَهُمْ فِي شِقَاقِ﴾^(٥).

ولهذا يقول المطهر ابن الحلي المتوفي سنة ٥٧٢٦هـ: "إن مسألة الإمامة (إمامة الاثني عشر)... هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن"^(٦).

ويقول محمد جواد العاملي: "الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة

(١) سورة الاعراف الآية (١٨٠).

(٢) الكافي للكليني (١/١٤٤).

(٣) المصدر السابق (١/١٤٣).

(٤) انظر: الكافي للكليني (١/٤١٥)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/١٩٤-١٩٨-٢٠٣) والتوحيد لابن بابويه (ص١٦٤)، رجال الكشي (ص٢١١) رقم (٣٧٤)، وبصائر الدرجات (ص١٥١).

(٥) تفسير العياشي لمحمد العياشي (١/٦٢)، وتفسير الصافي الفيض الكاشاني (١/٩٢).

(٦) منهاج الكرامة في معرفة الامامة للحلي (ص١).

الاثني عشر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله" (١).

وزعموا - أيضا - في كماله أنه لا يكمل الإيمان حتى يشهد المسلم بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن علياً ولي الله! ولذا تراهم يرددون في أذانهم، ويلقون موتاهم الشهادة بأن علياً ولي الله، وكذا الولاية للأئمة (٢).

ومن ضلالتهم في الإيمان القول بالإرجاء، يتبين هذا بالرويات الكثيرة التي توضح هذه النزعة، فقد جاء في الكافي باب: "أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة" (٣)، أورد فيه مجموعة من الرويات، نأخذ منها على سبيل المثال: قول أبي عبد الله: "الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل" (٤).

وما سبق ذكره هو عين مذهب المرجئة وطريقتهم، وبه يتبين أن الشيعة أخذت من عقائد الطوائف ما يخلو لها، فضربت من كل طائفة بسهم. وهذا المنهج هو سمة غالبية فيهم، بل لما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "إن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة" (٥)، رد عليه محمد مهدي الكاظمي - شيخ معاصر - فقال: "ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب علي حسنة ليس يضر معها سيئة، فإنه بهتان منه، فإنهم جميعاً متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب" (٦).

(١) مفتاح الكرامة لمحمد جواد (٢/ ٨٠).

(٢) انظر: الكافي للكليني ١/ ٣٤، تهذيب الاحكام للطوسي (١/ ٨٢).

(٣) الكافي للكليني (٢/ ٤٦٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٤٦٤).

(٥) منهاج السنة النبويه (١/ ٣١).

(٦) منهاج الشريعة في الرد على بن تيمية (١/ ٩٨).

خامساً: اعتقادهم في الملائكة، فلا يبعد ضلالهم فيه عما سبق، فقد ذهبوا إلى أن الملائكة خلقت من نور الأئمة!، ففي بحار الأنوار^(١): "خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك، يستغفرون له ولمحببه إلى يوم القيامة". وفي المعالم الزلفي^(٢): "خلق الله الملائكة من نور علي".

وهذه الرواية وما شاكلها ترفع علي بن أبي طالب من مرتبة البشرية إلى مرتبة الألوهية. وهي فتح لطريق عبادته من دون الله، وهو نهج الشيعة.

ومن معتقدتهم في الملائكة قولهم: بأن الملائكة تتردد على زيارة قبر الحسين والبكاء عليه، وزيارة قبره أمنية ملائكة السماء.^(٣)

وهذا الكلام يغذي شرك القبور، وإقامة المآتم على الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن معتقدتهم في الملائكة قولهم: بأن الملائكة خدم لأئمتهم ومحبيهم.^(٤)

هذا بعض ما لدى الشيعة الإمامية نحو ملائكة الله الكرام الكاتين.^(٥)

سادساً: الإيمان بالكتب فعلى ما سبق ذكره في موقفهم من القرآن، فقد تأثر هذا الجانب عند الشيعة بمقتضى عقائدها التي انفردت بها عن سائر المسلمين في مسألة الإمامة وغيرها، فأمنت بكتب ما أنزل بها من سلطان، حيث ادعت أن الله - سبحانه - أنزل على أئمتها كتباً من السماء، كما أنزل كتبه على أنبيائه.

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٢٠ / ٢٣).

(٢) المعالم الزلفي للبحراني (ص ٢٤٩).

(٣) انظر: الكافي للكلييني (٣٢٥ / ١) والتهذيب للطوسي (١٦ / ٢).

(٤) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣٣٥ / ٢٦) و(٣٥٦ / ٢٦)، يقول ابن تيمية: "فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خادماً عبارة من لا يعرف قدر الملائكة وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء... انظر: منهاج السنة (١٥٨ / ٢).

(٥) انظر: الاحتجاج للطوسي (ص ٣١).

فقد زعمت الشيعة أن عندهم "مصحف فاطمة" أنزل عليها بعد وفاة أبيها عليه الصلاة والسلام، تقول إحدى روايات الكافي عن مصحف فاطمة: "... إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها، ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (رضي الله عنه) فقال: إذا أحسست بذلك، وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين (رضي الله عنه) يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً.. أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون" (١).

وتقول هذه الرواية بأن علياً هو الذي كتب ما أملاه الملك، رغم أن رواياتهم الأخرى تقول بأنه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان منشغلاً بجمع القرآن.

ويقولون بأن مصحفهم هذا ثلاثة أضعاف القرآن كما جاء في الكافي (٢).

ومع هذا الاعتقاد الجازم بوجود "مصحف فاطمة" إلا أن هنالك روايات تناقض هذا الاعتقاد، فقد جاء في الكافي عن "أبي عبد الله قال: إن الله عز ذكره ختم بنبينا النبي فلا نبي بعده أبداً، وختم بكتابتكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً..." (٣)، وهذا نص صريح لا يحتاج إلى تعليق، فهو ينسف الروايات السابقة القائلة بمصحف

(١) أصول الكافي للكليني (١/٢٤٠)، بحار الأنوار للمجلسي بحار الأنوار (٢٦/٤١ - ٤٢ - ٤٨)، بصائر الدرجات لمحمد الصفار (ص ٤٣)

(٢) انظر: أصول الكافي (١/٢٣٩) والشافي شرح أصول الكافي للمظفر (٣/١٩٧). ويقول صاحب كتاب أصول الفرق محمد مصطفى (١/٢٢٦) "ولعل جذور هذه المقالة بدأت في عصر علي -رضي الله عنه- كما أشارت إلى ذلك إحدى روايات الإمام البخاري -رضي الله عنه- عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر"

(٣) أصول الكافي (١/٢٦٩)، وانظر: مفتاح الكتب الأربعة للموسوي (٨/٦٤-٦٥).

فاطمة.

وزعمت - أيضاً - بأن لدى الأئمة الاثني عشر الكتب السماوية التي نزلت على جميع الأنبياء فهم يقرؤونها، ويحتكمون إليها^(١).

سابعاً: الإيمان بالرسول فقد أدخلت الشيعة الأئمة في هذا الركن فقالت: بأن الأئمة يُوحى إليهم، بل قالوا: "إن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يتكلمون إلا بالوحي"^(٢). وكقولهم بعصمة الأئمة، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: "إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كما هو الحال عند أهل السنة"^(٣)، ذلك أن الإمامة عندهم "استمرار للنبوته"^(٤)، وأن الأئمة كالرسول "قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه"^(٥).

فهم أعطوهم بهذا معنى النبوته، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله، فقد أعطاه معنى النبوته - وإن لم يعطه لفظه -"^(٦)

بل زعموا أشد من ذلك فقالوا: إن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أتباع لعلي، وإن منهم من عوقب لرفضه ولاية علي، حتى جاء في أخبارهم "عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وأهل الأرض أقر بها من

(١) انظر: الكافي للكليني (١/٢٢٧) و(١/٣٤٠) وبحار الانوار للمجلسي (٢٦/١٨٠-١٨٧-١٨٨).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٧/١٥٥)، (٥٤/٢٣٧).

(٣) تاريخ الإمامية عبد الله فياض (ص١٤٠).

(٤) عقائد الإمامية لمحمد المظفر (ص١٦٦).

(٥) الاعتقادات لابن بابويه (ص١٠٦).

(٦) منهاج السنة لابن تيمية (٣/١٧٤).

أقرّ، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقرّ بها" (١)،
ولهم في هذا المعنى روايات كثيرة ذكرها المجلسي في "باب تفضيلهم على الأنبياء" (٢)
وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، كما يقرره علماءهم (٣).

وليس الأئمة أفضل من الأنبياء فحسب؛ بل ما استحق الأنبياء ما هم فيه من
فضل بزعمهم إلا بسبب الولاية (٤)، ويبدو أن هذا هو المذهب الذي استقر عليه
مذهب الاثني عشرية عبر التغيرات والتطورات التي تلاحق المذهب (٥).

ثامناً: موقفهم من اليوم الآخر، فلا يخلوا من خلل كعادتهم في المعتقدات، وقد
كان للإمامة - أيضاً - أثر واضح في هذا الجانب، يقول صاحب الكافي في أخباره:
"الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله" (٦)،
وتخصيصهم الإمام بذلك لقولهم: "لولا الأئمة ما خلقت الجنة والنار" (٧).

وقد يؤولون اليوم الآخر بالرجعة، والرجعة عندهم هي: الرجوع إلى الدنيا بعد
الموت (٨) وهي من الأمور المجمع عليها ومن ضروريات المذهب (٩).

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/٢٨٢)، بصائر الدرجات للصفار (ص٢٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/٢٦٧-٣١٩).

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة ص١٥١، وانظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٢٦/٢٩٧-٢٩٨، اعتقادات
ابن بابويه (ص١٠٦-١٠٧).

(٤) أنظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/٢٩٤).

(٥) اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦١٧).

(٦) الكافي للكليني (١/٤٠٩).

(٧) انظر: المعالم الزلّفي للبحراني (ص٢٤٩).

(٨) مجمع البحرين لناصف اليازجي (٤/٣٣٤) وأنظر: أوائل المقالات للمفيد (ص٥١).

(٩) انظر: مجمع البيان لطبرسي ٥/٢٥٢، وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (٥٣/١٢٣). الإيقاظ من الهجعة
للحر العاملي (ص٣٣) (ص٦٤).

"وهذه حيلة ماكرة من واضعي هذه النصوص لإنكار أمر اليوم الآخر بالكلية، وأقل ما فيها أنها تصرف قلوب الشيعة، عن ذلك اليوم، أو تمحو معاني اليوم الآخر من نفوسهم؛ لأنهم لا يقرؤون في آيات اليوم الآخر إلا تأويلات شيوخهم له بالرجعة"^(١).

ومن ضلالاتهم - أيضا - قولهم إن حساب الناس يكون على يد الحسين: يقول أبو عبد الله: "إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي (عليه السلام)، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة، وبعث إلى النار"^(٢).

ومن أقوالهم - أيضا -، قولهم: إن الجنة هي من مهر فاطمة في زواجها على، فعن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: "إن الله تعالى أمهر فاطمة (رضي الله عنها) ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار، وتدخل أولياءها الجنة"^(٣) أي أن الجنة جزء من مهر فاطمة، وغير ذلك من الأقوال^(٤).

تاسعاً: الإيمان بالقدر شاع عند متأخري الشيعة نفي القدر، أما متقدمو الشيعة فكانوا متفقين على إثبات القدر، وما ذلك إلا لاتصالهم بالمعتزلة^(٥).

وهذا التباين بين القدماء والمتأخرين، يبينه الإمام الأشعري فيقول: "فهم في أفعال العباد ثلاثة فرق: فرقة يقولون بأن أعمال العباد مخلوقة لله، وأخرى تقابلها فتنفي أن تكون أعمال العباد مخلوقة لله، وثالثة تتوسط وتقول: لا جبر كما قال الجهمي، ولا تفويض كما قال المعتزلة؛ لأن الرواية عن الأئمة، كما زعموا جاءت بذلك، ولم

(١) اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٢٩).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٥٣/٤٣).

(٣) المعالم الزلّفي للبحراني (ص٣٥٠).

(٤) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/٧٩٢)، الاعتقادات للمجلسي (ص٩٥)، وسائل الشيعة للعاملي

(٢/٧٤٢)، تهذيب الاحكام للطبرسي (٢/٢٧).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٢٩٠).

يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أو لا شيئاً" (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن "قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة" (٢).

إلا أن هذا الخلاف جاء على خلاف ما كان عليه سائر أئمة آل البيت، يقول ابن تيمية: "سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر" (٣).

فعلماء أهل البيت الأوائل لم يختلفوا في إثبات القدر، ولم يقولوا بنفي القدر حتى أخذوا بقول المعتزلة وتبنوه فكراً ومنهجاً وعقيدة، وذلك في أواخر المائة الثالثة وأوائل المائة الرابعة (٤).

وعلى ذلك فمصادر الشيعة لم تستقم على قدم واحدة، بل تباينت أقوالها وتفارقت، وسوف نعرض شيئاً من ذلك:

يذكر ابن بابويه القمي: "اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك: أنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها" (٥).

يلاحظ في هذه المقالة إثبات علم الله ﷻ بأعمال العباد، ولكنها تنفي أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد. وهذا القول لم يرتضه شارح عقائد الصدوق وهو المفيد فقال متعباً: "الصحيح عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، والذي ذكره أبو جعفر قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضي الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس يعرف من لغة العرب أن العلم

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١١٤-١١٥).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٢/٢٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (١/٢٢٩).

(٥) عقائد الصدوق (ص٧٥).

بالشيء هو خلق له" (١).

والمفيد نفسه يقول بخلق أفعال العباد، وأنهم خالقون لها ولكنه لا يطلق عليها لفظ الخلق، بل يسلك بها مسلكاً آخر، فاختلفت الألفاظ واتفقت المعاني، والعبرة بالمعاني لا بالمباني، فقال: "أقول إن الخلق يفعلون، ويحدثون، ويخترعون، ويصنعون، ويكتسبون ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولاهم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره الله تعالى ولا أتجاوز به مواضع القرآن وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية...." (٢).

إلا أن هذا الامر بان بعد ذلك في عبارات بعض شيوخ الشيعة الإمامية، فقد عقد الحر العاملي باباً في الفصول المهمة في أصول الأئمة (٣) وسماه: "باب أن الله سبحانه خالق كل شيء إلا أفعال العباد"، وقال: "أقول مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها".

وذهب إلى مثل هذا شيخهم الطبطبائي في مجالس الموحدين في بيان أصول الدين (٤) فقال: "ذهب الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها...".

والناظر في ما سبق يجد أن كتب الحديث لدى الشيعة الإمامية، تخالف كثيراً ما ذهب إليه مشايخهم في القول بخلق أفعال العباد، وسوف نعرض بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث عندهم لبيان مخالفة مشايخهم، لما قال به علماء آل البيت.

قال الكليني: "قال أبو جعفر وأبو عبد الله: إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر

(١) شرح عقائد الصدوق (ص ١٢).

(٢) أوائل المقالات للمفيد (ص ٢٥).

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (ص ٨٠).

(٤) مجالس الموحدين للطبطبائي (ص ٢١).

خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكن، قال: فسئلاً عليها السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قال: نعم أوسع ما بين السماء والأرض" (١).

وفي بحار الانوار: "وقال أبو عبد الله: "إنك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هو من ديني ولا دين آبائي، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به" (٢).

وفي البحار - أيضاً -: "وقال أبو عبد الله: ويح القدرية أما يقرؤون هذه الآية ﴿إِلَّا أُمَّرَاتُهُ، قَدَرْنَهَا مِنَ الْعَبْرِينَ﴾ (٥٧) ويجهم من قدرها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى" (٣).

وهذه النصوص التي هي في كتب الشيعة تخالف ما عليه المتأخرون من أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله.

قال هاشم معروف وهو أحد شيوخهم المعاصرين: "أما الإمامية فالعدل من أركان الإيمان عندهم، بل ومن أصول الإسلام" وهذه اللفظة تحاكي قول المعتزلة فالعدل من الأصول الخمسة (٤) عند المعتزلة (٥).

(١) أصول الكافي للكليني (١/١٥٩).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٥/٥٦).

(٣) سورة النمل الآية (٥٧).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٥/٥٦).

(٥) المعتزلة لعود المعتنق (ص١٥١).

(٦) انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٣٨).

عقيدتهم في الصحابة:

الصحابة: مفردا صحابي: وهو من لقي النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح^(١).

هذا تعريف الصحابي عند الجمهور^(٢)، وكم هو من فضل أن يرى الشخص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لا يكتمل هذا الفضل حتى يؤمن به.

وقد كمل بحق للصحابة هذان الأمران بل ناصر وه وأزروه، بل قالوا: "نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا"^(٣).

ومع هذا الفضل الذي حصل للصحابة، إلا أن الشيعة لم يأخذوا به، بل بالغوا في العداة لهم وكفروهم، وحكموا بردة أخيارهم، واختلقوا عليهم أكاذيب وافتراءات لا يصدّقها من له أدنى مسكة من عقل.

وبلغ من حقدهم على خيرة الصحابة أن كرهوا لفظة العشرة التي تذكرهم بالعشرة المبشرين بالجنة، وهم في موقفهم هذا قد خرجوا عن منهج الله ورسوله حيال المؤمنين عموماً والصحابة خصوصاً، الذين أثنى الله عليهم وشهد لهم بكل خير، فردوا شهادة الله فيهم، وتعبّدوه بسبب أوليائه وتكفيرهم، وحتى لم يشكروا لهم إحسانهم في إيصال الدين إليهم، وإخراجهم من الوثنية والمجوسية إلى نور الإسلام، وتناسوا جهادهم في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وأخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

فقد أورد المجلسي عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم. قالوا: يا رسول الله

(١) نخبة الفكر لابن حجر (ص ٢٣٠).

(٢) انظر: شرح نخبة الفكر للقاري (ص ٥٧٦).

(٣) مسند الإمام أحمد برقم (٢٢٨٢١)، وسيرة ابن هشام (١/٤٤٣)، الروض الانف للسهيبي (٢/٢٦٥).

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نحن كنا معك بدير وأحد وحين، ونزل فينا القرآن؟ فقال: إنكم لو تحملوا ما حملوا، لم تصبروا صبرهم" (١)

وأما الكليني فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة، فقال معرضاً بأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عند شرحه لقول الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۗ﴾ (١٩) (٢): "عن زرارة، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۗ﴾ قال: يا زرارة، أو لم تتركب هذه الأمة بعد نبيا طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان" (٣).

وقال "وعن أبي عبد الله في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٤).

قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أول الأمر وكفروا حين عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "من كنت مولاه فعليّ مولاه"، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين (ع)، ثم كفروا حيث مضى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فلم يقرؤا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه البيعة لهم، لم يبق فيهم من الإيمان شيء (٥).

وقال -أيضاً- في ذمّه للصحابة رضوان الله عليهم ما يرويه عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، في قوله ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ (٦)، قال لما نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٧) اجتمع

(١) بحار الأنوار للمجلسي (١٣٠/٥٢).

(٢) سورة الانشقاق الآية (١٩).

(٣) أصول الكافي (١/٣٤٣.٣٠٠)، وانظر: فرق معاصرة للعواجي (١/٢٤١).

(٤) سورة النساء الآية (١٣٧).

(٥) أصول الكافي للكليني (١/٣٤٨-٣٠٢).

(٦) سورة النحل الآية (٨٣).

(٧) سورة المائدة الآية (٥٥-٥٦).

نفر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إنا كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما، وإن آمننا، فإن هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب.

فقالوا قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكننا نتولاه، ولا نطيع علياً فيما أمرنا، فقال: فنزلت هذه الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) يعرفون يعني ولاية علي بن أبي طالب، وأكثرهم الكافرون بالولاية^(١).

هكذا وضع الشيعة صورة قائمة لحياة الصحابة، فيها كثير من التجني والتجريح لشخصياتهم، واستخدموا في ذلك أقبح الاوصاف وأقذر الالفاظ، مما يعف اللسان عن ذكره، والقلم عن كتابته^(٢).

عقيدتهم في الإمامة:

الإمامة عند الشيعة من الأصول المهمة في المذهب، ويظهر ذلك جلياً في وضع أبواب خاصة بها، فمن هذه الأبواب باب: "وجوب معرفة الإمام، وأنه لا يعذر الناس بترك الولاية، وأن من مات ولا يعرف إمامه أو شك فيه، مات ميتة جاهلية وكفر ونفاق"^(٣) و"أن من أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع"^(٤) و"عرض الأعمال

(١) أصول الكافي للكليني (١/٣٥٤-٣١٠).

(٢) انظر: الكافي للكليني (١/٣٠٠-٣١١-٣٥٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/٢٢٧-٢٤٧)، رجال الكشي (ص٦)، للزيادة أنظر أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٧٣٤) ودراسة في الفرق لجلي (ص٢٣٥)، فرق معاصرة للعواجي (٢/٧٤١).

(٣) بحار الانوار للمجلسي (٢٣/٧٦-٩٥) وفيه (٤٠) رواية.

(٤) المصدر السابق (٢٣/٩٥-٩٨) وفيه (٦) رواية وانظر: (٢٣/٩٩-١٠٣) وفيه (١١) رواية. (٢٣/٣٩٠-٣٥٤) وفيه (١٠٠) رواية.

عليهم، وأنهم الشهداء على الخلق" (١).

فهذه الأبواب (١) يعلم منها علماً يقينياً أن القوم قد غلوا في هذا الجانب، وخرجوا عن الصواب.

ولعل أول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة هو ابن سبأ، الذي بدأ يذكر القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ "كان أول من أشهر القول بفرض إمامة عليّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وكفرهم" (٢).

فكان من أصولهم: "أنه لا يجوز للرعية اختيار إمام، بل لا بد فيه من النص" (٣)، "فالإمامة لا تكون إلا بالنص" (٤) وأن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نص على عليّ وأولاده (٥)، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة. وقد ظهرت بدايات هذه العقيدة على أيدي السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ (٦)، إلا أن شيوخ الشيعة ادعوا أن هذا الأمر هو من شرع الله ورسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأقوال أئمة أهل البيت، وأخذوا يستدلون على ذلك "بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة

(١) المصدر السابق (٢٣/٣٣٣-٣٥٣) وفيه (٧٥) رواية، البصائر (٤٢٤-٤٣٤) وفيه (٥٠) رواية، الكافي للكليني (٢١٩/١) وفيه (٤) روايات.

(٢) وهذا غيض من فيض مما هو موجود في كتبهم، انظر: الإمامة والنص ليفصل نور (ص ٣٥).

(٣) أصول الكافي للكليني (٤٠٩/١).

(٤) الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (ص ١٤٢)، دراسة عن الفرق لجلي (ص ١٩٧)، أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٤٩).

(٥) عقائد الإمامية للمظفر ص ١٠٣.

(٦) أصول الكافي للكليني (٢٨٦/١) وما بعدها.

(٧) عبد الله بن سبأ للعودة (ص ٢٠٩).

ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" (١)

فمن أدلتهم من القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) (٢)، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم، حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم (٣).

وأما من السنة فقد تعلق الشيعة في إثبات النص من طرق أهل السنة بما ورد في فضائل علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، ويلاحظ أن باب الفضائل مما كثر فيه الكذب، ويقال: بأن الشيعة هم الأصل فيه. يقول ابن أبي الحديد: "الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة" (٤)، ولهذا تجد في كتب الموضوعات الأحاديث الموضوعية في حق علي أكثر من غيره من الخلفاء الأربعة، حتى لو نظرنا لفضائل علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الواردة في حقه، فإنها بعيدة كل البعد عن القول بوصيته أو استخلافه - ناهيك عن القول بعصمته -

يقول ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأما الذي صح من فضائل علي فهو قول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (٥)، وهذا

(١) مقدمة ابن خلدون (٢/٥٧٢٠).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٥).

(٣) انظر: مجمع البيان للطبرسي (٢/١٢٨) وأصول وتاريخ الفرق لمصطفى محمد (١/٢٣٢)، مع الرد على هذا الاستدلال.

(٤) المصدر السابق (١/٢٣٨).

(٥) ونص الحديث كما أخرجه البخاري - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي" (صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة تبوك برقم (٤٤١٦)، ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب برقم (٢٤٠٤)

لا حجة فيه للرافضة، ولا يوجب له فضلاً على من سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما ولي الأمر بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه، الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صاحبه في الغار، الذي سافر معه إلى المدينة... وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فصح أن كونه (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بمنزلة هارون من موسى، إنما هو في القرابة فقط... فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين" (١).

ولهم ادلة سواء من القرآن أو من السنة غير ما ذكرناه، يستدلون بها على الامامة ومتعلقاتها، تصدي لها أهل العلم بالرد والتبيين (٢).

عقيدتهم في الأئمة:

الغلو هو منطلق الشيعة في عقائدهم تجاه الأئمة، سواء ما كان متعلقاً بأقوال أئمتهم أو أفعالهم، وأساس هذا الغلو القول بعصمتهم الذي هو الممهد لجميع الاعتقادات الباطلة فيهم.

فهذا الكليني ينقل عن الإمام جعفر الصادق بأنه قال: "لنحن قوم معصومون أمر بطاعتنا ونهي عن معصيتنا" (٣)، ومن هذا الاعتقاد قالوا: إنهم خزّان علم الله، وتراجم وحي الله، والحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض (٤)،

(١) الفصل والنحل لابن حزم (٤/١٥٩-١٦٠) بتصرف بسيط، وانظر في إبطال احتجاج الشيعة بهذا الحديث: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٧٤).

(٢) انظر لهذه الأدلة والردود من كتاب اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٦٤٩).

(٣) أصول الكافي للكليني (١/١٦٥).

(٤) المصدر السابق (١/١٩٢).

وهم الأوصياء ولولاهم ما عُرِفَ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبهم احتج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على خلقه^(١) .
 وجاء أيضاً في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "إن الله أنزل على القرآن، وهو الذي من خالفه ضل، ومن يتبغى علمه عند غير علي هلك"^(٢)، وهذا القول مناقض عما عُلِمَ من دين الإسلام، أن عِلْمَ القرآن لم يكن سرّاً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص^(٣) بهذا دون سائر صحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأن الصحابة (رضوان الله عليهم) هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد بن عبد الله ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تحالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله - سبحانه - قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل .

وهذا الغلو وإن كان من طوام الشيعة في أئمتهم، إلا أن هنالك غلواً أطم منه وهو "اعتقادهم بأن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه"^(٤) .
 وهذه الدعوى تقوم على أن دين الإسلام ناقص، ويحتاج إلى الأئمة الاثني عشر لإكماله، وأن كتاب الله وسنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لم يكمل بهما التشريع .

(١) المصدر السابق (١/١٩٣).

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/١٣٨، وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (٧/٣٠٢-١٩/٢٣)، آمالي الصدوق (ص:٤٠).

(٣) ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية: "أن ابن عباس من أكثر الصحابة من نُقل عنه التفسير بالأسانيد الثابتة، وقال أن ما نقل عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قليلة جداً، ولم يُحْرَج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه، وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً" منهاج السنة لابن تيمية (٤/١٥٥) بتصرف.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٨) وانظر: أصول الكافي للكلييني (١/٢٦٥) بحار الانوار للمجلسي (٢٣/٢٠٦) (٢٤/١١٤-١١٨-١٧٣-١٨٤-٢١١).

وهي دعاوى لا تحتاج إلى نقد، فهي ظاهرة العي شرعا وعقلا، ومع ذلك فلا يزالون يتخبطون في الغلو، فمن قرأ رواياتهم^(١) أو سمعها، أيقن أنها ليست من عند الله - سبحانه -، يعرف هذا من له أدنى صلة بلغة العرب، فضلا عن دين الإسلام وقواعده وأصوله.

عقيدتهم في التقية:

التقية عند الشيعة أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن، أي أن معناها النفاق والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطرب المكره^(٢).

وهي ركن من أركان الدين عندهم، يظهر ذلك جليا في كتبهم، فقد جاء عن جعفر أنه قال: "التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له"^(٣)، بل الذي ينكرها هو منكر لدين الإسلام، وهي واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم وهو "الإمام الغائب"، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله تعالى، ومن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة^(٤)، وهي تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له^(٥).

إلا أننا لا نستطيع تصورها حتى بد أن نعرف معني التقية.

قال ابن حجر: التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير^(٦)، وهذا يعني الكتمان، وقد يضطر لإظهار خلاف ما في النفس بلسانه، قال ابن عباس: "التقية باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان" وقال أبو عالية: التقية باللسان

(١) بحار الانوار للمجلسي (٢٤/١٠٠-١١٠) و(٢٤/٢١١-٢١٣).

(٢) انظر: الخطوط العريضة للخطيب (ص٧)، اصول المذهب الشيعة للقفاري (٢/٨٠٥).

(٣) الكافي للكليني (٢/٢١٧-٢١٩) وهذا القول منسوب لجعفر الصادق

(٤) الاعتقادات للقمي (١١٤-١١٥).

(٥) الكافي للكليني (٢/١٢٧).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٢/٣١٤).

وليس بالعمل^(١).

فهي إظهار خلاف ما في الباطن^(٢)، والله تعالى قد أباحها لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان.

إلا أن هذا المعنى للتقية غير مراد عند الشيعة، فهذا "المفيد" يعرف التقية عندهم بقوله: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا"^(٣).

فالتقية عندهم: هي الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين، وهم أهل السنة كما هو الغالب من إطلاق هذا اللفظ عندهم، أي هي إظهار مذهب أهل السنة (الذي يرونه باطلاً)، وكتمان مذهب الرافضة الذي يرونه هو الحق^(٤).

والتقية في الإسلام غالباً إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقِيَةً﴾^(٥) قال ابن جرير الطبري: "التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم"^(٦).

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه

(١) انظر: تفسير الطبري: (٦/٣١٤-٣١٥)، فتح الباري لابن حجر (١٢/٣١٤).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير (١/١٩٣).

(٣) شرح عقائد الصدوق (ص٢٦١).

(٤) من هنا يرى بعض العلماء أن أصحاب هذه العقيدة هم شر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفاً، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة، انظر: رسالة في علم الظاهر والباطن لأبن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/٢٤٨).

(٥) سورة آل عمران الآية (٢٨)

(٦) تفسير الطبري (٦/٣١٦).

لا يحكم عليه بالكفر.. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام، فهو أفضل، قال ابن بطال: "وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله"^(١).

ولكن التقية التي عند الشيعة خلاف ذلك، فهي عندهم ليست رخصة، بل هي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه: "اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة"^(٢).

وقد مرت بك بعض النصوص التي بها تُعلم عقيدته القوم في التقية، وغلوهم فيها.

عقيدتهم في الرجعة:

الرجعة: هي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وهي من أصول المذهب الشيعي، يظهر ذلك في بعض رواياتهم، فمن هذه الروايات "ليس منا من لم يؤمن بِكَرَّتِنَا"^(٣). وقال المفيد: "واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات"^(٤).

وقد ذهب فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم، ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم، ويقول: بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ^(٥)، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته^(٦).

(١) فتح الباري (١٢/٣١٤-٣١٧)، وانظر: الحدود والتعزيرات عند ابن القيم لا بكر أبو زيد (ص٤٤٣).

(٢) الاعتقادات لابن بابويه (ص١١٤).

(٣) من لا يحضره الفقيه لابن بابويه (٢/١٤٨)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٤/٤٣٨)، الاعتقادات لابن بابويه (ص٦٠).

(٤) أوائل المقالات للمفيد (ص٥١) وانظر: مجمع البيان للطبرسي (٥/٢٥٢). الإيقاظ من المهجعة للحر العاملي (ص٦٤).

(٥) عبدالله بن سبأ للعودة (ص٢٠٨).

(٦) المصدر السابق.

كانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس. ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث^(١).

ومن أعظم الأدلة التي استدلووا بها على الرجعة قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢)، يقول شيخ المفسرين القمي: "هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك، ومن لم يهلك"^(٣).

والمتمعن للآية يجد أنها حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا، إذ معناها كما صرح به ابن عباس، وأبو جعفر الباقر، وقتادة وغير واحد حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم، أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(٤).

عقيدتهم في البداء:

من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على الله ﷻ حتى بالغوا في ذلك، فقالوا "ما عبد الله بشيء مثل البداء"^(٥) و"ما عظم الله عَجَلِكُمْ بِمِثْلِ الْبِدَاءِ"^(٦).

والبداء هو الظهور بعد الخفاء، تقول بدا سور المدينة أي: ظهر ومنه قوله تعالى:

(١) روح المعاني للألوسي (٢٧/٢٠).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٩٥).

(٣) تفسير القمي (٧٦/٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٥/٣).

(٥) أصول الكافي للكليني (١٤٦/١)، (١٤٨/١)، (١٤٨/١) وقد ذكر الكليني بابا خاصا في البداء ذكر فيه

سنة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة.

(٦) المصدر السابق (١٤٦/١).

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^(١)، وقد تأتي بمعنى الرأي الجديد ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٢).

قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر، وقال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي^(٣).

فعلى ما سبق ذكره من معاني البداء سواء "ظهور بعد خفاء وهذا في المحسوسات" أو "ظهور رأي جديد وهذا في غير المحسوسات"، يستلزم سبق الجهل^(٤) وحدوث العلم، وأن الله تعالى يغيّر رأيه لعدم علمه المسبق بما حصل، وهذا كفر ومحال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الفرى، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعي أنه ما عظم الله ﷻ بمثل البداء، - سبحانه هذا بهتان عظيم -.

وقد استدلت الشيعة على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥)، قال الكليني: ف"عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى وقت هذا الأمر [يعني خروج المهدي] في السبعين، فلما أن قُتل الحسين صلوات الله عليه؛ اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم، فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال: قد كان ذلك "وهذه من شنعاتهم،

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٤).

(٢) سورة يوسف الآية (٣٥).

(٣) الصحاح للجوهري (٦/٢٢٧٨)، ولسان العرب (١٤/٦٦).

(٤) لذلك حينما نفي غلاة القدرية العلم عن الله قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا" أنظر شرح الطحاوية لأبن أبي العز (ص ٢٧٠).

(٥) سورة الرعد الآية (٣٩).

فكانه لم يكفهم أن نسبوا هذه الفرية إلى الله، حتى زعموا أن كتاب الله أثبت فريتهم، فتعلقوا بقوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّطُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) والقول بالبداءة من أفكار اليهود التي انتقلت إليهم عن طريق من ادعى الإسلام منهم^(٢).

عقيدتهم في المهدي والغيبة:

يؤمن أهل السنة بالمهدي الذي صحت به الأحاديث، ولكن غير مهدي الشيعة الذي وصلوا في إيمانهم به وانتظاره وترقبه إلى حد جعلهم محل سخرية العالم منهم. وأول فرق الشيعة القائلة بالمهدية هم السبئية فحينما وصل مقتل علي بن أبي طالب لعبدالله بن سبأ قال: "كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض"^(٣). وهي تحمل في طياتها ما تحمل من العقائد الفاسدة وخصوصاً مسألة المهدي والغيبة.

فالسبئية تعتبر أول فرقة قالت بالوقف على عليّ وغيبته، حيث زعمت "أن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً"^(٤)، ثم بعد ذلك أصبحت عقيدة أغلب فرق

(١) يقول صاحب أصول وتاريخ الفرق (١/٢٥٧) "ويلحظ أن أول من استدل بهذه الآية على فرية البداء هو المختار بن أبي عبيد، وتابعه شيوخ الشيعة، ووضعوا روايات في ذلك أسندوها لبعض علماء آل البيت لتحظى بالقبول".

(٢) انظر: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة موسى جار الله (ص٢٠٨)، نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٥٨)، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان للزغبى (ص٤٢٧).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٩-٢٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٤)، فرق الشيعة للنوبختي (ص٢٢).

(٤) المصدر السابق.

الشيعة. كما يقول د. ناصر القفاري^(١).

أما عن الأدلة التي يستدل بها الشيعة على المهديّة والغيبة فهي كالعادة تأويلات الباطنية متسمة بالتكلف الشديد والشطط البالغ.

وإليك صوراً من ذلك: فقد جاء في تفسير القمي في قوله سبحانه: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَى﴾^(٢). قال: "النهار هو القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ منا أهل البيت"^(٣).

وجاء في الكافي عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾^(٤)، قال: "إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد"^(٥).

والكلام حول أدلة مهديهم يطول وللزيادة من هذه الأدلة الواهية أنظر إلى كتاب "ما نزل من القرآن في صاحب الزمان" لعبد العزيز الجلودي، و"المحجة فيما نزل في القائم الحجة" لشيخهم هاشم البحراني.

فقد قاما بتأويل كثير من الآيات تأويلاً باطنياً، مما يدل دلالة ظاهرة على فساد الفكرة التي يحاولان تقريرها من أصلها.

أما المهديّة والغيبة عند الاثني عشرية فتختلف من حيث إنها ارتبطت عندهم "بشخصية خيالية" لا وجود لها عند أكثر فرق الشيعة المعاصرة لظهور هذه "الدعوى" وهي عند أصحابها شخصية رمزية، لم يرها الناس، ولم يعرفوها، ولا يعلمون مكانها، غابت - كما يدعون - بعد ولادتها، ولم يظهر حملها، وأحيطت ولادتها بسياج من السرية والكتمان، بل إن عائلتها، ووكيلها وأقرب الناس إليها لم يعلموا بأمر

(١) اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٨٢٤).

(٢) سورة الليل الآية (٢)

(٣) تفسير القمي (٢/٤٢٥).

(٤) سورة الملك الآية (٣٠).

(٥) الكافي للكليني (١/٣٣٩) وانظر: تفسير العياشي (٢/٧٦).

هذا الحمل وذلك المولود، وكانوا له منكرين، بل لم يظهر للشيعة التي تدعيه إلا من خلال نواب يدعون الصلة به.

هذه الشخصية هي شخصية المهدي المنتظر عندهم، ويشكّل الإيمان بها عند الاثني عشرية الأصل الذي ينسب عليه مذهبهم، والقاعدة التي تقوم عليها بنية التشيع عندهم؛ إذ بعد انتهاء وجود أئمة الشيعة بوفاة الحسن العسكري أصبح الإيمان بغيبة ابنه المزعوم هو المحور الذي تدور عليه عقائدهم، والأساس الذي يمسك بنيان الشيعة من الانهيار.

فبعد موت الحسن العسكري وهو إمامهم الحادي عشر (٢٦٠هـ) "لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه"^(١)، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها.

فاضطرب أمر الشيعة، وتفرق أمرهم؛ لأنهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، لأنّه هو الحجّة على أهل الأرض^(٢)، وبه بقاء الكون، إذ "لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت"^(٣)، وهو أمان الناس "ولو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لما جت بأهلها كما يموج البحر بأهله"^(٤)

وقد ذكر النوبختي أن الشيعة الاثني عشرية افتقرت إلى أربع عشرة فرقة أو خمس عشرة فرقة كما ذكر القمي^(٥)، وقد ذهبت هذه الفرق مذاهب شتى في أمر الإمامة، فمنها من وقفت على الحسن العسكري، وقالت بمهديته وانتظاره كما هي

(١) المقالات والفرق للقمي (ص١٠٢)، فرق الشيعة للنوبختي (ص٩٦).

(٢) أصول الكافي للكليني (١/١٨٨).

(٣) المصدر السابق (١/١٧٩).

(٤) المصدر السابق (١/١٧٩).

(٥) فرق الشيعة للنوبختي (ص٩٦)، والمقالات والفرق للقمي (ص١٠٢).

العادة عند الشيعة بعد وفاة كلِّ إمام تدَّعي إمامته، وذهبت فرقة أخرى إلى الإقرار بموته، ولكنها زعمت أنه حيٌّ بعد موته، ولكنه غائب وسيظهر^(١)، بينما فَرَّقَ أخرى حاولت أن تمضي بالإمامة من الحسن إلى أخيه جعفر^(٢)، وأخرى أبطلت إمامة الحسن بموته عقيماً^(٣).

أما الاثنا عشرية فقد أتت بأمر عجاب وهو أن للحسن ولداً، لكن هذا الولد اختفي لصعوبة الوقت وشدة طلبه من قبل السلطان، "فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته"^(٤).

(١) فرق الشيعة للنوبختي (ص٩٧)، المقالات والفرق (ص١٠٧).

(٢) المقالات والفرق (ص١١٠).

(٣) المقالات والفرق للقمي (ص١٠٩)، فرق الشيعة للنوبختي (ص١٠٠-١٠١).

(٤) الإرشاد للمفيد (ص٣٨٩).

المطلب السابع الحكم على الشيعة

ليس من الهين الحكم على طائفة أو شخص بعينة بالتكفير أو التضليل، فإن باب التكفير والتضليل زلت فيه أقدام كثيرين قديما وحديثا، وخطورته تكمن في فساد الدين؛ لأنه متوعد بالعقاب كما في الحديث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما"^(١) ولذا فنحن نخاف على ديننا، كما أن تعطيل أحكام الشرع بدعة خطيرة، وقد تصل إلى ما هو قريب من الكفر، ولذا فينبغي الخوض في هذا الباب بالعلم والبصيرة، حتى لا يلحق الحرج من تكلم فيه بغير علم ولا هدى^(٢).

هذا من حيث العموم، وإلا فإن الدارس لفرقة الشيعة لا بد له أن يلحظ أمرين:

١- الحكم على فرقة الشيعة.

٢- الحكم على أتباع هذه الفرقة.

فأقول: أما الأمر الأول وهو "الحكم على فرقة الشيعة كمذهب أو كفرقة" فلا يختلف أحد أن المذهب الشيعي مر بمراحل، كان بدايتها التشيع إلى آل البيت، ثم تطور بهم الأمر حتى أتوا بأمور كفرية إجماعا لا خلاف فيها بين العامة فكيف بالخاصة من العلماء!!

وعلى هذا فالحكم العام على المذهب الشيعي أنه مذهب ضلالة وفسق خارج عن الحق، وهالك مع الفرق التي أخبرت عنها الأحاديث، هذا الحكم لا غبار عليه.

وهذا الأمر يتضح في أن المذهب الشيعي فيه مبادئ ثابتة في كتبهم المعتمدة، قررها رجالهم المعترفون القدوات في مذاهبهم، فمن قال ولو ببعض من تلك

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في المغازي برقم (٦١٠٤) ومسلم في الإيمان برقم (٢٢٤).

(٢) تقريب وترتيب شرح الطحاوية لخالد فوزي (١/٢٢١).

المبادئ فلا شك في خروجه عن الملة الإسلامية، ومنها:

١- قولهم بتحريف القرآن وأنه وقع فيه الزيادة والنقص حين جمعه أفاضل الصحابة (رضوان الله عليهم)، كما صرح بذلك الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ في كتابه "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، حيث نقل فيه نحواً من ألفي قول عن أئمتهم المتقدمين في تحريف القرآن الكريم ونقصانه، وجمع فيه أقوال جميع الفقهاء وعلماء الشيعة في التصريح بتحريف القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين، ويبيّن أن جميع علماء الشيعة وفقهائهم المتقدمين منهم والمتأخرين، يقولون: إن هذا القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين محرّف، كما ذكر أسماء أشخاص وكتب ممن نص من الرافضة على هذه العقيدة المكفّرة وكله كذب وافتراء ودجل^(١).

وغيره من كتب الشيعة، ومع هذا القول أيضاً فهم ينتظرون المصحف المزعوم مصحف فاطمة^(٢).

والقول بهذا كفر إجماعاً نقل الإجماع ابن حزم، والنووي، والشوكاني^(٣) والأمر في ذلك مشهور.

٢- غلوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة، والحديثة، كـ"الكافي للكليني" وما كتبه الخميني في هذا العصر الحديث شاهد على ما نقول. ولعل من أشهر عبارات الخميني في ذلك قوله: "ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأنهم كانوا قبل خلق هذا العالم أنواراً وجعلهم الله بعرشه مُحَدَّثِينَ وجعل لهم من المنزلة والقربى ما لم يجعله

(١) أثر اليهود والنصارى والمجوس في التشيع لأبو علي المرتضى بن سالم الهاشمي (ص٣٣٦)، وانظر: الشيعة والسنة إحسان إلهي ظهير (ص١٢٣، ١٢٤)، وكتاب الشيعة والتصحيح للموسوي (ص١٨٣-١٨٩).

(٢) انظر: الكافي للكليني (١/٢٣٩-٢٤١) وبحار الأنوار للمجلسي (٢٦/٤١-٤٢-٤٨).

(٣) انظر: المجموع لابن تيمية (٢/١٨٥)، (٣/٢٩٢)، والمحلى لابن حزم (٦/٤٤٦)، ومراتب الإجماع لابن حزم (١٧٤)، شرح مسلم للنووي (٤/١٠٠)، ونيل الأوطار للشوكاني (٢/٢٠١).

لأحد من العالمين" (١)

٣ - غلوهم في بُغض الصحابة ممن شهد الله لهم بالفوز والنجاة، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وأم المؤمنين عائشة (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا)، وحفصة وغيرهم (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين)، وردهم شهادة أم المؤمنين (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا)، وبقاؤهم على عداوتها وإفكهم عليها، واعتبارها عدوة وليست بأم - وهذا حق - فإنها ليست لمثل هؤلاء بأم، فهي أم المؤمنين فقط (٢).

٤ - قولهم بالبذاء على الله تعالى، وقد تنزه الله عن ذلك.

ومواقف أخرى يصل خلافهم فيها إلى سلب العقيدة الإسلامية من جذورها في كل قلب تشبع بها (٣).

هذا من حيث المذهب.

وأما "الحكم على أتباع هذه الفرقة" وهو الأمر الثاني.

فأقول: إن الحكم على الأشخاص أو الأعيان سواء في المذهب الشيعي أو غيره من المذاهب، فلا بد أن نلاحظ فيه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: من حيث المسألة •

فإن المسائل على نوعين:

١- مسائل دقيقة لا يفهمها ولا يدركها إلا العلماء "كبعض مسائل الصفات" وغير ذلك، وهذه الأمور لا يكفر الإنسان بإنكارها حتى يعلم ويرفع عنه الجهل •

(١) الحكومة الإسلامية الخميني (ص ٧٥).

(٢) تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة لذياب الغامدي (ص ١١٠-١٣١).

(٣) انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/ ٦٥١-٧٣٣-٨٢١-٩٠٩-٩٣٥)، فرق معاصرة للعواجي

(١/ ٢٠٠-٢٣١-٢٥١)، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان لزغبي (ص ٤١٠-٤٢١-٤٢٨).

٢- مسائل ظاهرة، كوجوب الصلاة وتحريم الزنا وغير ذلك، وهذه الأمور يكفر منكرها، من حيث الجملة •

الأمر الثاني: من حيث المكان •

فإن الأماكن تختلف من حيث العلم وعدمه، فهذه البلاد المباركة من حيث الجملة لو جهل إنسان حكم الطواف على القبور أو دعاء الأموات فإنه لا يعذر، بخلاف الدول الأخرى، فإنهم يعذرون لقلة العلم فيها، كبعض دول أفريقيا مثلاً •

الأمر الثالث: من حيث الشخص •

فإذا كان الشخص قريب عهد بكفر أو عاش في بادية أو بين ظهراي أهل كفر وبدع، فإنهم يعذرون بخلاف غيرهم.

وعلى كلٍ فإن السلف كانوا إذا رأوا الأمر المنكر أو الكفر، بادروا بالإنكار ثم بعد ذلك يحكمون على الشخص، أما المتأخرون فإنهم يبادرون إلى التكفير والتضليل قبل الإنكار.

هذا الكلام السابق من حيث التأصيل، إذا عرف هذا التأصيل، فإن أهل العلم تكلموا عن الشيعة الإمامية الاثني عشرية فقالوا: هي من فرق الضلال التي جمعت في عقيدتها كل شرٍ وانحراف موجود في باقي الفرق والنحل، ولهذا حكم جمهور العلماء بكفرهم وزندقتهم^(١). وإليك أقوال بعضهم:

قال عبد القاهر البغدادي: "وأما أهل الأهواء من الجارودية، والهاشمية، والجهمية، والإمامية يعني الشيعة الذين كفروا خيار الصحابة، فإننا نكفرهم، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا، ولا الصلاة خلفهم" وقال أيضاً: "وما رأينا ولا سمعنا، بنوع من الكفر، إلا وجدنا شعبة منه، في مذهب الروافض"^(٢).

(١) صب العذاب على من سب الأصحاب لالوسي (ص٢٣١).

(٢) الفرق بين الفرق البغدادي (ص٣٥٧).

ويقول ابن حزم الظاهري: "وأما قولهم - يعني النصارى - في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرقة حدث أولها بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخمس وعشرين سنة، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر"^(١).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: "نقطع بتكفير غلاة الروافض، في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء"^(٢).

وقال الإمام السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: "واجتمعت الأمة، على تكفير الإمامية"^(٣)؛ لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم، وينسبونهم إلى ما يليق بهم"^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسقط الأعمال المشروعة، فلا خلاف في كفرهم، ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين"، وقال أيضاً: "وفي الجملة: فمن جرب الرافضة في كتابهم وخطابهم، علم أنهم من أكذب خلق الله"^(٥).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ في منهاج السنة النبوية ما نصه: "فليُنظر كل عاقل، فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه، من الفتن والشور، والفساد في الإسلام، فإنه يجد

(١) الفصل لابن حزم (٢/٢١٣).

(٢) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٣/١٢٥٩).

(٣) والقول بالإجماع فيه نظر.

(٤) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٣/١٢٦٠).

(٥) الصارم المسلول لابن تيمية (ص٥٨٦-٥٨٧).

معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشرّاً" (١).

وكذلك حكم الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ بِكَفْرِ الشيعة الاثني عشرية وذلك لسبهم الصحابة (رضوان الله عليهم) ولعنهم حيث قال: "فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم" يعني أصحاب رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصّةً على كمالهم، فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم، وارتدادهم وارتداد معظمهم عن الدين، فقد كفر بالله تعالى ورسوله" (٢).

وأخيراً فقد أفتي كثير من العلماء بكفرهم منهم ابن القيم، والشوكاني، وصديق حسن خان، ومحمود شكري الألويسي، والألباني وغيرهم كثير (٣).

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٦/٢٤٩).

(٢) رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي (ص١٨-١٩).

(٣) انظر: اصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٣/١٢٥٠).

الفصل الأول

الفصل الأول

التمثيل أو التشبيه عند الاثني عشرية

وفيه تمهيد ومبحثان:

✿ المبحث الأول: إثبات التمثيل أو التشبيه عند المتقدمين.

✿ المبحث الثاني: موقف المتقدمين من التعطيل.

تهديد

انتشرت في كتب العلماء مقالة أن قدماء الشيعة مجسمة، وأن التشبيه والتجسيم موجود في تصانيفهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "قدماء الشيعة كانوا يقولون بالتجسيم"^(١)، بل ذكر ابن تيمية اتفاق ارباب المقالات في نقل التشبيه عن قدماء الشيعة^(٢)، إلا أن القوم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ويرونه كعادتهم من مفتريات وأكاذيب أهل السنة عليهم^(٣).

وأهل السنة في المقابل يثبتون ذلك ويؤكدونه، ويقولون: إن مسألة التشبيه وإن انقرضت فرقتها، فإنه فكر مر على الأمة في عقائد الشيعة الأوائل، ابتداءً من مؤسسها عبدالله بن سبأ إلى أن أخذ اشكالاً انقرض منها البعض وتطور منها البعض الآخر • لكن قبل أن نجلى هذا الموضوع نقول: هل هنالك ثمة فرق بين التمثيل والتجسيم؟

المتمعن في لفظ التمثيل والتجسيم مبني ومعني، يجد أن المبني للكلمتين مختلف، فمبني كلمة تمثيل يختلف عن مبني كلمة تجسيم.

ومن حيث المعنى: فإن التمثيل هو جعل صفات الله ﷻ مثل صفات خلقه، أو إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى والعكس، وهذا المعنى هو الوارد نفيه في

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٢٢٠) وانظر: المذهب الجعفري لطفه الدليمي (ص ١٠٥).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٢/٢٢١)، وسوف يأتينا بعض هذه النقول في الدليل الثاني في إثبات التشبيه عن الشيعة •

(٣) ممن ينكر ذلك من الشيعة: حسين موسوي توفي سنة (١٣٧٧هـ) ومحمد رضي الحسيني، انظر مقالة التشبيه للامير (٣/١٧).

القرآن والسنة وإجماع السلف^(١)

وأما التجسيم من حيث المعنى: فهو من الألفاظ المجملة المختلف في معناه؛ لأنه لم يرد نفيه ولا إثباته في النصوص الشرعية، إلا أن أهل السنة والجماعة لهم منهج في التعامل مع مثل هذه الألفاظ المجملة، فلا يقولون بنفيها ولا بإثباتها إذ إن نفيها قد يستلزم نفي حق، وإثباتها قد يستلزم إثبات باطل، والعلة في ذلك أن لفظ الجسم من إطلاق المتكلمين والفلاسفة ويحمل بين جنبيه معاني فيها إجمال وإبهام، لذلك امتنع أهل السنة والجماعة من إطلاق القول بنفيه أو إثباته على الله، ولم ينقل عن أحد من السلف والأئمة لا إثباته، ولا نفيه، وقد شابه لفظ "الجسم" لفظ "المتحيز" و"الجوهر"، ونحوهما، وذلك لأنها ألفاظ مجملة، يراد بها حق وباطل، وعامة من أطلقها في النفي أو الإثبات أراد بها ما هو باطل لاسيما النفاة؛ فإن نفاة الصفات كلهم، ينفون الجسم والجوهر والمتحيز، ونحو ذلك، ويدخلون في نفي ذلك نفي صفات الله، وحقائق أسمائه، ومباينته لمخلوقاته.

ولازم قولهم هذا عند التحقيق يتضمن نفيًا لحقيقة الذات الإلهية، إذ يعود الأمر إلى وجود مطلق، لا حقيقة له إلا في الذهن والخيال، أو ذات مجردة، لا توجد إلا في الذهن والخيال، أو إلى الجمع بين المتناقضين، بإثبات صفات ونفي لوازمها^(٢).

بل إن استخدام لفظ التجسيم في صفات الله من صفات أهل الباطل، يقول أبو العباس بن سريج^(٣): "توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين، أشهد أن لا إله إلا الله،

(١) انظر: معارج القبول لحافظ حكيمي (١/٣٦٥) ونواقض الإيمان القولية لعبد العزيز ال عبد اللطيف (١٣٢).

(٢) انظر: درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية (٥/٥٧)، معارج القبول للحكيمي (١/٣٦٣)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/١٣٠).

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي القاضي بشيراز، صنف نحو أربعمئة مصنف، كان أحد علماء الشافعية توفي ببغداد سنة ٣٠٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٠١) والبداية والنهاية

وأن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل، الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بُعث النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بإنكار ذلك^(١).

والخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون، كقولهم: ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك، أول من ابتدعه في الإسلام الجهمية، وأتباعهم من المعتزلة^(٢)، وكذلك بعض قدماء الشيعة^(٣).

والمنهج الحق في باب الألفاظ المجملة - المحتملة لوجهين: أحدهما حق، والآخر باطل - وإطلاقها على الله. الاستفصال عن المراد بها، فإن أريد بها حقاً، قبل الحق، وإن أريد بها باطلاً، رد الباطل.

فلفظ الجسم فيه إجمال، قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة وصورة، أو المركب من الأجزاء المفردة، التي تسمى الجواهر الفردة، والله تعالى منزه عن ذلك كله. وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات، والله يرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم، وقلوبهم، ووجوههم، وأعينهم، فإن أراد بقوله: ليس بجسم هذا المعنى، قيل له هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ، معنى ثابت بصحيح المنقول، وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه.

وأما اللفظ فبدعة نفيًا وإثباتًا، فليس في الكتاب، ولا السنة، ولا قول أحد من

= لابن كثير (١٢٩/١١).

(١) الحجة في بيان المحجة اسماعيل الأصبهاني (١/٩٦-٩٧)، وانظر: بيان تلبس الجهمية (١/٤٨٧).

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية (٢/٢٩٨)، الدرء لابن تيمية (٦/٢٨٨-٢٨٩)، (٧/١٨٥).

(٣) انظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (١/٩-٥٤-١٠٠)، الصفدية لابن تيمية (٢/٣٣)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/١٣٥)، مجموع الفتاوى (٥/٢٩٨-٤٢٤)، مقالات الإسلاميين للاشعري (١٠٦-١٠٩).

سلف الأمة وأئمتها، إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى، لا نفياً، ولا إثباتاً^(١).
 أما التمثيل من حيث المعنى: فهو جعل صفات الله مثل صفات خلقه، وقد ورد
 فيه في الكتاب والسنة وإجماع السلف، فالتجسيم يلتقي معناه مع التمثيل في وصف
 الله تعالى بأنه جسم وتضمن ذلك إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله تعالى،
 ويقال لمن يفعل ذلك مشبه ممثل، وعلى هذا فكل من يطلق عليه بأنه مجسم قد لا يكون
 مشبهها، كإطلاق بعض المبتدعة على الله بأنه جسم، ومرادهم أنه موجود قائم
 بنفسه^(٢).

وحتى نجلي هذا الموضوع وهو إثبات التشبيه عند الأوائل من الشيعة، فإننا
 سوف نطرقه في مبحثين:

المبحث الأول: إثبات التمثيل والتشبيه عند المتقدمين •

المبحث الثاني: موقف المتقدمين من التعطيل •

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٤٩٦-٥٠٣-٥٢٣-٥٥٠)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية
 (٢/١٣٤)، شرح الأصفهانية لابن تيمية (ص٣٧)، الدرء لابن تيمية (١/٢٣٨)، (٦/١٣١)،
 (١٠/٢٥٨-٢٥٩-٣٠٧-٣١١)، مجموع الفتاوى (٥/٢١٥-٤٢١).

(٢) انظر مقاله التشبيه لجابر امير (١/٨٥) و(٢/٩).

المبحث الأول

إثبات التمثيل أو التشبيه عند المتقدمين

* * * * *

إثبات التمثيل أو التشبيه عند المتقدمين

قضية التشبيه والتجسيم عند قدماء الشيعة من الأمور المشتهرة في كتب الفرق، إلا أن إثبات مثل هذه القضية يحتاج إلى نصوص واضحة من كتب القوم، وذلك باعترافهم بالتشبيه والتجسيم أو بنصوص تبين التشبيه والتجسيم من كلامهم.

لكن قبل أن نبدأ في إثبات ذلك فإن بين يدي هذا المبحث أمرين:

الأمر الأول: المراد بقدماء الشيعة.

الأمر الثاني: حال الشيعة العقدي من حيث الجملة.

فنقول:

أما الأمر الأول وهو: المراد بقدماء الشيعة أو أوائل الشيعة.

فإن مصطلح الشيعة له عند العلماء إطلاقان:

١- الإطلاق عند المتقدمين: ومرادهم به "الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان"^(١)، وربما يقال: "هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وتعرض لسبهم"^(٢).

٢- الإطلاق عند المتأخرين: ومرادهم به "هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال مفتر...."^(٣).

يقول الإمام الذهبي في ترجمة (أبان بن تغلب) بعد أن ذكر توثيق الأئمة له مع أنه شيعي: « فلقائق أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والإتقان؟

(١) منهاج السنة لابن تيمية (١/١٣).

(٢) ميزان الاعتدال (١/٥-٦).

(٣) المصدر السابق.

فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟.

وجوابه: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلورّد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والخط على أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتاج به ولا كرامة...؟!.

إلى أن قال: فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم: هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال مفتر، ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلاً، بل قد يعتقد علياً أفضل منهما^(١).

قال ابن حجر^(١) في (تهذيب التهذيب): "... فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن علياً كان مصيباً في حروبه، وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وإذا كان معتقد ذلك ورعا ديناً صادقاً مجتهداً فلا ترد روايته بهذا لاسيما إن كان غير داعية.

وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض فلا تقبل رواية الرافضي

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥-٦)، وأنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٩٤).

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين)، رحل إلى اليمن وغيرها لسماع الشيوخ وأصبح حافظ الإسلام في عصره، من أعظم مؤلفاته عند الناس وعنده كتابه "فتح الباري"، وُلد سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢هـ). انظر: البدر الطالع للشوكاني (١/ ٨٧-٩٢)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٢/ ٢٠-٢٢)، وشذرات الذهب للعكري (٧/ ٢٧٠-٢٧٢).

الغالي ولا كرامة..."^(١).

فالتشيع لم يكن على حالة واحدة ثمت أحداث تذكى تارة وتقوى شوكته، وأن هناك فترات هدأ فيها التشيع ثم عاد ثائراً بعد سكون. وهذا يعني أن التشيع خاض مراحل وأطواراً مختلفة وأن حركته كانت تنمو باستمرار.

وقد ذكر أحد علماء الشيعة المعاصرين وهو "محمد حسين الزين"، "أن الشيعة كانت في بدء نشأتهم طائفة واحدة يعتقدون جميعاً" أن الإمامة ليست من الأمور التي تفوض إلى نظر الأمة واختيارها"^(٢)، ثم يبين بعد ذلك أنها تشعبت إلى طوائف وأخذ يعدها، ويستوضح عن الاسباب الموجبة لهذا التشعب، ويذكر أن استيضاحه طبيعي؛ لأن عقيدة التشيع الأولى الساذجة البعيدة عن الغموض والابهام والمرتكزة على دعائم الإسلام الأساسية الواضحة المتفق عليها عند الشيعة من نشأتهم إلى ما ينوف عن ربع قرن، قد أصيبت بعد ذلك بالتشعب الفاضح الذي يبحث المرء حثيثاً على استيضاح أسبابه الكثيرة من اجتماعية وسياسية وطبيعية أيضاً"^(٣).

وهذه الشهادة من شيعي يقر أن التشيع بدأ ساذجاً بسيطاً، ثم انتهى إلى الغموض، وكان تشيعاً واحداً، ثم آل به إلى فرق شتى، ثم ذكر أيضاً أن عقيدة التشيع بقيت على صبغتها وحدها الذي وضعت فيه لا تتعداه ولا تتجاوزها أبداً إلى أن تولى أمير المؤمنين منصب الإمامة فظهر في أيامه قوم وأرادوا إخراجها من قلب الموالية والتمسك إلى قالب التأليه لعل"^(٤).

وهذا الكلام يشير به صاحبه إلى مسألة مهمة، وهي بداية الغلو الذي حدث في

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (١/٥١٠).

(٢) الشيعة والتاريخ للزين (ص٥٣).

(٣) المصدر السابق (ص٥٣).

(٤) المصدر السابق (ص٢١١-٢١٢).

التشيع، وعليه فإن للتشيع مرحلتين:

المرحلة الأولى: بداية التشيع.

المرحلة الثانية: الغلو في التشيع.

المرحلة الأولى: بداية الشيعة.

كان بداية ظهور الشيعة معتدلاً وذلك في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وكان معني التشيع في هذه المرحلة "المناصرة والوقوف إلى جانب علي (رضي الله)؛ عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة" (١).

وكان من بين هؤلاء كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، وهذه المرحلة لا يصح أن يفهم منها أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه.

فهي مرحلة خلا منها طابع التكفير والتضليل، ولم يقل أحد منهم بمعاملة المخالف معاملة الكفار بل يعتقدون في المخالف أنه مسلم، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة. وقد قيل: إن علياً كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم.

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد، إذ كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقةً من هذه المواقف الطيبة التي أبدأها والده (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ومناصرته، إذ انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) على سائر الصحابة، وحينما علم علي بن أبي

(١) فرق معاوية للعواجي (١/١٣٦).

طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه.^(١)

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا ولم يضللوا واحداً من المخالفين لعلي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، بل كان كل واحد يحفظ للآخر ماله من حق، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء.

وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي، قيل منهم أبو الأسود الدؤلي، وأبو سعيد يحيى بن يعمر، وسالم بن أبي حفصة، ويقال: إنَّ عبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث، وابن السكيت على هذا الاتجاه.^(٢)

المرحلة الثانية: الغلو في الشيعة.

وتبدأ هذه المرحلة بعبدالله بن سبأ، الذي عمل دور "بولس"^(٣) في النصرانية، فبدأت أفكار ابن سبأ تؤتي ثمار الشر.

يقول أحمد أمين^(٤): "وظهرت فكرة الدعوة لعلي بسيطة" ثم يقول بعد ذلك "ونرى بعد هذا العصر أن الفكرة تطورت" ثم تكلم عن نشوء فكرة الوصية التي أحدثها ابن سبأ"^(٥).

(١) النبوات ص ١٣٢. مجموع الفتاوى (٤/٤٢٢).

(٢) من كلام العواجي في كتابه "فرق معاصرة" مع تصرف يسير (١/١٣٦).

(٣) انظر كلام ابن تيمية الذي يعتبر ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة وأنه أراد إفساد دين الإسلام، كما أفسد بولس دين النصارى، مجموع الفتاوى (٤/٥١٨).

(٤) هو أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية فعميداً لها. من مؤلفاته: "فجر الإسلام، وضحاها، وظهره" وقد تحدث في كتبه السابقة عن الحديث فمزج بالدسم، وخلط الحق بالباطل، مات سنة (١٩٥٤م)، انظر: الأعلام للزركلي (١/٣٧٩)، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحاله (١/١٦٩).

(٥) فجر الاسلام احمد امين (ص٢٦٦-٢٦٧).

وعلى كل فإن هناك ظروفاً جديدة قد نقلت حركة التشيع إلى طور آخر يختلف عن الطور المعتدل، فإن انضمام عدد كبير ممن لم يصح اسلامه، ولم يدخل الإيمان في قلبه من الفرس والأرمن^(١) وغيرهم إلى تغيير جوهرى من حيث العقائد والأغراض^(٢).

وهكذا سار التشيع المعتدل خطوات، حتى تفرع عنه الغلو فساراً في طريقين مختلفين، وكان بينهما تشابك واتصال، فحدث اختلاط في الآراء سبب خليطاً من العقائد والنظريات وتأثر بعض المعتدلين بالغلاة^(٣).

يقول الدكتور علي سامي النشار كاشفاً لهذه الحقيقة: "ولقد تبينت لى ظاهرة لا تخلف فيها في كل عصور التشيع وهي ظهور نظرية معتدلة مقتصدة ونظرية غالية مسرفة ثم يعقب كلا من هذه وتلك نظرية تأخذ عناصر من هذه وعناصر من تلك"^(٤) إذا تقرر هذا فإن مرادنا عند إطلاق قدماء الشيعة هو الإطلاق عند المتأخرين، وهم الشيعة الذين غلو في التكفير، فكفروا الخلفاء الثلاثة، والعدد الأكبر من الصحابة، وغلو في الأئمة^(٥)، ولا تنصرف أذهاننا إطلاقاً عند ذكر الشيعة المتقدمين عن هذا المعنى؛ لأن الشيعة الذين كانوا يرون مناصرة علي بن أبي طالب لم تختلف عقائدهم نهائياً عن عقائد الصحابة في ذلك الوقت.

(١) الأرمن: طوائف من النصارى موطنهم الأصلي أرمينيا، وإن كانوا ينتشرون في مصر والأردن وبلاد الشرق الأوسط، ويعتقدون في المسيح اعتقادات الكنيسة القبطية، وهي أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشية واحدة، ولكن طقوسهم الدينية وتقاليدهم مختلفة، كما أن لهم بطارقة مستقلين، فهم لا يندمجون مع الكنائس الأخرى، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٥٩٦).

(٢) انظر: كتاب غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للزغبى (ص٣٨).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/مقدمة الطبعة الثانية).

(٤) أنظر: فرق معاصرة للعواجي (١/٢٤٠)، اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٧١٦)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/١٣).

أما الأمر الثاني وهو: حال الشيعة العقدي من حيث الجملة^(١).

فنقول: لم تكن هنالك عقائد شيعية واحدة، بل كان لكل عصر من عصور الأئمة تراث يضاف إلى تراث سابقه من الأئمة، فكان لكل عصر من عصور الأئمة عقائده وفلسفته واتجاهاته، فامتاز عصر كل إمام بالاتجاهات العلمية السائدة في عصره، فعلى سبيل المثال امتاز عصر الإمام علي زين العابدين (المتوفي سنة ٩٥هـ) بالحديث^(٢)، وكان الرجل من خيار التابعين، ولقب بزین العابدين والسجاد وذو الثنات^(٣)، وامتاز محمد الباقر^(٤) بالحديث أيضاً، إلا أنه عاش في معترك الفرق، فكان ينهى عن الكلام والأهواء والخصومات، يقول ابن كثير: "هو تابعي جليل، كبير القدر كثيرا، أحد أعلام هذه الأمة علما وعملا وسيادة وشرفا، وهو أحد من تدعي فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر، ولم يكن الرجل على طريقتهم ولا على

(١) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١١).

(٢) هو علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زين العابدين أبو الحسين الهاشمي المدني حضر كربلاء مريضاً فقال عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك، وهو الإمام الرابع عند الإمامية، وكان يسمى زين العابدين، مات في ربيع الأول سنة (٩٤هـ) وقيل (٩٥هـ)، انظر: طبقات ابن سعد (٥/٢١١)؛ تذكرة الحفاظ للذهبي (١/٧٤)؛ تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/٢٦٨).

(٣) لأن له ثنات مثل ثنات البعير من كثرة السجود وهذه الألقاب وهي "زين العابدين والسجاد وذو الثنات" مما لقب بها زين بن علي بن الحسين عند الشيعة، وهي أيضا ألقاب أطلقت عليه من قبل أهل السنة أنظر: نشأة الفكر للنشار (٢/١١٧)، منهاج السنة (٤/٢).

(٤) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام، الهاشمي القرشي، قال شيخ الإسلام: (من خيار أهل العلم والدين. وقيل إنما سمي الباقر لأنه بقر العلم، أو لأجل بقر السجود جبهته) منهاج السنة لابن تيمية (٤/٥٠)، قال ابن كثير: (كان ذاكراً خاشعاً صابراً وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدال والخصومات). توفي رَحْمَةُ اللَّهِ سَنَةَ (١١٤) انظر: البداية والنهاية وفيات (٩/٣٣٩) وسير أعلام النبلاء (٤/٤٠١-٤٠٩).

منوالهم، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم، بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر، وذلك عنده صحيح في الأثر، وقال أيضا: ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، وقد روى عن غير واحد من الصحابة، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم" (١).

ويأتي زمن أبي عبدالله جعفر الصادق (١) (المتوفي سنة ١٤٨ هـ) يقول ابن سعد: وكان كثير الحديث ولا يحتج به ويضعف، سئل مرة سمعت هذه الاحاديث من أبيك فقال: نعم. وسئل مرة فقال إنما وجدتها في كتبه.

يقول ابن حجر بعد سياقه لكلام ابن سعد: "قلت يحتمل أن يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة فذكر فيما سمعه أنه سمعه، وفيما لم يسمعه أنه وجدته، وهذا يدل على تثبته" (٢).

أما عن زمانه فقد كثر فيه الجدل والكلام في العقيدة وفي الذات الإلهية، وأبو عبدالله جعفر الصادق ينافح ويكافح في رد الكلام والأهواء والخصومات، فنسبت إليه رسائل (٣) وأقوال، وكانت كل فرقة من الفرق الموجودة في زمانه ينسبونه إليهم.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣٣٨ / ٩).

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، أبو عبدالله، قال شيخ الإسلام: (من خيار أهل العلم والدين... كُذِبَ على جعفر الصادق أكثر مما كُذِبَ على من قبله، فالآفة وقعت من الكذابين عليه لا منته، ولهذا نُسِبَ إليه أنواع من الأكاذيب، مثل كتاب "البطاقة والجفر"... حتى أن كل من أراد أن يُنفق أكاذيبه نسبها إلى جعفر "منهاج السنة لابن تيمية (٤/ ٥٢- ٥٤) وانظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٤٦٤-٤٦٥)، (٥/ ١٦٢-١٦٣)، (٨/ ١١)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٥٥-٢٧٠).

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٨٩).

(٤) ينسب إليه "صحيفة جامعة" طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الإرش في الخدش، وله أيضا "الجفر" وهو دعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل... وغير ذلك من الرسائل الخرافية، انظر: الكافي ↵ =

مات جعفر الصادق (سنة ١٤٨ هـ)، وخلت الساحة الشيعية من المنظرين للمعتقد الشيعي بعد أبي عبدالله الصادق ولم يكن هنالك أي دور للأئمة الستة الآخرين، وإن كانت هنالك محاولات من قبل الشيعة في إحياء الروح الشيعية، إلا أنهم اختلفوا في الإمامة من بعد جعفر الصادق. ومن هنا بدأ الانقسام الشيعي^(١) فمن قائل بإمامة إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق واتباعه يسمون بالإسماعيلية^(٢)، ومن هذه الطائفة بدأت الحركات الباطنية، وذهب أناس إلى إمامة موسى الكاظم الإمام السابع للثاني عشرية، وذهب آخرون إلى إمامة عبدالله بن جعفر وسموا أتباعه بالفطحية؛ لأن عبدالله كان أفطح الرأس^(٣)، إلا أن إمامة عبدالله لم تدم طويلاً، إذ إن نفراً غير يسير قاموا بامتحان عبدالله بمسائل في الحلال والحرام من الصلاة والزكاة وغير ذلك من مسائل العلم، فلم يجدوا عنده علماً، فرجعوا عن إمامته وكان فيهم وجوه أصحاب جعفر الصادق مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وغيرهم، فلما توفي

= للكليبي (٢/١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٢٩).

(١) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة" لجلي (ص٢٦٥)، وأنظر: الحركات الباطنية للخطيب (ص٥٧).

(٢) وهم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، ومن الإسماعيلية انبثقت القرامطة والحشاشون والفاطميون والدروز وغيرهم، وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة تختلف باختلاف البلدان، إذ لهم كما يقول الشهرستاني دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، وأما مذهبهم فهو كما يقول أبو حامد الغزالي وغيره: "إنه مذهب ظاهره الرضا وباطنه الكفر المحض"، أو كما يقول ابن الجوزي: "فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم. ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٦٧، ١٩١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٩٤، ٦٢١)، الفهرست ابن النديم (ص٢٦٧، ٢٦٨)، والحركات الباطنية للخطيب (ص٥٥) ودراسة عن الفرق لجلي (ص٢٦٥)

(٣) انظر: المقالات والفرق للقمي (ص٨٧).

عادوا إلى إمامة موسى الكاظم، كما ذكر ذلك النوبختي في فرق الشيعة^(١).

أصبح الشيعة بعد موت عبدالله بن جعفر بين إمامة إسماعيل أو إمامة موسى الكاظم، إلا أن إسماعيل اختلف فيه عند الشيعة فمن قائل إنه مات في زمن أبيه، ومنهم من قال إن أباه جعفر نزع الولاية من إسماعيل وأعطاهها موسى الكاظم؛ والسبب في ذلك أنه رجل لا يصلح للولاية لسوء سلوكه الأخلاقي ولإدمانه الخمر وولعه بالنساء أو ارتباطه ببعض الفرق والمذاهب المنحرفة والدعوات المتطرفة كالخطابية، التي ادعى اتباعها ألوهية جعفر، وأياً كانت الأسباب^(٢) فقد انتقلت الإمامة إلى موسى الكاظم وأتباعه يقال لهم بالاثني عشرية.

انتقلت الإمامة إلى موسى الكاظم وكان أكثر أولاد جعفر الصادق علماً، ويبدو هذا تماماً من اجتماع وجوه الشيعة ومتكلميهم عليه وبخاصة هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق^(٣).

مات موسى الكاظم وأتى بعده ولده علي الرضا^(٤) وكانت إمامته عشرين عاماً من سنة (١٨٣ هـ إلى سنة ٢٠٣ هـ) وتوضح أهمية علي الرضا فيما اضافه إلى الشيعة الاثني عشرية وما حملوه إياه من عقائد وكتب، فقد نسبوا إليه صحيفة تحوي مجموعة من الأحاديث، كما أنهم نسبوا له رسالة في أصول الدين وفروعه.

مات علي الرضا وانتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن الجواد (المتوفي سنة ٢٢٠ هـ) وكان صغيراً في سن الرابعة من عمره، فلم يكن يعلم شيئاً، وهذا أمر طبيعي فإن من

(١) فرق الشيعة للنوبختي (ص٧٢-٧٧)، نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١٢).

(٢) انظر: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة" لجلي (٢٦٦-٢٦٧).

(٣) انظر: المقالات والفرق للقمي ص٨٩، ونشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١٢).

(٤) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي يلقب الرضا - بكسر الراء وفتح المعجمة - صدوق والخلل ممن روى عنه، مات مسموماً سنة ٢٠٣ هـ، روى له ابن ماجه، انظر: تقريب التهذيب للعسقلاني: (ص٤٠٥)، البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٨٢).

كان في هذا السن لا يستطيع تعلم أمور الدين الظاهرة، فكيف بدقائق العلم؟ إلا أن الشيعة كالعادة لفقوا المعجزات والكرامات في تعلم هذا الصبي، فقد ألهمه الله ونكت في قلبه العلم كما يقولون^(١). توفي الإمام محمد الجواد ولم يبلغ من العمر الخامسة والعشرين *

وانتقلت الإمامة إلى علي الهادي وهو الإمام العاشر في دور الأئمة، وكان سنه حين توفي والدة ثمان سنوات، وقد نسب الشيعة للهادي المعجزات، فالسحاب يظله، والمطر طوع يده وغير ذلك من الخرافات^(٢)، وينقل المسعودي^(٣) أن لديه صحيفة بخط علي بن أبي طالب بإملاء الرسول يتوارثها الأئمة كابر عن كابر^(٤)، مات الهادي سنة ٢٥٤هـ *

تولي بعده الإمامة الحسن العسكري، وقبل وفاته كما يقول الشيعة بخمسة سنوات بشر بمحمد المهدي المنتظر وقد نقل الشيعة من الخرافات التي تتجاوز حدود العقلاء عن المهدي المنتظر، مات الحسن وكان عمر محمد خمس سنوات وبقي القائم قليلاً ثم غاب الغيبة الصغرى، وقد امتدت إحدى وسبعين سنة، وقد ظهر في هذه الآونة لطائفة من كاملي الشيعة، ثم بدأ الغيبة الكبرى وسيعود في آخر الزمان^(٥).

(١) انظر فرق الشيعة للنوبختي (ص ٩١)، البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٣٠٥)، التحفة الاثنا عشرية للدهلوي (ص ٢١)، نشأة الفكر للنشار (٢/٢١٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٢١٥).

(٣) - علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ، قال ابن حجر: "كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً، ويعتبره الاثنا عشرية - في تراجمهم - من شيوخهم. توفي سنة (٣٤٦هـ). انظر: لسان الميزان لابن حجر (٤/٢٢٥).

(٤) مروج الذهب للمسعودي (٢/٧٤٣-٧٤٥).

(٥) انظر: الملل والنحل لشهرستاني (١/١٥٥)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ٩٦-١١٢) ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لجلي (ص ١٧٩)، نشأة الفكر الفلسفي (٢/٢١٦)، التحفة الاثنا عشرية

بمحمد بن الحسن العسكري أغلق الستار عن الأئمة الاثني عشرية، إلا أننا حينما نقف قليلاً مع مرحلة الأئمة الستة الذي جاءوا بعد جعفر الصادق، نجد أنه لا نتاج علمي عقدي يذكر لا كما نسب للأئمة السابقين، بل لم يرد عن واحد منهم مذهب خاص يجعل الشيعة من بعده ينتسبون إليه^(١).

في هذه المرحلة وهي مرحلة ما بعد جعفر الصادق، خلا الجو لعلماء المذهب كهشام بن الحكم، ومؤمن الطاق، وزرارة بن أعين، وهشام بن سالم الجواليقي، وغيرهم من علماء الإمامية بالعمل الأكبر في صياغة المذهب، أما الأئمة الستة الآخرون فلم يكن لهم أي دور إيجابي هام في تصوير العقيدة الشيعية ووضعها في صورتها النهائية^(٢)، وهي الصورة التجسيمية التشبيهية، وهي المرحلة الثانية من مراحل التشيع.

إلا أن الذي بين أيدينا من مذهب الشيعة المتأخرين مذهب مناقض لما كان عليه سابقوهم فما الذي حدث.

الاعتزال مذهب عاداه الإمام الخامس محمد الباقر والإمام السادس جعفر الصادق، بل تورد المصادر حججاً وخصومات بين الصادق وبين عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء رؤوس الاعتزال في زمانهم، بل من الواضح أن الإمام جعفر كان يكره الرجلين أشد الكراهية، فكيف اعتنق المتأخرون من الشيعة المذهب المعتزلي، وقد مر معنا ذكر بعض الأسباب التي جعلت الشيعة يعتنقون مذهب الاعتزال في المطلب الرابع من حقيقة التعطيل.

أصبح متأخرو الشيعة معطلة، ويظهر هذا التعطيل جلياً في كلام ابن المطهر

= عشرية (ص ٢١).

(١) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١١).

(٢) المصدر السابق (٢/٢١٣-٢١٨).

الحلي^(١) منظر متأخري الشيعة^(٢)، حيث انتصر للتعطيل وقرره في كتبه، واعتمد عليه متأخرو الشيعة وقرروه في مصنفاتهم فيما بعد.

إذا تبين هذا فإن لإثبات التشبيه والتجسيم عند قدماء الشيعة وأوائلها، أدلة متنوعة فبعضها مقدمات ومهدات للتشبيه والتجسيم، وبعضها موكدات للتشبيه والتجسيم، إلا أن هذه الأدلة يجمعها أمران:

الأمر الأول: ما كان من كتب وأقوال الشيعة والسمات العامة للمذهب الشيعي.

الأمر الثاني: ما كان من كتب أصحاب الفرق والمقالات.^(٣)

أقول:

فالأمر الأول:

ما كان من كتب وأقوال الشيعة والسمات العامة للمذهب الشيعي

فإن الناظر إلى كتب الشيعة يجد فيها تناقضا عجيبا، بل أكاد أجزم أنه ما وجد

(١) هو جمال الدين الرافضي أبو منصور الحسن - وقييل الحسين - بن يوسف بن علي بن محمد ابن المطهر الحلي العراقي الشيعي المعتزلي، شيخ الروافض بتلك النواحي، وهو رأس الشيعة بالحلة، ولقد ولد في الحلة (٦٤٨هـ)، وكان من سكانها وتوفي فيها سنة (٧٢٦هـ)، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "ولد ابن المطهر الذي لم تطهر خلأته، ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة" لم مصنفات كثيرة منها "كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين" و"استقصاء النظر في القضاء والقدر" و"منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٢٥)، والأعلام للزركلي (٢/٢٢٧)، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (٣/٣٠٣).

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١٩).

(٣) لا يشك من لديه أدنى معرفة أن ما ينقله أهل المقالات والفرق أصدق وأثبت مما يقوله الشيعة، وذلك لان الشيعة أكذب الطوائف الإسلامية يقول صاحب كتاب الشيعة.. عقائد وموائد عبد الرحمن الزكزي (ص١٢) أن الرافضة - كما قال غير واحد من الأئمة - أكذب الناس في المنقولات، وأجهلهم في المعقولات"

تناقض عند طائفة من طوائف المسلمين مثل ما وجد عند طائفة الشيعة، وهذا أمر طبعي يعتري كل من حاد عما في الكتاب والسنة، ويقدر الميل عن الكتاب والسنة بقدر ما يكون التناقض فهو أمر مطرد لا يتخلف، وطائفة الشيعة من أكثر الطوائف ميلاً عن الكتاب والسنة، وكتبهم تشهد بذلك *

وحتى نثبت أن قدماء الشيعة كانوا مشبهه أو مجسمة، فلا بد لنا من نص واضح يثبت ذلك، وهذا لا يكون إلا بكلام بعض علمائهم المعتبرين أو نقل نصوص من كلام علمائهم الأوائل يصرح فيه بالتشبيه والتجسيم.

والناظر في كتب الشيعة وأقوالهم يجد بين يديه نصوصاً تحكي التشبيه والتجسيم عند الشيعة الأوائل، وهو الدليل الأول على إثبات وقوع التشبيه والتجسيم عند قدماء الشيعة، وأشهر هذه النصوص:

النص الأول: ما ذكره الشريف المرتضى^(١) الاثنا عشري في رسائله التي يقول فيه " والذي يختص هذا الموضوع مما لم نبينه هناك: أنه لا خلاف بين كل من ذهب إلى وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة، أنه لا بد من كون مخبره عدلاً، والعدالة عندنا تقتضي أن يكون معتقداً للحق في الأصول والفروع، وغير ذاهب إلى مذهب قد دلت الأدلة على بطلانه، وأن يكون غير متظاهر بشيء من المعاصي والقبائح. وهذه الجملة تقتضي تعذر العمل بشيء من الأخبار التي رواها الواقفية^(٢) على موسى بن جعفر

(١) هو علي بن الحسين العلوي الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي، المتوفى سنة (٤٣٦ هـ)، قال عنه الذهبي: "وكان من الأذكياء والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر لكنه إمامي جلد". وولى نقابة العلوية، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية في العلوم، انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/١٢٤).

(٢) الواقفة: هم الذين وقفوا على الإمام السابع للشيعة: موسى بن جعفر، فلم يقولوا بإمامة من بعده، حيث زعموا أن موسى بن جعفر لم يموت وأنه حيٌّ، ويتنظرون خروجه، انظر: المقالات والفرق للقمي ص ٩٣، ومسائل الإمامة ص ٤٧.

عليهما السلام الذاهبة إلى أنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتكذيب كل من بعده من الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذا كفر بغير شبهة ورده، كالطاطري، وابن ساعة، وفلان وفلان، ومن لا يحصى كثرة. فإن معظم الفقه وجمهوره، بل جميعه لا يخلو مستنده ممن يذهب مذهب الواقفة، إما أن يكون أصلاً في الخبر أو فرعاً، "راويا" عن غيره ومروياً "عنه. وإلى غلاة، وخطابية، ومخمسة، وأصحاب حلول، كفلان وفلان ومن لا يحصى أيضاً" كثرة. وإلى قمي مشبه مجبر. وأن القميين كلهم من غير استثناء لأحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه^(١) (رحمة الله عليه) بالأمس كانوا مشبهة مجبرة، وكتبهم وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به. فليت شعري أي رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها واقف أو غال، أو قمي مشبه مجبر؟! والاختبار بيننا وبينهم التفتيش. ثم لو سلم خبر أحدهم من هذه الأمور، ولم يكن راويه إلا مقلد بحث معتقد لمذهبه بغير حجة ودليل.

ومن كانت هذه صفته عند الشيعة جاهل بالله تعالى، لا يجوز أن يكون عدلاً، ولا يمكن تقبل أخباره في الشريعة. فإن قيل: ليس كل من لم يكن عالي الطبقة في النظر، يكون جاهلاً بالله تعالى، أو غير عارف به؛ لأن فيه أصحاب الجملة من يعرف الله تعالى بطرق مختصرة توجب العلم، وإن لم يكن يقوى على درء الشبهات كلها. قلنا: ما نعرف من أصحاب حديثنا ورواياتنا من هذه صفته، وكل من نشير إليه منهم إذا سألته عن سبب اعتقاده التوحيد والعدل أو النبوة أو الإمامة، أحالك على الروايات وتلي عليك

(١) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ولد سنة (٣٠٦هـ) وتوفي سنة (٣٨١هـ)، يعرف بالشيخ الصدوق الثاني، متكلم، محدث، حافظ، مفسر، من كبار فقهاء الشيعة الإمامية. نزل بالري، وارتفع شأنه في خراسان، وحُدث ببغداد. له تصانيف كثيرة بلغت نحو (٣٠٠) مصنف منها: 'التوحيد'، وكتاب 'دين الإمامية'، و'التفسير' قال النجاشي الإمامي: "شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن"، انظر: رجال النجاشي (ص ٣٨٩)، والأنساب للسمعاني (٤/٥٤٤)؛ سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/٣٠٣-٣٠٤) الأعلام للزركلي (٦/٢٤٧).

الأحاديث. فلو عرف هذه المعارف بجهة صحيحة لا أحالفي اعتقاده إذا سأل عن جهة علمها، ومعلوم ضرورة خلاف ذلك، والمدافعة للعيان قبيحة بذوي الدين.

وفي روايتنا ونقله أحاديثنا من يقول بالقياس، ويذهب إليه في الشريعة، كالفضل ابن شاذان، ويونس، وجماعة معروفين، ولا شبهة في أن اعتقاد صحة القياس في الشريعة كفر لا تثبت معه عدالة. فمن أين يصح لنا خبر واحد يروونه ممن يجوز أن يكون عدلا مع هذه الأقسام التي ذكرناها حتى ندعي أننا تعبدنا بقوله؟^(١) انتهى

وهذا الكلام السابق هو كالصاعقة على قلوب الشيعة، وبه ينسف ادعاءهم المزعوم بأنهم يتبعون الأحاديث الواردة عن آل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وشاء الله أن يستنطق هذا الحق من أحد أساطين علمائهم وهو الشريف المرتضى، حيث أكد بأن روايات الشيعة التي عليها مدار الأحكام سواء الأصول أو الفروع لا يمكن إثبات عدالة روايتها، لأنهم كفار أو غلاة أو مشبهة أو مجسمة أو جبرية.

وإن ساءهم بعضهم غلاة يقول المازندراني: "وإنه صادق لقبح الكذب عليه واعتقادنا في هذه الصفات أنه لا تشبه صفات الإنسان فهو موجود قائم بذاته وليس بجسم ولا حالا في جسم ولا محل له ولا جهة ولا يصح عليه التأثيرات النفسانية، كاللذة، والألم، والشهوة، والغضب، والأسف، والحزن، وأنه لا يتحد بغيره كما يقول به النصارى والغلاة من الشيعة"^(٢)

والناظر والمتمعن لهذا النص يجد أن قائله قد أثبت وجود وظهور التشبيه عند قدماء الشيعة ويظهر ذلك في أمور:

الأمر الأول: تكرار كلمة "قمي مشبه" ثلاث مرات!، فلم يكتف بهما مرة واحدة بل كرر هذا اللفظ ثلاث مرات، وهذا التكرار مشعرٌ بأن المذهب السائد لدى قدماء الشيعة التشبيه خصوصا القميين منهم.

(١) رسائل الشريف المرتضى (٣/٣١١).

(٢) شرح الكافي المازندراني (١/١٣).

الأمر الثاني: قوله "القميين كلهم من غير استثناء لأحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه بالأمس كانوا مشبهة مجبرة" (١)

هذه الجملة في نظري تكفي في المقصود، إذ إن لفظة "كلهم" أصلها "كل" وكل من ألفاظ العموم، وهي أقوى وأصرح ألفاظ العموم عند الأصوليين (٢)، فحينما يصرح مثل الشريف المرتضى الذي يعتبر من علمائهم الكبار، بل "كان نصير الدين الطوسي إذا جرى ذكره في دروسه يقول: صلوات الله عليه، ويلتفت إلى القضاة المدرسين الحاضرين ويقول: كيف لا يصلى على السيد المرتضى" (٣) كيف لا تكون كافية وقائلها كما يصفه الشيعة بأنه "امام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماءها وعنه أخذ علماءها، صاحب مدارسها، وجامع شاردها وأنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في دين الله مآثره وآثاره، الى توألفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، ما يشهد أنه فرع ذلك الأصل الأصيل، ومن أهل ذلك البيت الجليل" (٤).

الأمر الثالث: قوله "القميين" لماذا ذكر القميين بالذات، القميين نسبةً إلى مدينة قم، وهي مدينة في إيران تقع على مسافة ساعتين من مدينة طهران عاصمة إيران. وإذا ذكرت قم عند الشيعة ذكر معها التربة المقدسة عندهم، والحرم الفاطمي، والأئمة المعصومون - بزعمهم - الذين عاشوا فيها أو دفنوا، وذكر معها الحوزات الدينية والمؤسسات المختلفة سواء سياسية أو تربوية، ويذكر معها انطلاق الثورة الإسلامية - كما يسمونها - لفكر آل البيت.

(١) يقول الدكتور عبدالكريم النملة في شرحه على روضة الناظر (٣٩/٦): "ولذلك كانت "كل" أصرح صيغ العموم، لشمولها العاقل وغيره، والمذكر والمؤنث، والمثنى والجمع، وسواء ذكر المضاف إليه وكما سبق، أو حذف المضاف نحو قوله تعالى: {كل آمن بالله}"

(٢) روضات الجنات للخوانساري (٣٠٣/٤).

(٣) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة للسيد علي خان المدني (ص ٤٥٩).

ويذكر معها تلك الرسالة التي أرسلها الإمام الحسن العسكري إلى أهلها التي يخاطبهم فيها، ويذكرهم بفضلها فيقول: "إن الله تعالى بجوده ورأفته قد من الله على عباده بنبيه محمد بشيرا ونذيرا، ووفقكم لقبول دينه، وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين (رحمة الله عليهم) وأصلا بكم الباقين تولى كفايتهم وعمرهم طويلا في طاعته، حب العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق، وسبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، واجتنبوا ثمرات ما قدموا، ووجدوا غب ما أسلفوا..."^(١).

فهي منبع وحصن منبع للتشيع، وقلعة محكمة تدافع عن حرم مذهب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عبر القرون في صلابة من الولاء لأهل البيت، ورسوخ في الاعتقاد^(٢).

إذا كان هذا الثناء عن قم ومن سكنها فهي تعتبر مركزاً أساسياً لحملة الفكر الشيعي، فحكم الشريف المرتضي عليها سوف يكون دقيقاً. وهذا يظهر في الأمر التالي:

الامر الرابع: وهو الاستثناء في قول الشريف المرتضي "إلا أبا جعفر بن بابويه (رحمة الله عليه) بالأمس كانوا مشبهة مجبرة" فهذا الاستثناء هو معيار العموم عند الأصوليين، ويدل على دقة قائله، فهو يرى أن العلماء القميين غير ابن بابويه مشبهه جبرية، إذا الأمر والحكم لم يكن عارضا، بل هذه التأكيدات وهذا التكرار وهذا الارتباط يوضح لنا الكثير من المعاني التي قد لا نستطيع إحصاءها، هل يمكننا أن نقوم بإحصائية للقميين المشبهة؟!، وهذا الحكم من قائل شيعي، وليس من قائل سني، حتى يبرر قوله ويرد، ولو كان سنيا لطاروا به في الآفاق. فأين الرادون على هذا القول؟!!

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٤/٤٥٨).

(٢) انظر: مفاخر قم لمحمد علي "مقال عن طريق الشبكة العنكبوتية"

الامر الخامس: ان الحر العاملي^(١) قال في وسائله: "وقد ذكر الشيخ في أول (الفهرست): إن كثيراً من المصنفين، وأصحاب الأصول، كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة"^(٢)، فلعل ما أجمل هنا، وضحه الشريف المرتضي في كلامه السابق •

الأمر السادس: وهو المهم ويعتبر شارحا وموضحا لكلام العاملي السابق، وهو قول الشريف: "وكتبهم وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به" إذ إن ما نقله الحر العاملي من أن كثيراً من المصنفين، وأصحاب الأصول، كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة، وهذا ما سوف نقله من كتبهم إن شاء الله.

النص الثاني: وهو ما ذكره القاسم بن إبراهيم الرسى (المتوفي سنة ٢٤٦هـ)^(٣) حيث ألف كتابا في الرد على الرافضة، يؤكد فيه ما ذكره الشريف المرتضي ضمنا، وهو كتاب يحكي بداية الانحراف في الشيعة، حتى أصبح هذا الانحراف واضحا ومشاهدا يقول فيه: "... فكيف يكون بالله واثقا أو معتصما أو عند الله مؤمنا أو مسلما، من يشبهه الله بصورة آدم، وبما فيه من صور الشعر واللحم والدم؟

(١) هو محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفي سنة (١١٠٤هـ)، قال عنه يوسف البحراني: "الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري.. كان عالما فاضلا محدثا إخبارياً.. له كتب منها الجواهر السننية في الأحاديث القدسية، وهو أول ما ألفه ولم يجمعها أحد قبله، والصحيفة الثانية من أدعية علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الخارجة من الصحيفة الكاملة، وكتاب تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ست مجلدات.. وله كتاب أمل الأمل في علماء جبل عامل وفيه أسماء علمائنا المتأخرين أيضا وله رسالة في الرجعة سماها الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة"، انظر: لؤلؤة البحرين (ص ٧٦-٧٨).

(٢) وسائل الشيع للعاملي (٣٠/٢٢٤).

(٣) هو القاسم بن إبراهيم بن اسماعيل الحسنى العلوي، أبو محمد، المعروف بالرسى، فقيه، شاعر، من أئمة الزيدية ولد سنة (١٦٩هـ) وتوفي سنة (٢٤٦هـ)، وهو شقيق ابن طباطبا "محمد بن إبراهيم" الإمام الثائر على عهد المأمون له تصانيف منها "أصول العدل والتوحيد والرد على الجبر والتشبيه، وصفة العرش والكرسي، انظر الاعلام للزركلي (٥/١٧١).

وأولئك أصحاب هشام بن سالم، أو كيف يكون كذلك، من قال بقول ابن الحكم وهو يقول: إن الله نور من الأنوار، وأنه سبحانه، حية مسدسة المقدار، وأنه يعلم بالحركات، ويعقل، وتخف به الأماكن وتنتقل، وتبدو له البدوات، وتخلو منه السموات، لأنهم يزعمون أنه على العرش دون ما سواه، وأنه لا يبصر ما حجب عنه الحجب ولا يراه، ويدنو له من الأشياء المشاهدة، وينأى عما نأى عنه بالمباعدة، فما نأى عنه فليس له شهيد، وما قرب منه إليه، فهو منه غير بعيد... فلو كان كما قال هشام وأصحابه نوراً أو جسماً، أو كان كما قال ابن الحكم لحماً أو دماً، لكانت أكفاؤه عدداً، وأمثاله سبحانه أشتاتاً بدداً، لأن الأنوار في نورها متكافئة، والأجسام في جسميها متساوية، وكذلك تكافؤ اللحم والدم، كتكافؤ الجسمية كلها في الجسم... إلى آخر كلامه"^(١).

ويستفاد من الكلام السابق أمور منها:

أولها: وهو المهم إثبات التشبيه عند متكلمي الشيعة الأوائل •

ثانيها: صدور هذا الكلام من أحد علماء البيت الشيعي، وخصوصاً إذا علمت أن هنالك من الشيعة من ينكر ذلك في حق هشام بن الحكم أمثال: "السيد المرتضى حيث يقول: "وأما حقيقة القول عنه أنه ذهب في الله تعالى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة وحديث الأشياء المدعى عليه، فليس نعرفه إلا من حكاية الجاحظ عن النظام، وما فيها إلا متهم عليه، غير موثوق بقوله في مثله " وقال قبل هذا: "وأكثر أصحابنا يقولون: إنه ورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة.

ويقول ابن أبي الحديد^(٢): "والمتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة في وقتنا هذا

(١) الرد على الرافضة للرسبي (٩٢-٩٣-٩٤).

(٢) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني ولد سنة (٥٨٦هـ) وتوفي سنة (٦٥٥هـ) كاتب، شاعر، أديب شيعي غال، ومن أعيان المعتزلة أيضاً، نشأ بالمداين ثم سار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بديوان الخليفة، وكانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي الرافضي لما بينهما
← =

يزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المعنوي، وإنما قال: إنه جسم لا كالأجسام بالمعنى الذي ذكرنا عن يونس والسكاك وغيرهما".

ويريد بالمعنى الذي ذكره عن يونس بن عبد الرحمن وغيره أنهم أطلقوا لفظة جسم لا كالأجسام لمعنى أنه شيء لا كالأشياء".

يقول صاحب كتاب "هشام بن الحكم" بعد ذكر ما سبق: "وإننا إذ نقف بين هذه النصوص المتضاربة لا يمكننا أن ننزه هشاما عن القول بالتجسيم لأمر:

أولاً: إن حكاية التجسيم عنه مستفيضة، حتى من بعض قدماء الشيعة أنفسهم، فإننا نجد الحسن بن موسى النوبختي من أكابر متكلمي الشيعة قد روى عن هشام التجسيم المحض في كتابه الآراء والديانات^(١).

ثانياً: إن الصدوق ابن بابويه القمي قد روى في كتابه التوحيد كثيراً من الأحاديث التي تشعر بذهاب هشام بن الحكم إلى القول بالتجسيم^(٢).

ثالثاً: أن الشيخ المفيد وهو من محققي الإمامية نسب إليه القول بأنه جسم لا كالأجسام"^(٣).

وكلام المرتضي والقاسم بن إبراهيم الرسي السابق ألمح إليه أحد الشيعة في سؤاله لشيخهم المفيد (المتوفى سنة ٤١٣ هـ) فقال: "إني لا أزال أسمع المعتزلة يدعون على أسلافنا أنهم كانوا كلهم مشبهة، وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية

= من المناسبة والمثابة في التشيع والأدب له مصنفات من أشهرها شرح نهج البلاغة . انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١٩٩-٢٠٠)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/١٥٨).

(١) انظر: شرح نهج البلاغة (١/٢٩٥).

(٢) انظر: التوحيد لابن بابويه (ص٨٤-٩٢).

(٣) هشام بن الحكم لعبدالله بن نعمة (ص١٣٤).

يطابقونهم على هذه الحكاية، ويقولون: إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة^(١).

فهو أمر مشهور عند الفرق أيضا يذكره هذا الشيعي لشيخه.

ويؤكد هذا النص الثالث: الصادر عن الزيدي أحمد بن المرتضى اليماني^(٢) حيث قال: "إن جلّ الروافض على التجسيم إلا من اختلط منهم بالمعتزلة"^(٣)

وهذا الكلام صادر من رجل منشق عن مذهب الشيعة، فالزيدية أتباع زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ لأتباعه نظرة شيعية متميزة في السياسة والحكم^(٤).

وقوله هذا يلم أيضا بذكر حال التشبيه المنتشر في الواقع الشيعي، سواء ما كان تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق، التي طفحت به كتب المتأخرين.

وقول الزيدي أحمد في أن جلّ الروافض على التجسيم هو تصديق لما تقدم من كلام الشريف المرتضى في ذكر حال القميين حيث قال: "القميين كلهم من غير استثناء لأحد منهم إلا أبا جعفر بن بابويه بالأمس كانوا مشبهة مجبرة"، فاتفقا الرجلان في ذكر حال ما كان عليه قدماء الشيعة من التشبيه والتجسيم.

النص الرابع: وهو قول المسعودي الشيعي (المتوفي سنة ٣٤٦هـ) حيث يحكي مناظرات ومناقشات هشام بن الحكم الرافضي مع أبي الهذيل العلاف ومع عمرو بن عبيد^(٥) فيقول: "وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفي الحرار،

(١) الحكايات للشيخ المفيد (ص٧٧).

(٢) أحمد بن يحيى بن مرتضى بن أحمد بن مفضل الملقب بالمهدي اليماني من فقهاء الزيدية توفي سنة ٨٤٠هـ له مصنفات منها: الأزهار في فقه الأئمة الأطهار. الإكليل في النحو ولتصريف. الأحكام المتضمن لفقهاء أئمة الإسلام، المنية والأمل، انظر ترجمته في: هدية العارفين لإسماعيل البغدادي (١٢٥/٥).

(٣) المنة والامل لأحمد بن المرتضى (ص١٩)، والخور العين لنشوان الحميري (ص١٤٨-١٤٩).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/٧٦).

(٥) عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني تميم، ولد سنة ٨٠هـ، كان جده من سبي كابل، عاش في البصرة وعاصر واصل بن عطاء وكان ترباً له، وزوجه واصل أخته، وقد أصبح شيخ المعتزلة بعد واصل،
⇐ =

وكان هشام شيخ المجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه، وكان أبو الهذيل يذهب إلى نفي التجسيم ورفع التشبيه، وإلى ضد قول هشام في التوحيد والإمامة...^(١)، ثم يورد المسعودي صورة المناقشة فيقول: "قال هشام لأبي الهذيل: إذا زعمت أن الحركة ترى فَلِمَ لا زعمت أنها تلمس؟ قال: لأنها ليست بجسم فيلمس؛ لأن اللمس إنما يقع على الأجسام، فقال له هشام: فقل أيضاً إنها لا ترى؛ لأن الرؤية إنما تقع على الأجسام، فرجع أبو الهذيل سائلاً فقال له: من أين قلت إن الصفة ليست الموصوفَ ولا غيره؟ قال هشام: من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلي أنا يستحيل أن يكون غيري؟ لأن التغير إنما أوقعه على الأجسام والأعيان القائمة بأنفسها، فلما لم يكن فعلي قائماً بنفسه، ولم يجوز أن يكون فعلي أنا وجب أنه لا أنا ولا غيري، وعلّة أخرى أنت قائل بها: زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة؟ لأنها عندك مما لا يجوز عليه المماسّة ولا المباينة، فلذلك قلت أنا: إن الصفة ليست أنا ولا غيري، وعتبي في أنها ليست أنا ولا غيري علتك في أنها لا تماس ولا تباين، فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جواباً"^(٢).

وهذه المناظرة والمناقشة تحكي تغلل الفكر التشبيهي والتجسيمي في الشيعة الأوائل، وخصوصاً إذا علمت أن هشام بن الحكم "كان من أبرز ممثلي مدرسة جعفر الصادق، ومن أكبر الشخصيات الكلامية في القرن الثاني، شغل جميع المجامع العقلية في عصره وخاض معارك كلامية وفلسفية من أدق المعارك مع مخالف المذهب الإمامي"^(٣).

= وشاركه في جميع أقواله وزاد عليه، توفي سنة (١٤٤هـ) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠)، والملل والنحل للشهرستاني (ص ٥٠).

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٣٨١-٣٨٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي سامي النشار (٢/ ١٦٩).

بل ذكر صاحب كتاب نشأة الفكر الفلسفي الدكتور علي سامي النشار أن مدرسة الشيعة الاثني عشرية كان أهم ما يميزها فكرة التجسيم، حيث قال: "... لقد كان العمل الأساسي لهذه المدرسة معارضة المعتزلة بالذات، ومجادلة أهل الاعتزال بكل وسائل الجدل، وكان أهم ما يميز هذه المدرسة فكرة التجسيم، معارضة لفكرة التنزيه المطلق عند مشيخة المعتزلة"^(١).

وأنظر إلى قول المسعودي في وصف هشام بن الحكم بالشيخ حيث قال "... شيخ المجسمة والرافضة في وقته.." ولقب الشيخ في كلام العلماء يطلق على من يصلح أن يُتلمذ له^(٢)، ووصف هشام بالشيخ يوحي بوجود فكر يدرس ويقرر في هذه المرحلة.

النص الخامس: ما ذكره جعفر النجفي^(٣) في كتاب (كشف الغطا) حيث قال بعد نقده لبعض كتب الشيعة المعتمدة ومنها كتاب (الكافي) قال: " والمحمدون الثلاثة كيف يعول في تحصيل العلم عليهم، وبعضهم يكذب رواية بعض.. ورواياتهم بعضها يضاد بعضاً.. ثم إن كتبهم قد اشتملت على أخبار يقطع بكذبها كأخبار التجسيم والتشبيه وقدم العالم، وثبوت المكان، والزمان"^(٤)

والتأمل في النص يجد إثبات أمور منها:

١- الاعتراف بوجود نصوص في التجسيم والتشبيه في كتب الشيعة، وتكذيب

(١) المصدر السابق (٢/١٦٨).

(٢) وهناك معنى آخر للقب الشيخ وهو الرجل الكبير، أنظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي (ص٧٨).

(٣) هو جعفر بن خضر بن شلال الحلبي الجناحي الاصل، النجفي المسكن والوفاء: فقيه إمامي: كان شيخ مشايخ النجف والحلة في زمانه، وهو أبو الأسرة (الجعفرية) من آل كاشف الغطا، له تصانيف منها: كشف الغطاء والحق المبين، توفي سنة (١٢٢٧هـ)، انظر: الاعلام للزركلي (٢/١٢٤).

(٤) كشف الغطا للنجفي (٢/٤٠).

النجفي لها لا يهمننا بقدر ما يهمننا اعترافه، لأن الاعتراف سيد الأدلة.

٢- أن القميين كانوا مشبهة مجبرة إلا أبا جعفر ابن بابويه (كما اعترف المرتضى) وقد تكون هذه الأخبار عمدتهم!

٣- ذكر مسألة التجسيم والتشبيه في نقد هذه الكتب دليل على انتشاره بين الشيعة، وأنه المذهب السائد لقدماتهم.

٤- أن هذا النص يعتبر عاضداً للنصوص السابقة التي تذكر أن القميين وأن جلّ الروافض كانوا يقولون بالتشبيه والتجسيم.

وخلاصة القول في هذا الدليل أن يقال: إن صدور مثل هذا الكلام من علماء معتبرين وثقات في المذهب الشيعي هو دليل على وقوع التشبيه والتجسيم عند القدماء منهم، يؤكد ذلك إجمالا الطوسي حيث قال: "إن كثيرا من مصنفى أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة"^(١).

الدليل الثاني:

كثرت أسئلة الشيعة المتقدمين لأئمتهم وعلماهم عن التجسيم والتشبيه، دليل على انتشار هذا المذهب عندهم وأنهم كانوا مشبهه، ويشهد لذلك حال الشيعة في سنة (٢٥٥هـ) حيث كثرت أسئلتهم لأئمتهم حول هذا الأمر، وغرقوا في خلافهم، فمن قائل: إنه صورة، ومن قائل: إنه جسم، وقد صوروا هذا الواقع لإمامهم فحكم عليهم بأنهم بمعزل عن التوحيد.

جاء في (الكافي) للكليني^(١)، وفي (التوحيد) لابن بابويه وغيرهما، روايات

(١) الفهرست للطوسي (ص ٢٤-٢٥).

(٢) هو محمد بن يعقوب الرازي الكليني أبو جعفر، يعتبر شيخ الشيعة وعالم الرافضة الإمامية، توفي سنة (٣٢٩هـ)، انظر: الفهرست للطوسي (ص ١٣٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/٢٨٠)، والأعلام للزركلي (٧/١٤٥).

تشهد بذلك، تقول الرواية كما يرويها صدوقهم القمي عن سهل قال: كتبت إلى أبي محمد سنة (٢٥٥هـ) قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد؛ منهم من يقول: هو جسم ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك؟ فوق بخطه: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما يشاء من الأجسام ويصور ما يشاء وليس بمصور، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتعالى أن يكون له شبيه هو لا غيره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير^(١).

وجاء في كتاب (التوحيد) للصدوق: "عن عبدالرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين^(٢) إلى أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ بمسائل، فيها: أخبرني عن الله ﷻ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلى بالمذهب الصحيح من التوحيد، فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ بيد عبد الملك بن أعين: سألت رحك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع

(١) الكافي للكليني (١/١٠٣)، التوحيد لابن بابويه (ص١٠١-١٠٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٦١)، انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٣٢).

(٢) عبد الملك بن أعين أخو زرارة الشيباني مولا هم الكوفي كان من أصحاب الصادقين عليهما السلام، مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام وترحم عليه ودعا له كما في رجال الكشي لكنه ذكر عن حمدويه عن محمد بن عيسى عن البنزطي عن الحسن بن موسى عن زرارة قال: قدم أبو عبدالله مكة فسأل عن عبد الملك فقال: مات؟ قيل: نعم قال: فانطلق بنا إلى قبره حتى نصلي عليه، قلت: نعم، فقال ولكن نصلي هنيئة ههنا ورفع يده ودعا له واجتهد في الدعاء وترحم عليه.

وهذا كما ترى تضمن موته بمكة وكون قبره بها، وعنوانه العسقلاني في تهذيب التهذيب ونقل عن سفيان وغيره أنهم قالوا أن عبد الملك وزرارة وجران ثلاثة اخوة روافض كلهم، أحببهم قولاً عبد الملك، وقال قال أبو حاتم هو من أعتى الشيعة، وقال: ذكره ابن حبان في الثقات وكان يتشيع، وقال قال الساجي: يتشيع ويحمل في الحديث، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة. أنظر الفهرست للطوسي ١/٣٢٦.

البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بخلقه، المفترون على الله. واعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله ﷻ، فانف عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تَعُدُّ القرآن فتضل بعد البيان" (١).

وجاء في (بحار الأنوار) للمجلسي (٢) ما يشهد بذلك أيضا ف: "عن محمد بن عبيد، قال: دخلت على الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي: قل للعباسي: يكف عن الكلام في التوحيد وغيره، ويكلم الناس بما يعرفون، ويكف عما ينكرون وإذا سألك عن التوحيد فقل كما قال الله ﷻ: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وإذا سألك عن الكيفية فقل: كما قال الله ﷻ: ليس كمثله شيء، وإذا سألك عن السمع فقل كما قال الله ﷻ: هو السميع العليم. كلم الناس بما يعرفون." (٣)

وجاء في (البحار) أيضا: "عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت إلى الرجل يعني أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ بخطه: سبحان من لا يجد ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم أو قال: البصير" (٤).

وجاء أيضا "أن عبد الملك بن هشام الحنات قال: قلت للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: زعم

(١) التوحيد لابن بابويه (ص ١٠٢).

(٢) محمد باقر المجلسي، متوفى سنة (١١١١هـ)، من كبار علماءهم المتأخرين المكثرين من التأليف ولعل من أشهر كتبه بحار الأنوار قال عنه الحر العاملي في كتاب أمل الآمل (٢/٢٤٨): «عالم، فاضل، ماهر، محقق، مدقق، علامة، فهامة، فقيه، متكلم، محدث، ثقة ثقة، جامع للمحاسن والفضائل، جليل القدر، عظيم الشأن». انظر: الأعلام للزركلي (٦/٤٨).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢/٦٩).

(٤) المصدر السابق (٣/٢٤٩).

هشام بن سالم أن الله تعالى صورة، وأن آدم خلق على مثال الرب، وزعم يونس مولى آل يقطين، وهشام بن الحكم أن الله "شيء لا كالأشياء"، وأن الأشياء بائنة منه، وهو بائن عن الأشياء، وزعما: أن إثبات "الشيء" أن يقال "جسم" فهو "جسم لا كالأجسام": "شيء لا كالأشياء". ثابت، موجود، غير مفقود، ولا معدوم، خارج عن الحدين. حد الإبطال، وحد التشبيه، فبأي القولين أقول؟! فقال عليه السلام. أراد هذا الإثبات.

وهذا شبه ربه تعالى بمخلوق، تعالى الله الذي ليس له شبيه، ولا عدل، ولا مثل ولا نظير، ولا هو في صفة المخلوقين، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه^(١).

ومن هذه التساؤلات أيضا ما جاء في (بحار الأنوار) وغيره عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال محمد بن علي الباقر عليهما السلام: "يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله تعالى، يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثل شيء وهو السميع العليم"^(٢)

لقد روى علماء الشيعة بأنفسهم ردود أئمتهم عليهم، وردهم لعقيدة التجسيم وإنكارهم الشديد لذلك، مما يلوح بوقوع التشبيه والتجسيم بينهم.

فمن ذلك أيضا: ما جاء في سؤال يعقوب السراج لأبي عبد الله جعفر الصادق حيث يقول له: "إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٥).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٠٢/٢٧٠) وتفسير العياشي (١/٥٩)، التوحيد لابن بابويه (ص١٧٩).

في صورة أمرد جعد ققط! فخر أبو عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال: سبحان الله الذي ليس كمثلته شيء، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم...." (١)!!

ولما قيل لأبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك خر ساجداً، ف"عن إبراهيم بن محمد الحزاز، ومحمد بن الحسين، قالوا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فحكينا له ما روي أن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة، وقلت: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجداً ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لو صفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاعتهم أنفسهم أن شبهوك بغيرك. إلهي لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

ثم التفت إلينا فقال: ما توهمتم من شيء فتوهموا الله غيره، ثم قال: نحن آل محمد النمط الأوسط، الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي. يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة..

يا محمد عظم ربي وجل أن يكون في صفة المخلوقين، قال قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب! إن نور الله منه اخضر ما اخضر، ومنه احمر ما احمر، ومنه أبيض ما أبيض، ومنه غير ذلك. يا محمد ما شهد به الكتاب والسنة فنحن القائلون به" (٢).

(١) التوحيد لابن بابويه (ص١٠٣-١٠٤)، وبحار الأنوار للمجلسي (٤/٣٩-٤٠).

(٢) التوحيد لابن بابويه (ص١١٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٤/٤١).

وهذه التساؤلات التي ألقىت على الأئمة يبررها الصدوق بتأليف كتابه (التوحيد) من أجل ذلك فيقول: "إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا أني وجدت قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معانيها ووضعوها في غير موضعها"^(١)

أقول: إثبات أن هذه الأقوال في كتبهم دليل على أن أوائلهم كانوا مشبهه بغض النظر عن تفسيراتها عندهم، فإن كفار مكة كانت تفسيراتهم في عبادة الأصنام من أجل التقرب إلى الله، فالاعتراف بهذه الأقوال التي هي تشبيه شيء وتبريراتها شيء آخر، فالاعتراف بها دليل في ذاته.

وهذه الإشكالات والتساؤلات عن الجسم والصورة جعلت لها كتب في إنكارها كما مر معنا في تأليف الصدوق لكتاب (التوحيد) حيث جعل في كتابه سابق الذكر باباً في ذلك فقال: "باب أنه عنه ليس بجسم ولا صورة" وذكر فيه عشرين رواية"^(٢).

وهذا الكليني أيضاً في (الكافي) يبوب باباً في إنكار الجسم والصورة فيقول: "باب النهي عن الجسم والصورة": وذكر فيه ثمانين رواية"^(٣)، وبفعلها اقتدى المجلسي في (بحار الأنوار) وأيضاً فقال: "باب نفي الجسم والصورة والتشبيه وذكر فيه سبعاً وأربعين رواية"^(٤).

وهذا الكلام السابق يلمح إلى ظهور مدرسة كلامية مشبهة داخل البيت الشيعي الاثني عشري، في مقابل المدارس الأخرى التي ضج بها العالم الاسلامي إبان ذلك

(١) التوحيد لابن بابويه (ص١٧).

(٢) التوحيد لابن بابويه (ص٩٧-١٠٤).

(٣) الكافي للكليني (١/١٠٤-١٠٦).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٧).

الوقت، وهي المدرسة الاعتزالية، إلا أن هذه المدرسة كانت تنادي بفكر التجسيم مقابل فكرة التنزيه المزعوم الذي نادى به المعتزلة •

ويجلى ما سبق ذكره، قول أبي عبدالله جعفر الصادق، في رده على محمد بن مسلم حيث قال كما جاء في الكافي: "عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا محمد، إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء" (١).

وهو تحذير واضح من أبي عبدالله جعفر الصادق للمتكلمين أمثال: هشام بن الحكم، والجواليقي، وغيرهما من متكلمي المذهب، بعدم الخوض في المنطق في صفات الله تعالى المفضي بصاحبه للتشبيه والتجسيم، وذلك بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ مما يدل على انتشار التجسيم والتشبيه لدى قدماء الشيعة.

الدليل الثالث:

وهو نتاج للسبب السابق، حيث إن الرد على أهل التعطيل في تلك الفترة، نتج عنه رد بدعة ببدعة، فحينما نرى محمد الباقر وجعفر الصادق كانا عدوين صريحين للمذهب الاعتزالي، بل تورد المصادر حجاج جعفر الصادق مع عمرو بن عبيد من ناحية وواصل بن عطاء من ناحية، ويبدو من الواضح أن جعفر الصادق كره الرجلين أشد الكراهية، وكره مذهبهما، وكره أن يتابع عمه زيد واصلًا في كثير من أصوله الكلامية، فلعل مواجهات من كان حول الأئمة من أمثال هشام بن الحكم وهشام الجواليقي ومؤمن الطاق وغيرهم غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الخالق بال مخلوق وهو الحاصل (١).

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الجهمية النفاة قابلهم قوم من أهل

(١) الكافي للكليني (١/٩٢).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي النشار (٢/١٦٨-٢١٨).

الإثبات والرافضة وغلاة أهل الحديث فزادوا في الإثبات، حتى دخلوا في التمثيل المنفي في الكتاب والسنة •

وذكر المقرئ أن ابن كرام أحدث مقالته في التجسيم والتشبيه مضادا لمذهب الاعتزال فأثبت الصفات وبالغ في ذلك، حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه^(١).

وعلى كل حال فإن الناظر إلى أحوال ظهور الفرق يجد أن كل فرقة في الغالب تقابلها فرقة أخرى إما غالية، وإما جافية •

فالشيعنة قابلت الخوارج في أول ظهورهما، فالأولى غلت في الحب، والثانية غلت في التبرؤ، والمعطلة قابلت المشبهة، فالأولى غلت في النفي، والثانية غلت في الإثبات... وهكذا^(٢).

فلعل الحدة التي كانت صادرة من الردود في ذلك الوقت ولدت التشبيه والتجسيم عند أوائل الشيعة وقدمائها، وهذا الدليل يعتبر من الممهديات للتشبيه عند الشيعة.

الدليل الرابع:

أن ظاهرة التشبيه أو مقالة التشبيه أول ما ظهرت في المسلمين كان ظهورها بين ظهراني الشيعة، فقد مات النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد ترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، حتى كسر الباب.

جاء في البخاري ومسلم من حديث حذيفة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، قال: "قال عمر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، أيكم يحفظ حديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، عن الفتنة، قال: قلت أنا أحفظه كما قال: قال إنك عليه لجريء فكيف؟ قال: قلت فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف قال سليمان قد كان يقول الصلاة والصدقة

(١) مقالة التشبيه لجابر امير (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: مقدمة الشيخ سعد حمدان على كتاب شرح أصول الاعتقاد لللالكائي (١/ ٣٥).

والأمر بالمعروف والنهي، عن المنكر قال ليس هذه أريد ولكني أريد التي تموج كموج البحر، قال: قلت ليس عليك بها يا أمير المؤمنين بأس، بينك وبينها باب مغلق قال فيكسر الباب، أو يفتح، قال: قلت: لا بل يكسر قال فإنه إذا كسر لم يغلق أبدا، قال: قلت أجل فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق سله قال فسأله فقال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قال قلنا فعلم عمر من تعني قال نعم كما أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط^(١).

فما إن كسر هذا الباب حتي خرجت الفتن على المسلمين تترأ، وتكونت من هذه الفتن جماعات و فرق كل حزب منها بما عنده فرح، فكان من أوائل هذه الفرق فرقة الخوارج - لا كثرة الله - وفرقة الشيعة - لا مكنهم الله -^(٢)

فالأولى مرقت من الإسلام، والثانية غلت في الإسلام، فكان منها أن غلت في علي بن أبي طالب، فقالوا هو إله، حتى قال أشقاهم لعلي بن أبي طالب: أنت أنت، قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

قال: أوقدوا لي نيراناً فأحرقوهم، فهرب عبدالله بن سبأ إلى بلاد فارس، وبذر هذه الفكرة في نفوس العجم، وأوجدت الدين السبئي الذي لا يزال قائماً حتى الآن^(٣).

وإن كان هذا الفكر الشيعي قائماً على تشبيه المخلوق بالخالق، إلا أن من لم يقدر الله حق قدره في ذلك^(٤) لم يقدره حق قدره في هذا^(٥)، وإذا كانت مقالة ابن سبأ في

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوحي باب الصدقة تكفر الخطيئة برقم (١٤٣٥) ومسلم فب باب بيان الإسلام بدأ غريباً برقم (٣٨٦) قال ابن كثير في البداية (٦/٢٢٧): "وهكذا وقع من بعد مقتل عمر، وقعت الفتن في الناس، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ".

(٢) انظر: مقدمة شرح اصول الاعتقاد لللالكائي بتحقيق أحمد بن سعد بن حمدان (١/٣١).

(٣) انظر: مقدمة الحوالي على شرح الطحاوية (ص ٤٠).

(٤) في "تشبيه المخلوق بالخالق".

تشبيه المخلوق بالخالق، فإن مقالته مستلزمه لتشبيه الخالق بالمخلوق^(١)، فكلاهما لا يقدر الله حق قدره.

إذا تقرر هذا فإنه ليس من الغرابة أن يقال: إن متقدمي وأوائل الشيعة كانوا مشبهة، فمن شابه أباه فما ظلم، خصوصاً إذا علم أن أول من قال بتشبيه الخالق بالمخلوق هم الروافض الشيعة، يقول صاحب مقالة التشبيه: "أما التصريح بتشبيه الخالق بالمخلوق فقد ظهر به الرافضة أيضاً، وأول الطوائف قولاً به هم البيانية أتباع بيان بن سمعان، الذي ظهر في أوائل القرن الثاني، وزعم أن الله رجل من نور على صورة إنسان، وأنه يهلك إلا وجهه تعالى الله عن قوله علواً كبيراً!!!"

وذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أن أول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم... ثم قال: ولعله يقصد بذلك من قال: إن الله جسم وشبهه الله في ذلك بالمخلوق، وإلا فإن مقالة تشبيه الخالق بالمخلوق ظهرت قبل ذلك كما تقدم على يد بيان بن سمعان في أوائل القرن الثاني الهجري، لكن من قال بها من المشبهة لم يكونوا من المتكلمين كالهشامية والكرامية..."^(٢)

وسواء قلنا إن القائل هو بيان بن سمعان أو هشام بن الحكم، فإن هذين الرجلين ممن تربى في أحضان التشيع.

إذا ثبت هذا فإن القول بوقوع التشبيه^(٣) في زمن كله أو أغلبه كانوا من خيار الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة - ويظهر ذلك في قول ابن سبأ - فما كان بعده من الأزمان كان أسهل أن يقال فيه بالتشبيه.

(١) في "تشبيه الخالق بالمخلوق".

(٢) مقالة التشبيه لجابر امير (١/١٧٨).

(٣) مقالة التشبيه لجابر (١/١٧٨-١٧٩).

(٤) وهو تشبيه المخلوق بالخالق.

الدليل الخامس:

أن الطبقة^(١) السادسة من طبقات الشيعة كانوا مشبهة، وإليك تحت هذا الدليل أمران:

الأمر الأول: طبقات الشيعة باختصار •

الأمر الثاني: أسماء الطبقة السادسة الذين عرف عنهم التشبيه •

أما الأمر الأول فإن المذهب الشيعي له طبقات^(٢) بحسب تحولاته وتغيراته المذهبية، فإن أصحاب البدع لا يستقرون على قرار، وقد مر معنا شيء من ذلك.

فالطبقة الأولى: هي بداية ظهور التشيع وكان ذلك في سنة ٣٧هـ، وذلك حينما انقسم الناس إلى خوارج وشيعة بعد التحكيم في معركة صفين وثبت مع علي بن أبي طالب جماعة من أصحابه عرفوا بأنهم شيعته، وكان من بينهم أصحاب ابن سبأ والذين شاركوا في الثورة على عثمان يوم الدار، هذا بالإضافة إلى غيرهم من أهل الكوفة والبصرة والأعراب وغيرهم، وقد تقدم أن بعض أصحاب علي بن أبي طالب كانوا يقدمون أبا بكر وعمر عليه، بل وبعضهم يقدم عثمان أيضاً، والقليل منهم كان يقدم علياً على أبي بكر وعمر، وهؤلاء هم الذين كان يعينهم علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في خطبه التي كان ينكر فيها علي من فضله على الشيخين •

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وتواتر عن علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر" وهذا متفقٌ عليه بين قدماء الشيعة، وكلهم كانوا

(١) للطبقة في عرف المحدثين عدة معان ومن أشهر هذه المعاني معنيان: ١- جماعة من الناس متعاصرون يشتركون في بعض ما له شأنٌ من أوصافهم وأحوالهم. ٢- وهو أخص من المعنى الأول -: الأقران، فيقال: هو من طبقة شيوخ البخاري، أو هو من طبقة سفيان الثوري، أي يصلح لمشاركة سفيان في معظم شيوخه وتلامذته. انظر لسان المحدثين لمحمد خلف سلامة (٣١ / ٤)، وهو عبارة عن ملفات ورد نشرها في ملتقى أهل الحديث.

(٢) انظر: مختصر التحفة للألوسي (ص ٧٩)، الشيعة الاثني عشرية في تفسير القرآن لمحمد عسال (ص ٧٤).

يفضلون أبا بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، وإنما كان النزاع في علي وعثمان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) حين صار لهذا شيعة، ولهذا شيعة.

وأما أبو بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): فلم يكن أحدٌ يتشيع لهما، بل جميع الأمة كانت متفقة عليهما؛ حتى الخوارج...^(١)

الطبقة الثانية: شيعة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتبدأ هذه المرحلة بموت أو بمعني أدق بمقتل أبيه علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) علي يد عبدالرحمن بن ملجم^(٢) أحد رجالات الخوارج، الذي كان في الأصل من شيعة علي بن أبي طالب.

بايع رجال الحسن بن علي بن أبي طالب على الموت، وكان عددهم قرابة أربعين ألفاً، ورغبوا في القتال معه، فما زالوا به حتى أخرجوه إلى حرب معاوية، وخرجوا إلى خارج الكوفة، وما زالوا به حتى ساء أدهم معه ويظهر ذلك جلياً في موقف المختار الثقفي مع الحسن بن علي حينما جر مصلاه من تحت قدمه الشريفة، وهو الذي كان يعد نفسه من خواص شيعته وشيعة أبيه، ومثل ما فعله سنان الجعفي من طعن فخذ الإمام (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، حتى تألم منه ألماً شديداً، بل قد صرعه عن فرسه^(٣)، فحينما قامت

(١) النبوات لابن تيمية (ص ١٣٢).

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري: فاتك ثائر، من أشداء الفرسان. أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بني تدؤل. وكان من شيعة علي بن أبي طالب (رض) وشهد معه صفين. ثم خرج عليه، وتآمر على قتل علي فقصد الكوفة فقتله، أحضر ابن ملجم بين يدي الحسن فقال له: والله لا ضربتك ضربة تؤديك إلى النار. فقال ابن ملجم: لو علمت أن هذا في يديك ما اتخذت لها غيرك! ثم قطعوا يديه ورجليه، وهو لا ينفك عن ذكر الله. فلما عمدوا إلى لسانه شق ذلك عليه، وقال: وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً. فأجهزوا عليه، وذلك في الكوفة. وقيل: أحرق بعد قتله. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٩)

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٦).

المعركة رغبوا عنه وتركوه في مواجهه معاوية، مع أنهم هم الذين أخرجوه، وكانوا يدعون أنهم من شيعته المخصوصين وشيعة أبيه المقربين، وأنهم هم الذين أحدثوا مذهب التشيع وأسسوه، والشيعة مقرون بذلك ولا ينكرونه، وهو ثابت في أمات كتبهم، فقد ذكر ذلك الشريف المرتضى في كتابه (تنزيه الأنبياء والأئمة) عند ذكر الإمام الحسن عن صلح معاوية وخلع نفسه من الخلافة وتفويضها إليه، وذكر أيضاً نقلاً عن كتاب (الفصول) للإمامية أن رؤساء هذه الجماعة كانوا يكتبون معاوية سرّاً على الخروج للمحاربة مع الإمام، بل بعضهم أراد قتله (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، فلما تحققت هذه الأمور عنده، رضي بالصلح مع معاوية والتنازل عن الخلافة^(١).

أما الطبقة الثالثة: فهم شيعة الإمام الحسين (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

وهم السواد الأعظم من أهل الكوفة، الذين لهم سبق الخيانة وراية الغدر، وذلك حينما طلبوا من الحسين المجيء إليهم كي يباعدوه ويناصروه، وذكروا له عدد من يناصره ويؤيده من أهل الكوفة، فلما قرب من ديارهم مع أهل بيته تركوه وتقاعدوا عن نصره، بل انضموا إلى جيش أعدائه، وحملوا عليه مع أهله فقتلوه جميعاً، فكانوا أشد الناس عداوة له ولأهل بيته.

يصور ابن عمر موقفه من هؤلاء القتلة بجوابه لرجل من أهل العراق جاء يسأل عن دم البعوضة، "فعن ابن عمر أنه سأله رجل في دم البعوضة، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا! يسألني عن دم البعوضة، وقد قتلوا ابن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وسمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "هما ريحانتي"^(٢).

وقال إبراهيم النخعي^(٣) الإمام فيما حكاه أبو سعد السمان الرازي بسنده إليه

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي (ص ٦١).

(٢) صحيح الأدب المفرد للألباني برقم ٨٥.

(٣) هو ابو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الياني ثم الكوفي، فقيه العراق، قال الإمام أحمد: "كان إبراهيم ذكياً، حافظاً، صاحب" وقال عنه الذهبي: "الإمام الحافظ فقيه العراق"، وقال عنه ابن حجر: ← =

قال: لو أني كنت فيمن قاتل الحسين، ثم أتيت بالمغفرة من ربي فأدخلت الجنة لاستحييت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمر عليه فيراني^(١).

وحقيقة قتل الحسين من قبل أهل الكوفة سجلها التاريخ، وقد سجل فيها أيضاً أن نساء الكوفة قد خرجن حاسرات الرؤوس يتقبلن زينب بنت علي، وزين العابدين بن الحسين ومن معها فأخذن يندبن، وقد شققن الجيوب، فتعجب أهل البيت الكرام وفاجؤهم بالحقيقة، حيث قال زين العابدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يا أهل الكوفة: إنكم تكون علينا، فمن قتلنا غيركم؟!!"^(٢)

الطبقة الرابعة: وهم الشيعة الذين كانوا من أصحاب المختار بن أبي عبيد

الثقفي

استولى المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٣) على العراق، وكان ينادي بدعوة لمحمد بن

= "الفتية ثقة إلا أنه يرسل كثيراً من الخامسة مات سنة (٩٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٢٠)، وتقريب التهذيب لابن حجر (١/٤٦).

(١) الروض الباسم لمحمد بن إبراهيم الوزير (٢/٦٤).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي (ص٦١)، والعواصم من القواصم ابن العربي (١/٢٤١).

(٣) هو ابو اسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، كان أبوه قد أسلم في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم تعلم له صحبة. استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد. ولد المختار عام الهجرة. وقد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلى مكة فأتى ابن الزبير، وكان قد طرد لشره إلى الطائف، فأظهر المناصحة. فلما مات يزيد استأذن ابن الزبير في الرواح إلى العراق، فأذن له. وصار إلى العراق، ودعا فيها إلى إمامة محمد بن الحنفية، حتى علا قدره، ثم طالب بدم الحسين وتبع قتلته، وقتل ابن زياد، وشاع في الناس أخبار عنه بأنه ادعى النبوة، ونزول الوحي عليه، ومكث كذلك ستة عشر شهراً، ثم قاتله مصعب بن الزبير أمير البصرة من قبل أخيه عبدالله، فقتله في الكوفة سنة (٦٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء الذهبي (٣/٥٣٨) والبداية والنهاية لابن كثير (٨/٢٩٢-٢٩٥)، والأعلام للزركلي (٧/١٩٢).

الحنفية^(١)، وأنه علي ولايته وأخذ يقتل الناس بحجة أنه يقتصر من قتلة الحسين، فما زال به الطغيان، حتى نادى بنبوته وأخذ يسجع كسجع الكهان، وكانت له مخاريق وترهات وعقائد فاسدة. مثل القول بالبداء على الله، والقول بالرجعة.

وقد علم ابن الحنفية بذلك فهم أن يذهب إلى الكوفة ليكذبه، فعلم المختار بذلك، فقال أنا على بيعة المهدي، ومن علامته أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي، فبلغ ابن الحنفية فأقام بمكة خوفاً من أن يقتله المختار بالكوفة^(٢).

والجدير بالذكر أن المختار كان له علاقة بالسبئية، فهو من غلاة الشيعة، لذلك من المرجح أن يكون للسبئية وجود بين أتباعه^(٣).

الطبقة الخامسة: وهم الذين حملوا زيد بن علي بن الحسين على الخروج، وتعهدوا بنصره وإعانتته فخرج بهم على والي العراق "يوسف بن عمر الثقفي"^(٤) عامل هشام بن عبد الملك على العراق فلما اشتد القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي، قالوا له: إنا ننصرك على عدوك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب فقال زيد: مقولته المشهورة "إني لا أقول فيهما إلا خيراً وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين، وأغاروا

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، ويعرف بابن الحنفية نسبة إلى أمه. وكان عالماً شجاعاً عابداً زاهداً، ولد في خلافة أبي بكر، وتوفي على الأرجح سنة (٨١هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/١١٠-١٢٩)؛ البداية والنهاية لابن كثير (٩/٤٠-٤٢)؛ تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٣٥٤).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٣١).

(٣) انظر: عبد الله بن سبأ للعودة (ص٢٣٨-٢٣٩).

(٤) وهو يوسف بن عمر الثقفي، ابن عم الحجاج، عامل هشام بن عبد الملك على العراقين، بعد خالد بن عبد الله القسري، وكان شهياً كافياً سائساً مهيباً جباراً عسوفاً، قُتل في السجن بدمشق سنة (١٢٧هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٤٤٢-٤٤٣)؛ البداية والنهاية لابن كثير (٩/٣٣٨-٣٣٩).

على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بالمنجليق والنار، ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم: رفضتموني؟ ومن يومئذ يسمون رافضة، فتركوه وحيداً، حتى قتل وصلب ودفن بكناسة الكوفة، ثم نبش قبره، ثم أحرق جسده الطاهر^(١).

الطبقة السادسة: وهم طبقة من المتكلمين كانوا قد صحبوا الأئمة وأخذوا عنهم، وأغلب مرويات الشيعة عن الأئمة جاءت عن طريقهم، وقد غلب في هذه الطبقة التشبيه والتجسيم والفساد العظيم.

حتى إن أحد الشيعة سأل شيخهم المفيد فقال: "إني لا أزال أسمع المعتزلة يدعون على أسلافنا أنهم كانوا كلهم مشبهة"^(٢).

"فمنهم من كان يعتقد أن الله تعالى جسم ذو أبعاد ثلاثة كالهشامين، وشيطان الطاق والميثمي، ذكر ذلك الكليني في (الكافي).

ومنهم من أثبت له صورة جلّ شأنه، كهشام بن الحكم، وشيطان الطاق، ومنهم من اعتقد أن الله تعالى مجوّف من الرأس إلى السرة، ومنها إلى القدم مصمت كهشام بن سالم والميثمي، ومنهم من اعتقد أنه عزّ اسمه لم يكن عالماً في الأزل، كزرارة بن أعين، وبكير بن أعين، وسليمان الجعفري، ومحمد بن مسلم الطحان، وغيرهم.

ومنهم من أثبت له مكاناً وحيزاً وجهة، وهم الأكثرون، ومنهم من كفر بالله تعالى فلم يعتقد بالصانع القديم ولا بالأنبياء ولا بالبعث والمعاد، كديك الجن الشاعر وغيره.

ومنهم من كان من النصارى ويُعلن ذلك جهاراً ويتزى بزيمهم، ومع ذلك لم يترك صحبة، قومه كزكريا بن إبراهيم النصراني الذي روي عنه أبو جعفر الطوسي في كتابه التهذيب.

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص ٣١).

(٢) انظر: الحكايات للشيخ المفيد (ص ٧٧).

ومنهم من قال في حقهم جعفر الصادق (رضي الله تعالى عنه): يروون عنا الأكاذيب ويفترون علينا أهل البيت كالتبان المكنى بأحمد.

ومنهم من حذر الأئمة منهم، ومن نقله الأخبار، ورواة الآثار عن الأئمة العظام" (١)

ولم تسجل هذه الكتب عن أحد متكلميهم القدامى، أنه كان منزهاً للباري ﷻ، كما ينبغي له تعالى من التنزيه (٢).

وهذه الطبقة كان الأئمة يكفرونهم ويكذبونهم ويقصونهم من مجالسهم العامة، ويذكر في ذلك ما جاء في كتاب (الكافي) للكليني و(بحار الأنوار) للمجلسي أنه قال: "... عن ابن خنيس قال: ذهبت بكتاب عبد السلام بن نعيم، وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ظهرت المسودة قبل أن يظهر ولد العباس بأنا قد قدرنا أن يؤول هذا الامر إليك، فما ترى؟ قال: فضرِب بالكتب الارض، ثم قال: اف اف ما أنا لهؤلاء بإمام أما يعلمون أنه إنما يقتل السفيناني" (٣)

وجاء أيضا في (بحار الأنوار): "... عن محمد بن الفرخ الرخجي قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة. فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ: دع عنك حيرة الحيران واستعد بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان" (٤).

وإليك ترجمة موجزة عن بعض أصحاب هذه الطبقة، التي اشتهر فيهم القول بالتشبيه والتجسيم، مع أن مدار روايات الشيعة في أخبارهم عن أئمتهم عن هؤلاء

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي (ص ٦٣).

(٢) الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن لمحمد عسال (ص ٧٤).

(٣) الكافي للكليني (٨/ ٣٣١)، بحار الأنوار للمجلسي (٥٢/ ٢٦٦)، وانظر: تنقيح المقال للمامقاني (٨/ ٢).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٢٨٨).

الطبقة في الأغلب، وقبل أن أذكر بعض أسماء هذه الطبقة إليك كلام الطوسي في الفهرست الذي يحكي فيه حال رواة الشيعة من حيث العموم وحال رواة كتبهم المعتمدة من حيث الخصوص، يقول الطوسي: "إن كثيرا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول يتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة"^(١)، ويستأنس بقول جعفر الصادق رَحْمَةُ اللَّهِ حَيْث قَالَ: "إن ممن يتحل هذا الأمر لمن هو شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا"^(٢).

وهذا الكلام يجعل الإنسان يتصور مذهب الشيعة على أنه قائم على غير أساس، بل المهم عندهم التشيع، ثم ليتحل الشخص ما يشاء من المذاهب الفاسدة، فحالم كحال القائل في الجاهلية وهو دريد بن الصمة:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ^(٣)

وإن كان هذا البيت قيل في التعصب القبلي، إلا أنه يمكن الاستشهاد به على الشيعة في تعصبهم المذهبي المشهور عنهم ومنه كلام الطوسي السابق.

أما عن الترجمة لبعض هذه الطبقة فهو الأمر التالي:

الأمر الثاني: أسماء الطبقة السادسة الذين عرف عنهم التشبيه.

١- "هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٩٩هـ"^(٤).

صاحب لواء التشبيه في المذهب الشيعي وترجمانه، يقول صاحب كتاب رجال البرقي: "هشام بن الحكم مولى بني شيبان كوفي، تحول من الكوفة إلى بغداد، وكنيته

(١) الفهرست للطوسي (ص ٢٤-٢٥).

(٢) رجال الكشي (ص ٢٥٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٥/١٢٣)، وتاج العروس للزبيدي (٣٩/١٦٢).

(٤) انظر: مقالة التشبيه لجابر امير (١/٢٦١).

أبو محمد، وكان من غلمان أبي شاعر الزنديق جسمي رؤيي" (١).

ويقول شارح الكافي مولي محمد صالح المازندراني: "هشام بن الحكم يروي عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى (عليهما السلام) وكان ثقة محققا متكلمًا حاضر الجواب وله مدائح كثيرة جلييلة عنهما" (٢).

هو رأس الحية في التجسيم والتشبيه وصاحب اللواء، بل ذكر الإجماع على أنه أول من قال "إن الله جسم"، قال صاحب نشأة الفكر الفلسفي: "أجمع مؤرخو الفكر الإسلامي القدامى، شيعة وسنة، ومعتزلة على أن هشام بن الحكم هو أول من قال "إن الله جسم" وأن مقالة التجسيم في الإسلام تنسب إليه" (٣).

وقد أثر هشام في معاصريه من متكلمي الإمامية، فسادت النزعة التجسيمية كتاباتهم، وكلهم من جلة أصحاب الإمام جعفر الصادق ومن أقران هشام بن الحكم (٤).

وكان هشام يزعم أن معبوده جسم ذو أبعاد ثلاثة، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه، وأنه ذو طعم ولون ورائحة، وروى عنه أيضا أن معبوده كسبيكة الفضة وكاللؤلؤة المستديرة، وروى عنه أيضا أنه أشار إلى جبل أبي قبيس أعظم منه، تعالى الله عن هذه الأقوال علوا كبيرا (٥).

وقول هشام في التشبيه والتجسيم أعظم من أن تضع الشيعة أيديها أو أرجلها

(١) قاموس الرجال لمحمد التستري (١٠/٥٥٢).

(٢) شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني (١/١٧٣).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/١٧٣).

(٤) المصدر السابق (٢/١٩٩).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٤٨-٢١٦)، مقالات الاسلاميين للاشعري (١/١٠٦)، والمثلل

والنحل لشهرستاني (١/١٨٤).

على كلامه، كما صنعت اليهود مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما سأهم عن الرجم في التوراة^(١)، فأنكره.

أقول: لأن بعض الشيعة ينكرون نسبة هذه الأقوال إلى هشام بن الحكم، حتى قال أحدهم في مراجعته الملفقة ما نصه: "ورماه بالتجسيم وغيره من الطامات مريدو إطفاء نور الله من مشكاته حسداً لأهل البيت وعدواناً، ونحن أعرف الناس بمذهبه وفي أيدينا أحواله وأقواله وله، في نصره مذهبنا من المصنفات ما أشرنا إليه، فلا يجوز أن يخفى علينا من أقواله وهو من سلفنا وفرطنا ما ظهر لغيرنا مع بعدهم عنه في المذهب والمشرب"^(٢)

لكن جاء في (الكافي) للكليني ما ينسف ذلك: ف"عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم، صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، لا يجد ولا يجس ولا تدركه الأبصار ولا الحواس ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد"^(٣)

يقول المفيد في الحكايات: "وقول هشام بالتجسيم اللفظي قلت: فإني لا أزال

(١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: (إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا له: أن امرأة منهم ورجلا زنيا. فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما تجدون في التوراة، في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتهم، فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقال: صدق يا محمد، فأمر بهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجما. قال: فرأيت الرجل: يميناً على المرأة يقيها الحجارة" وهو حديث متفق عليه أنظر عمدة الأحكام للمقدسي برقم (٣٥٠).

(٢) المراجعات للموسوي مراجعة رقم (١١٠) (ص ٣٩٠).

(٣) الكافي للكليني (١/ ١٠٤)، وبحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٢٩٠).

أسمع المعتزلة يدعون على أسلافنا: أنهم كانوا كلهم مشبهة، وأسمع المشبهة من العامة يقولون: مثل ذلك، وأرى جماعة من أصحاب الحديث من الإمامية يطبقونهم على هذه الحكاية، ويقولون: إن نفي التشبيه إنما أخذناه من المعتزلة! فأحب أن تروي لي حديثاً يبطل ذلك. فقال: هذه الدعوى كالأولى. ولم يكن في سلفنا (رحمهم الله) من يدين بالتشبيه من طريق المعنى، وإنما خالف هشام وأصحابه، جماعة أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله في الجسم، فزعم أن الله تعالى: "جسم لا كالأجسام".

وقد روي: أنه رجع عن هذا القول بعد ذلك. وقد اختلفت الحكايات عنه، ولم يصح منها إلا ما ذكرت. وأما الرد على هشام، والقول بنفي التشبيه، فهو أكثر من أن يحصى من الرواية عن آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ثم قال بعد ذلك بعد أن ساق سنده إلى يونس قال: سمعت يونس بن ظبيان، يقول: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول في الله عَزَّ وَجَلَّ قولاً عظيماً، إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً يزعم: أن الله سبحانه: "جسم (لا كالأجسام) لأن الأشياء شيئات: جسم، وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجب أن يكون بمعنى الفاعل. فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ويحه! أما علم أن الجسم محدود، متناه، محتمل للزيادة والنقصان، وما احتمال ذلك كان مخلوقاً؟! (فلو كان الله تعالى جسماً، لم يكن بين الخالق) والمخلوق فرق" (١). انتهى

ومن كلام المفيد السابق نستفيد أموراً:

١- يلاحظ أن المفيد قرن بين الرد على هشام، وبين نفي التشبه، وهذا يدل على تلبس هشام بالتشبيه.

٢- وصف الراوي لقول هشام بأنه قول في الله عظيم، وهذا الوصف يرد على تأويلات من يريد يعتذر لمقولته، ومع أنه وصف قوله بالعظيم إلا أنه (اختصر) منه،

(١) الحكايات للمفيد (ص٧٧-٨٠).

فهناك أمور أخرى من القول العظيم في الله لم يذكره الراوي !

٣- قول الإمام (ياويجه) دليل على توبيخه ولو كانت التأويلات والتماس العذر لهشام صحيحا لقال الإمام مثلا أخطأ لفظه وصدق معناه !

٤- أن الإمام لم ينف عنه نسبة القول بالجسم، وعدم نفيه لذلك وسكوته عنه فيه إقرار منه لقول هشام به.

٥- أن هناك من يقول إن هذا قبل أن يلتقي بالإمام ويرجع عن عقيدته ! بيد أنه في هذه الرواية يروي عن الإمام بدليل ما جاء في الرواية الموثقة بلفظ " يروي عنكم أن الله جسم " (١).

٢- " هشام بن سالم الجواليقي "

هو هشام بن سالم الجواليقي، مولى بشر بن مروان أبو الحكم، كان من سبي الجوزجان، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان ثقة ثقة عندهم (٢).

روى الكشي: " أنه زعم أن الله ﷻ صورة وأن آدم خلق على مثال الرب " (٣).

يقول شارح (الكافي) المازندراني "... هشام بن سالم الجواليقي الجعفي ثقة ثقة، كذا في الخلاصة، وقال ابن طاووس (قدس سره): الظاهر أنه صحيح العقيدة، معروف الولاية غير مدافع. أقول: سيجمع روايات دالة على فساد عقيدته " (٤).

ثم ينقل المازندراني: تأويلات المجلسي وغيره من العلماء لكلام الهشامين في

(١) شرح اصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (٥/٤١٠).

(٢) رجال النجاشي (٤٣٤-١١٦٥).

(٣) رجال الكشي (ص ٢٨٤-٥٠٣).

(٤) شرح اصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (٣/٩).

الجسم والصورة، بتضعيفها أو لعلهم نسبوا إليها، أو أنها رموزات وتجاوزات ظواهرها فاسدة وبواطنها صحيحة، ولها تأويلات ومحامل أولهما في التقول بها مصلحة دينية أو غرض صحيح وغير ذلك من التأويلات الفاسدة.

قال شارح (الكافي): "أقول: هذا الرجل يقول نصره لهشام بأن الرواية على تقدير صحتها لا تدل على فساد عقيدته لما ذكره وفيه نظر:

أما أولاً: فلأن هذا التوجيه لا يتمشى من قبل هشام؛ لأنه يقول: هو صورة أجوف إلى السرة والبقية صمد أي مصمت كما مر *

وأما ثانياً: فلأنه لا يجوز إطلاق الصورة عليه سبحانه؛ إما لأنها مشعرة بالتجسيم والتركيب، أو لأن إطلاق الاسم والصفة عليه متوقف على الإذن، ولذلك وقع الإنكار على القائلين بالصورة في الروايات مطلقاً من غير تفصيل *

وأما ثالثاً: فلأن ما ذكره من الحديث المشهور بين العامة ونسبه إلى الخاصة أيضاً، فهو على تقدير صحته مؤول عند الخاصة وعند أكثر العامة وقد استقصينا في ذكر تأويله، في أول الباب السابق، وسيجئ بعض تأويلاته في باب الروح عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَام) والله ولي التوفيق." (١).

قال صاحب نور البراهين: "وحيثُذ فالجواليقي أي بياع الجواليق توهم أن الذي كان في صورة الشاب الموفق أي: مستوى الخلق والأعضاء هو الله تعالى، وهو غلط؛ لأنه وصف للنبي صلى الله عليه وآله." (٢).

أقول: هشام بن سالم الجواليقي هو معاصر لهشام بن الحكم، وقد كان يزعم "أن معبوده على صورة إنسان، وأن له حواساً خمساً، وأن نصفه الأعلى مجوف والأسفل مصمت، وأن له وفرة سوداء وأنها نور أسود وباقيه نور أبيض ساطع، وأن إرادته

(١) شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (٥/٤٢٥).

(٢) نور البراهين لنعمة الله الجزائري (١/٢٤٧).

حركة إذا أراد شيئاً تحرك فكان ما أراد، وغلا في علي حتى قال: إنه إله واجب الطاعة" (١)

جاء في (الكافي) للكليني: "عن ابراهيم بن محمد الحراز ومحمد بن الحسين قالوا: دخلنا على أبي الحسن الرضا فقلنا: إن هشام بن سالم والميثمي وصاحب الطاق يقولون: إن الله تعالى أجوف من الرأس إلى السرة والباقي مصمت، فخر الله ساجداً ثم قال: "سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك" (٢)

ومع هذا الذي ذكرناه من (الكافي) إلا أن الشيعة تعده من مفاخرهم، ومن أوثق رواية أخبارهم، ويقولون: كان من المجلين في الكلام الذي أشرقوا أعدائهم بالريق وألزمهم الحجة، ومن سُمح لهم بالمناظرة والكلام من الأئمة (٣). وهشام هذا هو الذي روى عنه الكليني عن أبي عبدالله الصادق أن القرآن الذي جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية، يعني بذلك القرآن الذي بأيدينا محرف قد نقص فيه (٤).

٣- "زرارة بن أعين (المتوفى سنة ١٥٠هـ)"

زرارة بن أعين بن سنسن، اسمه عبد ربه، يكنى "أبا الحسن" و"أبا علي" أيضاً (٥)، وزرارة لقب به، وكان أعين بن سنسن عبداً رومياً لرجل من بني شيبان يُعلم القرآن، قال الحر العاملي: "شيخ من أصحابنا في زمانه، ومتقدمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل، والدين، ثقة، صادقاً فيها

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (٥٣-٢١٦)، مقالات الاسلاميين للاشعري (١/١٠٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٨٥).

(٢) أصول الكافي للكليني (١/١٠٠).

(٣) الإمام الصادق للمظفر (٢/١٧٧).

(٤) الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن لمحمد عسال (ص ٥٦).

(٥) نقد الرجال للتقرشي (٢/٢٤٥).

يرويه، وروى الكشي - وغيره - أحاديث كثيرة جداً، في مدحه، وجلالته، وتوثيقه...^(١).

وجاء في حاشية كتاب (الفهرست) للطوسي: "زرارة بن أعين أكبر رجال الشيعة فقها وحديثاً ومعرفة بالكلام، اجتمعت فيه خلال الفضل والدين"^(٢).

قال العاملي "وروى أحاديث في ذمه، ينبغي حملها على التقية، بل يتعين، وكذا ما ورد في حق أمثاله من أجلاء الإمامية، بعد تحقق المدح من الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ"^(٣).

وهذا الرجل هو أوثق رواتهم على الإطلاق. لكن لنرى ماذا جاء أيضاً في "الفهرست" للطوسي: "أن زرارة بن أعين من أسرة نصرانية وجدته يدعى (سنسن) كان راهباً في بلاد الروم، وكان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان"^(٤).

"وقد أجمعت المصادر على أنه كان رومي الأصل، كان أبوه عبداً رومياً، كما كان جده سنبس راهباً في بلاد الروم"^(٥).

قال أبو عبد الله: "ما أحدث أحد في الإسلام ما أحدث زرارة بن أعين من البدع عليه لعنة الله"^(٦).

ونقل الكشي^(٧) أن أبا عبد الله لعنه ثلاثاً، وقال: "إن الله نكس قلب زرارة.."

(١) وسائل الشيعة للعاملي (٣٧٣/٣٠).

(٢) الفهرست للطوسي (ص١٠٤).

(٣) وسائل الشيعة للعاملي (٣٧٣/٣٠) وانظر: رجال ابن داود (٩٧-٦٣٠)، ورجال النجاشي (ص١٧٥-٤٦٣).

(٤) الفهرست للطوسي (ص١٠٤).

(٥) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢٠١).

(٦) رجال الكشي (ص١٤٩).

(٧) هو أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المتوفي عام (٣٤٠هـ) فقيه إمامي. نسبته إلى (كش) من
⇐ =

وقال الكشي: "زرارة شر من اليهود والنصارى، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة"^(١)

وعن يونس بن عبد الرحمن عن ابن مستان قال: "سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر "أي الباقر". وأما جعفر فإن في قلبي عليه لفتة. فقلت له (أي لابن مستان): ما حمل زرارة على هذا (أي هذا الكلام عن الإمام الصادق)؟ قال: حمله على هذا أن أبا عبد الله أخرج مخازيه!!"^(٢)

وهو من أصحاب أصحاب الباقر والصادق والكاظم^(٣).

تكلم ابن النديم في الفهرست فقال: "آل زرارة بن أعين وذكر أنهم جميعا من خاصة أصحاب أبي جعفر الصادق، فالأسرة إذن كانت أسرة شيعية إمامية. ولا يضعه ابن النديم في ثبت متكلمي الشيعة، وإنما يضعه ضمن فقهاءهم ومحدثهم وعلماؤهم"^(٤).

وقد ذكر علي سامي النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي سببا لكلام ابن النديم في جعل زرارة ضمن الفقهاء والمحدثين دون المتكلمين، إذ قال: "إن الرجل بالرغم من حذقه في الكلام، قد شغلته العادة عن الكلام والمتكلمين" والمراد بالعادة "التحديث"، ثم ذكر رواية عن الإمام جعفر أنه قال: "رحم الله زرارة بن أعين، لولا

= بلاد ما وراء النهر. كان معاصرا للعايشي، أخذ عنه وتخرج عليه في داره بسمرقند، له مصنفات من أشهرها معرفة أخبار الرجال المشهور (برجال الكشي): قال الطوسي عنه: "محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي يكنى أبا عمرو، ثقة بصير بالأخبار وبالرجال حسن الاعتقاد له كتاب الرجال"، انظر: الفهرست للطوسي (ص ١٧١-١٧٢)، الاعلام للزركلي (٦/ ٣١١).

(١) المصدر السابق (ص ١٦٠).

(٢) المصدر السابق (ص ١٣١).

(٣) نقد الرجال للقرشي (٢/ ٢٤٥).

(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٣٠٨).

زرارة لا ندرست احاديث أبي" (١).

يقول أيضا: "ولم يرد عن زرارة فيما ترك لنا من أخبار في كتب العقائد نصوص صريحة عن التجسيم، كما ترك لنا عن الهشامين ولكن ورد له نص في مقالات الاسلاميين أنه يذهب في الصفات إلى أن الله لم يزل غير سميع، ولا عليم، ولا بصير، حتى خلق ذلك لنفسه" (٢).

قلت: وهذا القول في حد ذاته يجعلنا نقول بأنه يقول بالتشبيه؛ إذ إنه يشبه الله بخلقة في وجود صفاته بعد أن كانت معدومة. وهذا لا يكون إلا عند المحدثات جل الله عن ذلك وعلا.

٤- "شيطان الطاق" وهو محمد بن علي بن النعمان الأحول (المتوفي سنة ١٦٠هـ).

قال عنه الحلبي: "محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي مولى بجيلة الأحول، أبو جعفر، كوفي صيرفي يلقب مؤمن الطاق، وكان دكانه في طاق المحامل بالكوفة يرجع إليه في النقد، فيرد رداً يخرج كما يقول، فيقال شيطان الطاق، له في العلم وحسن الخاطر والفضل والدين منزلة عليه، وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا، وقد ذكرناها في الكنى في أبي جعفر الأحول" (٣).

قوله: "وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا" لم يذكر لنا ماهي هذه الأشياء التي نسبت إليه ولم تثبت، علما أن الجرح يفصل فيه كما هو مقرر عند علماء الجرح

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩٠/٤٧)، مستدرک الوسائل للطوسي (٣١٤/١٧)، وسائل الشيعة للعالمي (١٤٢/٢٧).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢٠٢/٢)، وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٦/١).

(٣) رجال ابن داود الحلبي (ص ١٨٠).

والتعديل^(١)، فهل يصح لنا أن نقول: "كل" ما نسب إليه ليس بصحيح؟ لا بد لنا أن ننظر في ما نسب إليه حتى نستطيع أن نحكم عليه.

ولعلنا أن نقف مع هذه الرواية التي وردت في أصح كتب الشيعة على الإطلاق وهو كتاب (الكافي) للكليني فعن: "عن إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، فحكينا له أن محمد رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة، وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد فخر ساجدا لله، ثم قال: "سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا اشبهك بخلقك أنت أهل لكل خير فلا تجعلني من القوم الظالمين، ثم التفت إلينا فقال: ما توهمتم من شيء فتوهموا الله غيره ثم قال: "نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي. يا محمد، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة. يا محمد، عظم ربي عز وجل أن يكون في صفة المخلوقين.

قال قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمد كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب، إن نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، ومنه أبيض ومنه غير ذلك. يا محمد، ما شهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به"^(٢).

ويلاحظ في هذه الرواية وصف الله بأنه أجوف إلى السرة صمد، والقائل لذلك من جل عظماء الاثني عشرية.

(١) مقدمة ابن الصلاح (٢/٨٨٧-١٠٠٠).

(٢) اصول الكافي للكليني (١/١٠٠-١٠٢).

مؤمن الطاق أو مؤمن آل محمد أو شيطان الطاق أسماء اطلقت على هذا الرجل، فقد عاصر الباقر والصادق، وكان يشارك هشام بن سالم وابن الحكم في قولهما^(١)، وكان يزعم أن الله تعالى إنما يعلم بالأشياء إذا قدرها وأرادها، ولا يكون قبل ذلك عالماً بها، وذكروا عنه انه قال في كتاب "الإمامة": إن الله لم يقل: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^(٢) وهذا الشيطان هو أول من قال بأن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه، وقد روى ذلك عنه أصحاب كتب الجرح والتعديل عند الشيعة.

فقد قال المامقاني^(٣) في كتاب (تنقيح المقال): "إن إمامهم الكشي في ترجمة مؤمن الطاق أنه قال: كنت عند أبي جعفر الصادق فدخل زيد بن علي عم جعفر الصادق فقال: الإمام زيد لمؤمن الطاق: يا محمد بن علي، أنت الذي تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة معروفاً بعينه؟ قال: قلت نعم، أبوك أحدهم، قال له زيد: ويحك وما يمنعك أن تقول لي؟ فوالله لقد كان يؤتى بالطعام الحار فيقعدهني على فخذه، ويتناول البضعة فيردها ثم يلقمونها، أفتراه كان يشفق علي من حر الطعام ولا يشفق علي من حر النار؟ قال مؤمن الطاق: قلت: كره أن يقول لك فتكفر فيجب عليك من الله الوعيد، ولا يكون له فيك شفاعة، فتركك مرجئاً لله فيك المسألة، وله فيك شفاعة^(٤).

٥- "جابر بن يزيد الجعفي (المتوفى سنة ١٢٧)"

"جابر بن يزيد الجعفي، جعفي أبو قبيلة من اليمن، وهو جعفي بن سعد العشيرة ابن مدحج، والنسبة إليه كذلك، وفي جابر مدح وتوثيق ودم من أراد الاطلاع

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٨٦/٧٥) تحقيق مؤسسة الوفاء بيروت، وانظر: كتاب الإمام الصادق للمظفر (١٧١/٢).

(٢) سورة التوبة الآية (٤٠).

(٣) محمد حسن بن عبد الله المامقاني، أحد أكبر رجالات الشيعة في الجرح والتعديل توفي في النجف سنة ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م). انظر: الاعلام للزركلي (٦٩٣).

(٤) انظر تنقيح المقال للمامقاني (١٧١/٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (١٨٩/٤٦).

عليه فليرجع إلى كتب الرجال"، كذا قال شارح الكافي^(١)، وجابر هذا من أتباع المغيرة بن سعد، ولما مات المغيرة أصبح إمام الطائفة المغيرية قائلاً بالمذهب •
ومن أقوال المغيرة: "أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج، وله من الأعضاء مثل ما للرجل، وله جوف وقلب ينبع منه الحكمة، وزعم المغيرة أن معبوده جسم على حروف الهجاء، وأن الألف منه مثال قدميه، والعين صورة عينيه، وشبه الهاء فقال: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً، يُعرّض بالعورة - قاتله الله - . وزعم بأنه رآه - لعنه الله وأخزاه - " (٢).

يقول الذهبي في ميزان الاعتدال: عن "أبو يحيى الحماني، سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيته فيمن رأيته أفضل من عطاء، ولا أكذب من جابر الجعفي، ما أتته بشيء إلا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها" (٣).

ويؤكد هذا قول الحر العاملي عن "جابر الجعفي": فيقول: "روى سبعين ألف حديث عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ وروى مائة وأربعين ألف حديث، والظاهر أنه ما روى بطريق المشافهة عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" (٤).

وهذا زرارة بن أعين أوثق رجالات الشيعة عندهم يقول عن جابر فيما حكاه صاحب كتاب "رجال الكشي": "إن زرارة بن أعين قال: (سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أحاديث جابر؟ فقال ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل علي قط" (٥).

(١) شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (٣/١٤٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٦٨)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٣٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٠٧)، والفصل لابن حزم (٥/٤٣)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٥٠٣ - ٥٠٤)، مقالة التشبيه لجابر (١/٢٤٦)، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين لأحمد جلي (ص١٦٨).

(٣) ميزان الإعتدال للذهبي (١/٣٧٩).

(٤) وسائل الشيعة للعاملي (٢٠/١٥١).

(٥) رجال الكشي (ص١٩١).

وقال النجاشي عن جابر الجعفي: "وكان في نفسه مخلطاً"^(١).

وقال هاشم معروف: "إن جابر الجعفي من المتهمين عند أكثر المؤلفين في الرجال"^(٢).

فرجلٌ هذ حاله عند أصحابه فكيف بغيرهم.

٦- "هارون بن مسلم بن سعدان الثقة الوجه"

قال عنه صاحب كتاب النجاشي: "هارون بن مسلم بن سعدان، الكاتب السر من رائي كان نزلها، وأصله من الأنبار، يكنى أبا القاسم، ثقة وجه"^(٣)، وكان له مذهب في الجبر والتشبيه، لقي أبا محمد وأبا الحسن عليهما السلام، له كتاب التوحيد، وكتاب الفضائل، وكتاب الخطب، وكتاب المغازي، وكتاب الدعاء، وله مسائل لأبي الحسن الثالث عَلَيْهِ السَّلَام..."^(٤)

وفي رجال ابن داود الحلبي: "هارون بن مسلم بن سعدان الكاتب السر من رائي كان نزلها وأصله الأنبار ويكنى أبا القاسم (جش)^(٥) ثقة وجه كان له مذهب في الجبر والتشبيه..."^(٦).

(١) رجال النجاشي (ص ١٠٠).

(٢) الموضوعات في الآثار والأخبار (ص ٢٣٤).

(٣) "الوجه": في اللغة هو بمعنى القدر والمنزلة ووجوه القوم ساداتهم، انظر: معجم مصطلحات الرجال لمحمد رضا (ص ١٨٩).

(٤) رجال النجاشي (ص ٤٣٨).

(٥) رمز يطلق على كتاب "رجال النجاشي" وهو أتن كتاب في الجرح والتعديل، انظر: مقدمة تهذيب المقال تأليف الحجة السيد محمد علي الموحد الابطحي ومقدمة بحار الانوار تأليف الحجة الشيخ عبدالرحيم الرباني (١/٤٧).

(٦) رجال ابن داود الحلبي (ص ٢٨٣).

وفي نقد الرجال للتفرشي: "هارون بن مسلم بن سعدان: الكاتب السر من رأيي كان نزلها وأصله الأنبار يكنى أبا القاسم ثقة وجه وكان له مذهب في الجبر والتشبيه، لقي أبا محمد وأبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ له كتب روى عنه: سعد رجال النجاشي" (١).

وهارون بن مسلم كل من تكلم عنه وصفه بالجبر والتشبيه ولعله اشتهر بذلك.

٧- "محمد بن جعفر الأسدي شيخ الكليني صاحب الكافي (المتوفى سنة ٣١٢) (٢) ."

هو "محمد بن جعفر الأسدي، يكنى أبا الحسين الرازي، كان أحد الأبواب (٣)، الذي هو من مشايخ الكليني، ووالد الصدوق (٤) ."

قال الطوسي في كتاب الغيبة: "وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل. منهم أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي رَحِمَهُ اللهُ" (٥).

يقول النجاشي (٦) عند عقيدته: "محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي أبو الحسين الكوفي، ساكن الري. يقال له محمد بن أبي عبد الله، كان ثقة، صحيح الحديث،

(١) نقد الرجال للتفرشي (٣٩/٥).

(٢) الغيبة للطوسي (ص٤١٧).

(٣) رجال الطوسي (ص٤٣٩).

(٤) مجلة تراثنا - مؤسسة آل البيت (٢٤/٢٢٨).

(٥) الغيبة للطوسي (ص٤١٥).

(٦) هو ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الاسدي، مؤرخ إمامي، يعرف بابن الكوفي، ويقال له الصيرفي. من أهل بغداد، توفي بمطير آباد سنة (٤٥٠ هـ) وقيل (٤٦٠ هـ)، له مصنفات من أشهرها: الرجال النجاشي في تراجم علماء الشيعة وأسماء مصنفاتهم، وكتاب الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل، انظر: الاعلام للزركلي (١/١٧٢).

إلا أنه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه وكان أبوه وجهها، روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى - له كتاب الجبر والاستطاعة^(١). انتهى

ويقول الحلبي في عقيدته أيضا: "محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي، أبو الحسين الكوفي، سكن الري، يقال له: محمد بن أبي عبد الله، كان ثقة صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه، فأنا في حديثه من المتوقفين، وكان أبوه وجهها، روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى"^(٢).

وبشهادة النجاشي والحلي نكتفي في إثبات عقيدة التشبيه للأسدي.

٨- "أبو جعفر محمد بن الخليل المعروف بالسكاك"

هو "محمد بن الخليل أبو جعفر السكاك، بغدادي صاحب هشام بن الحكم وتلميذه أخذ عنه، له كتب منها كتاب التوحيد، إلا أن "جش" قال: إنه تشبيه يعني ليس بتوحيد بل تشبيه وشرك. ويستفاد من "ست"^(٣) كونه اماميا و"كش"^(٤) جلالته"^(٥).

قال النجاشي: "محمد بن الخليل (خليل) أبو جعفر السكاك بغدادي يعمل السكاك صاحب هشام بن الحكم وتلميذه أخذ عنه. له كتب، منها: كتاب في الإمامة وكتاب سماه التوحيد وهو تشبيه وقد نقض عليه"^(٦).

(١) رجال النجاشي (ص ٣٧٣).

(٢) خلاصة الأقوال للحلي (ص ٢٦٥).

(٣) رمز يطلق على كتاب "الفهرست الطوسي"، انظر مقدمة كتاب "ما لا يحضره الفقيه" (ص ١).

(٤) رمز يطلق على كتاب "رجال الكشي"، انظر المصدر السابق.

(٥) طرائف المقال لعلي البروجردي (١/٣٤٨).

(٦) رجال النجاشي (ص ٢٢٨).

٩- "الميثمي علي بن إسماعيل"

يقول صاحب كتاب النجاشي: "علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار، أبو الحسن مولى بنى أسد كوفي، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلمين من أصحابنا، كلم أبا الهذيل والنظام، له مجالس وكتب: منها كتاب الامامة، كتاب الطلاق، كتاب النكاح، كتاب مجالس هشام بن الحكم، كتاب المتعة"^(١).

ولقب الميثمي يطلق على جماعة من الشيعة الذين صحبوا الأئمة: "منهم أحمد بن الحسن بن إسماعيل، وعلي بن إسماعيل، وعلي ابن الحسن، ومحمد بن الحسن بن زياد وغيرهم، كان في زمان الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، من الفضلاء المعروفين والمتكلمين المتدققين وربما يظهر أنه كان من تلامذة هشام"^(٢).

جاء في (بحار الأنوار): "عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالوا: دخلنا علي أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحكينا له ما روي أن محمدا صلى الله عليه واله رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجدا ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لو صفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاواعتهم أنفسهم أن شبهوك بغيرك إلهي لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا اشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين...."^(٣).

١٠- "علي بن منصور"

قال النجاشي: "علي بن منصور أبو الحسن كوفي، سكن بغداد، متكلم، من

(١) المصدر السابق (ص ١٧٦).

(٢) أنظر: بحار الأنوار للمجلسي بتحقيق مؤسسة الوفاء بيروت (٣٩/٤).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩/٤).

أصحاب هشام، له كتب: منها كتاب التدبير في التوحيد والإمامة"^(١).

وقال النجاشي في ترجمة هشام بن الحكم: "كتاب التدبير في الإمامة، وهو جمع علي بن منصور من كلامه"^(٢).

ويكفي في معرفة حال الرجل أن كان من أصحاب هشام بن الحكم.

١١- يونس بن عبدالرحمن آل يقطن (المتوفي سنة ٢٠٨هـ)^٥

يونس بن عبد الرحمن هو أبو محمد مولى آل يقطين ثقة من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، "كان وجهها في أصحابنا متقدما عظيم المنزلة"^(٦)، وقال ابن النديم: "يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر عليهما السلام من موالى آل يقطين، علامة زمانه، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة"^(٧)، ثم عد كتبه^٥

وكان يونس من أصحاب الإجماع ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمد عليهما السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه وروى عن الكاظم والرضا عليهما السلام وكان الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير إليه في العلم والفتيا، وكان ممن بذل على الوقف مالا جزيلاً^(٨).

وقد أجمعت المصادر على أنه كان مشبهاً^(٩)، وهو من كبار مؤلفي كتب الشيعة،

١- رجال النجاشي (٢/ ٧١).

٢- المصدر السابق (٢/ ٣٩٧).

٣- شرح اصول الكافي للمازندراني (٣/ ٧).

٤- الفهرست لابن النديم (ص ٣٠٩).

٥- بحار الأنوار للمجلسي (٧٥/ ٣٣٧) بتحقيق مؤسسه الوفاء بيروت.

٦- نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/ ٢٠٤).

كما قال الأشعري^(١).

يقول شارح (الكافي): "...ومن رموه بالكفر والزندقة يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين الذي أمر الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأخذ معالم الدين عنه"^(٢).

قال الشريف المرتضى عن يونس وعلي بن منصور: "...وقال هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، وعلي بن اسماعيل بن ميثم، ويونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، وابن سالم الجواليقي، والحشوية وجماعة المشبهة: إنَّ الله ﷻ في مكان دون مكان، وأنه يتحرك وينتقل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"^(٣).

هؤلاء بعض المفسدين في مذهب التشيع الذي بدأ معتدلاً، ثم انحرف عن جادة الصواب فعثوا في الأرض فساداً، هذا وإن تتبعنا تراجم أعلام الشيعة في زمن الأئمة رأيناهم بين كذابين وملاحدة، وفاسدي عقيدة، ومذمومين من أئمتهم^(٤)، إلا ما رحم ربك وقليل ما هم.

ورجال هذا حالهم فكيف يوثق بهم، ويقبل ما يلصقونه بآل البيت من الأخبار، خاصة ما يتعلق بأمر العقيدة، وقديماً قيل "من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب"^(٥).

ومن هؤلاء المشبهة المتكلمين سابقى الذكر، كان عصر الإزدهار في المذهب الشيعي الإمامي الذين ألدوا به إلى التشبيه والتجسيم^(٦)، ثم خرجت وتولدت الفرق

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/٦٣).

(٢) شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني (٧/١١).

(٣) رسائل المرتضى (٣/٢٨١).

(٤) الفهرست للطوسي (ص٢٤-٢٥).

(٥) الأمثال المولدة لابي بكر خوارزمي (ص٨٢).

(٦) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢٠٧).

الغلاة من الشيعة المعتدلين^(١) وهو دليل من أدلة إثبات التشبيه عند الأوائل من الشيعة، وهو الدليل الآتي فأقول:

الدليل السادس:

ومن الأدلة أيضا على إثبات التشبيه عند الأوائل من الشيعة، الفرق المنشقة عن التشيع، فإن أغلبها كانت مشبهة، زد على ذلك أن المجتمع الشيعي كان مجتمعاً سرياً، والسرية في الغالب لا تكون إلا مع الأفكار الغريبة المستهجنة التي لا يرضاها المجتمع، ومع وجود هذه السرية فإن المجتمع الشيعي كانت تسوده التيارات المختلفة والنزعات المتعارضة، ثم ما إن لبثت هذه الجماعات حتى أخرجت الغلاة الذين يحملون التشبيه بنوعيه، وازداد هذا الأمر في أيام جعفر الصادق، والرجل الكبير ينكره، وينكر ما نسب إليه مخالفاً للقرآن والسنة^(٢)، والشيعة من حيث العموم ينكرون ذلك أيضا.

فليس هنالك تشيع واحد خلال التاريخ، بل كان لكل عصر نوع من التشيع، ولكل طائفة شيعية نوع من التشيع، فما أكبر الفارق بين حب مجموعة من الصحابة لعلي بن أبي طالب في عهد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي عهد الخلفاء الثلاثة، وبين حب أنصار علي بن أبي طالب الملتفين حوله في طرقات الكوفة والبصرة، وما أشد الخلاف بين هذا الحب وبين جرأة الترايين من أصحاب حجر بن عدى وفداء التوايين من أصحاب سليمان بن صرد.

ويعظم الخلاف بين عاطفة كل من سبق وبين الشيعة الحقيقية في عهد جعفر الصادق، حين نشأ المذهب الكلامي للشيعة، وفتق المتكلمون من تلامذة جعفر بن محمد الصادق الكلام في الإمامة، وخاضوا الفلسفة في جميع نواحيها، وما أشد الخلاف

(٢) نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار (١/٢٨٦).

ثالثة بين كل هذا وبين عقيدة الاثني عشرية، وليست الشيعة اثني عشرية فقط، بل هنالك الزيدية يقتربون من أهل السنة، وهنالك إسماعيلية يتعدون عن أهل السنة وعن الاثني عشرية، وهنالك كيسانية، وهم أتباع محمد بن الحنفية أو شيعته، وهنالك الغلاة من قرامطة ونصيرية علوية وبيانية وخطابية ودروز... إلخ، وهم كلهم شيعة والتشيع الأول كان مجسماً، والتشيع الأخير كان معتزلياً، وهم جميعاً شيعة^(١).

وإن كان الشيعة الاثني عشرية ينكرون انتساب بعض هذه الفرق إليها^(٢)، ولكن كتب الفرق الإسلامية جميعاً يثبتون علاقة وطيدة بين هذه الفرق الغالية، وبين التيار الشيعي العام، وإذا لم يكن لهؤلاء الغلاة صلة بالتشيع في صورته المعتدلة، فإنهم ولا شك اتخذوا من التشيع ستاراً، ومن حب آل البيت وسيلة إلى نشر أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة، ومن ثم أصبح التشيع كما يقول أحمد أمين "مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد... ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية، ونصرانية، وزردشتية، وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون من حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم"^(٣).

وهكذا كان أولئك الغلاة سلفاً لذلك التيار الباطني^(٤) الهدام الذي نما وقوي عوده في أحضان فرق الشيعة وفرخ في ظلالها، وإليك بعض هذه النماذج من أفكارهم ودفاع أبي عبدالله جعفر الصادق وغيره من الأئمة لهذه الأفكار الغالية والمنحرفة •

جاء في (بحار الأنوار): "عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لابي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢١)، الحركات الباطنية للخطيب (ص٢٤-٢٥).

(٢) انظر: الوهابية والتوحيد للكوراني (ص٢٤٧).

(٣) فجر الإسلام أحمد أمين (ص٢٧٦).

(٤) من أجل ما كتب عن الباطنية، ما كتبه الدكتور محمد أحمد الخطيب في كتابه "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي".

سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله ﷻ جسم صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس، ولا يدركه الحواس، ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد" (١).

وجاء في (بحار الأنوار) للمجلسي أيضا: "عن محمد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً، إلا أني أختصر لك منه أحرفاً، يزعم أن الله جسم، لأن الأشياء شيان. جسم، وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل. فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويله! أما علم أن الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً. قال: قلت: فما أقول؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا جسم ولا صورة، وهو مجسم الاجسام، ومصور الصور لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً" (٢).

وجاء أيضا في (بحار الأنوار): "عن هشام بن إبراهيم العباسي قال: قلت له - يعني أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ -: جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة، قال: ومن هو؟ قلت: الحسن بن سهل قال: وفي أي شيء المسألة؟ قلت: في التوحيد، قال: وأي شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم أو لا جسم؟ فقال لي: إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب. إثبات بتشبيهه، ومذهب النفي، ومذهب إثبات بلا تشبيه. فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠١).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٢).

الثالث إثبات بلا تشبيه"

تلك بعض الأدخنة التي توحى بوجود نار في داخل البيت الشيعي، لكن ما لبثت هذه النار حتى أصبحت سعيراً تريد أن تلتهم العالم الإسلامي، فهم المتطرفون الغلاة.

وإليك بعض هذه الفرق الغالية:

١- " فرقة السبئية"

هم أتباع عبد الله بن سبأ، وتذكر المصادر السنية والشيعة أن ابن سبأ كان يهودياً يمينياً فأظهر الإسلام^(١)، ليدمره من الداخل، فهو الذي نقل الثورة ضد عثمان من القول إلى العمل مشعلاً للفتنة، وهو الذي دسّ الأحاديث الموضوععة ليدعم بها رأيه، فهو رائد الفتن السياسية الدينية، ومشعل نارها في الإسلام.

وهو أول من أظهر عقيدة التشبيه، وأتباعه يسمون بـ "السبئية". إذ إن هذه الفرقة الضالة أهتت علياً (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، وشبهوه بذات الإله الحق، فلما أحرق قوماً منهم لهذا السبب قالوا له: الآن علمنا أنك إله؛ لأن النار لا يعذب بها إلا الله^(٢).

يقول الجوزجاني^(٣): "... ثم السبئية اذ غلت في الكفر، فزعمت أن علياً إلهاً، حتى حرقهم بالنار انكاراً عليهم واستبصاراً في امرهم حين يقول:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٣٣) والتبصرة للاسفرائيني (ص ١٠٨) ونشأة الفكر الفلسفي للنشار (٣٦/٢)، وانظر: ابن سبأ للعودة (ص ٣٨).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٣٣)، وانظر ابن سبأ للعودة (ص ٢٠٥).

(٣) - هو ابراهيم بن يعقوب، ابو اسحاق السعدي، الدمشقي، محدث الشام، وأحد الثقات الحفاظ، نسبة إلى "جوزجان" في خراسان مات سنة (٢٥٩هـ) بدمشق، وله مصنفات منها "الجرح والتعديل، والمتجر"، أنظر: الاعلام للزكي (١/٧٦).

ونص الجوزجاني السابق من النصوص القديمة عن طائفة السبئية^(١).

والقول بتشبيه "علي بن ابي طالب" بالاله، وأن علياً إله، تؤكدتها أغلب المصادر الموجودة بين أيدينا، أمثال: كتاب "تأويل مختلف الحديث لابن قتبية"^(٢)، وكتاب "مقالات الاسلاميين للأشعري"^(٣)، وكتاب "التبصرة في الدين للاسفرايني"^(٤)، وكتاب "الفرق بين الفرق للبغدادى"^(٥)، وكتاب "التنبيه والرد للملطي"^(٦)، وكتاب "الملل والنحل للشهرستاني"^(٧)، وكتاب "لسان الميزان لابن حجر"^(٨)، وكتاب "رجال الكشي"^(٩).

وهذه المصادر وإن أكدت هذا الأمر فهي رد في نفس الوقت على من ينكر أو يشكك في ذلك، كـ "عبدالرحمن بدوي" حيث قال: "يغلب على الظن أن السبئية لم يقولوا بالوهية علي بن أبي طالب، وإنما قالت بهذا أصناف عديدة من غلاة الشيعة..."^(١٠)

أقول: كان المسلمون على ما بعث الله به النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الهدى والنور

(١) عبدالله بن سبأ للعودة (ص ٢٠٦).

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتبية (ص ٧٣).

(٣) (ص ٨٦/١).

(٤) (ص ١٠٨).

(٥) (ص ٢٣٣).

(٦) (ص ١١٨).

(٧) (ص ١٥٥/١).

(٨) (ص ٢٩٠/٣).

(٩) (ص ٩٩-١٠٠).

(١٠) عبدالله بن سبأ للعودة (ص ٢٠٧).

(١١) مذاهب الإسلاميين للبدوي (٢/ ٤٥).

ودين الحق، الذي فيه إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وتنزيهه عما يضاد توحيده من الشرك والتشبيه ونفي جميع النقص والعيوب، وإثبات صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهذا المنهج هو الذي سار عليه حملة الرسالة الحقة من الصحابة وتابعيهم بإحسان، حتى ظهرت الشيعة التي كانت غرس حنظل في التربة الإسلامية. فبظهورها ظهرت الشرور على الأمة الإسلامية.

يقول البغدادي: "اعلموا أسعدكم الله أن المشبهة صنفان صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى والمشبهة الذين ضلوا في تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة، فمنهم السبائية^(١) الذين سموا عليا الها، وشبهوه بذات الاله، ولما أحرق قوما منهم، قالوا له: الآن علمنا أنك إله، لأن النار لا يعذب بها الا الله..."^(٢).

جاء في (تهذيب الأحكام) للطوسي وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للصدوق، و(بحار الانوار) للمجلسي وغيرهم: "عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله في كل مكان؟ فقال: بلى. قال فلم يرفع يديه إلى السماء؟ قال: أما تقرأ في القرآن " وفي السماء رزقكم وما توعدون " فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه، وموضع الرزق وما وعد الله

(١) السبائية أو السبائية أو السبئية اسما تطلق على "اتباع عبد الله بن سبا الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم انه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم انه إله ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم الى علي رضي الله عنه فامر بإحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك " انظر: الفرق للبغدادي (ص ٢٣٣)، وعبدالله بن سبا للعودة (ص ٢٠٠-٢٠١)، وقيل السبائية: هم الذين ينسبون إلى رجل اسمه عبدالله بن سباب انظر: منهاج السنة لابن تيمية (١/٣٠٧).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢١٤)، انظر: اعتقادات فرق المسلمين للرازي (ص ٧٣).

السماء" (١).

وهذا الكلام السابق لو قاله من حسنت سيرته العقديّة، لكان محتملاً للصواب (١)، ولكن من عرف ابن سبأ وعرف أقواله وسيرته، يكاد يجزم، بل يباهل (١) على أن مراده التشبيه، وأن الله معنا بذاته - والعياذ بالله - .

فهم المجسمة الأول في حقل التشيع، يقول ابن تيمية: "فقالوا أنت هو. قال من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو فقال ويحكم هذا كفر ارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك فأخرجهم ثلاثة أيام؛ لأن المرتد يستتاب (١) ثلاثة أيام، فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فخذت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار .

وروى عنه أنه قال:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

(١) تهذيب الاحكام للطوسي (٢/٢٣٣)، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق (٢/٤٩)، وبحار الانوار للمجلسي (٢/٢١٧)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢/٤٨٧).

(٢) أي يجتمل أن يكون معناه: أن الله معنا بعلمه وهو فوق سواواته، انظر تفسير ابن عطية (١٥/٢٨٦)، وتفسير ابن كثير (٦/٩٨) بل أن اهل العلم مجمعون على أن الله معنا بعلمه، قال ابن عطية: في تفسيره (١٥/٢٨٦): "أن الامة اجمعت على هذا التاويل".

(٣) المباهلة هي الملاعنة، وذلك بأن يحضر كل من المتلاعنين أولادهما ونساؤهما وأنفسهم ثم يتجه كل منهم إلى الله بالدعاء أن يُنزل عقوبته ولعنته على الكاذبين في قولهم، المصّرّين على عنادهم. وعند إجابة الله تعالى للطرف الذي على الحق، فإنه تعالى لا يبقي للطرف الآخر أهلاً ولا ولداً ولا مالاً، كما حدث في وفد نصارى نجران، عندما أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملاحظتهم في قولهم في عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فخافوا ولم يلاعنوه لعلمهم بما سيحدث لهم إن هم لاعنوه، انظر: الجامع لأحوال وأحكام النساء في القرآن الكريم لأحمد بن علي (١/٥٤)، وشرح التوبة لابن عيسى (١/٣٧).

(٤) وجوب الاستتابة موضع خلاف بين الفقهاء فهي مستحبة عند مالك والشافعي وفي رواية عند أحمد، وبالوجوب في أظهر مذهب أحمد، انظر: العدة شرح العمدة للمقدسي (٢/٣٧).

وقتل هؤلاء واجب باتفاق المسلمين، لكن في جواز تحريقهم بالنار نزاع بين الصحابة. فعلي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رأى تحريقهم، وخالفه (ابن عباس) وغيره من الفقهاء. قال ابن عباس: أما أنا فلو كنت لم أحرقهم لنهي النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم لقول النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من بدل دينه فاقتلوه^(١). وهذا الحديث في صحيح البخاري...^(٢).

وقنبراً^(٣) في قوله: "أججت ناري ودعوت قنبراً" فهو مولى لعلي بن أبي طالب، الذي تولى طرحهم في النار. نعوذ بالله من أن نفتن بمخلوق أو يفتن بنا مخلوق فيما جل أو دق فإن محنة أبي الحسن (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من بين أصحابه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) كمحنة عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه من الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ...^(٤).

وإن كان تحريق علي بن أبي طالب لطائفة السبئية قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، فإن مسألة إحراق عبدالله بن سبأ نفسه، مما اختلفت فيه أراء العلماء، والقول الشائع المشهور هو نفي ابن سبأ دون تحريق^(٥).

وقد رجح الدكتور العواجي في كتابه "فرق معاصرة"، أن عليا (رضي الله عنه) تركه لعدم ثبوت تلك الاقوال عنده؛ لأن ابن سبأ كان يرمي بها من خلف ستار^(٦).
نجا ابن سبأ من القتل، وعاش بعد علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وعندما وصله

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٠٦/١).

(٣) هو قنبر مولى لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم يثبت حديثه، قال الأزدي "كبر حتى لا يدري ما يقول أو يروي"، وقال الذهبي: "قلت قل ما روى" انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٣٩٢)، ولسان الميزان لابن حجر (٥/٥٣٠).

(٤) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤٧/٥-٤٧).

(٥) عبدالله بن سبأ للعودة (٢١٨).

(٦) فرق معاصرة للعواجي (١٤٦/١-١٤٧).

خبر موت علي بن أبي طالب قال قولته المشهور: "كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض"^(١)، وادعى أن الذي قتل شيطان تصور في صورة علي بن أبي طالب، وأن علياً صعد إلى السماء، وقد طاف ابن سبأ المدائن والكوفة، وجذب إليها أنصاره من جديد، فاجتمع إليه جماعة من صغار العقول، وأهلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وشبهوه بالخالق، ومن السبئية انتشر التشبيه وظهر^(٢).

يقول صاحب كتاب مقالة التشبيه الدكتور جابر أمير: "إن مقالة التشبيه التي ظهرت بظهور ابن سبأ وشيعته السبئية، إنما كانت من نوع تشبيه المخلوق بالخالق بتأليهه وإعطائه بعض خصائص الألوهية".

وهذه المقالة مستلزمة لتشبيه الخالق بالمخلوق؛ لأن من يقدر الله حق قدره ويعظمه ويثبت له صفات الكمال، لا يشبه المخلوق الناقص العاجز به وَعَجْزٌ؛ ولأن من يشبه المخلوق بالخالق فلا بد وأن ينقص الخالق، ويقول بالحلول الذي هو إنزال للخالق من منزلة الألوهية وإدخاله في بدن المخلوق وهذا متضمن لتشبيه الخالق بالمخلوق..."^(٣)

وعلى كل حال فإن حقيقة وقوع تشبيه المخلوق بالخالق، قد سُبقت بتشبيه الخالق بالمخلوق، ويرجع ذلك إلى أن التشبيه له مقدمتان:

المقدمة الأولى: تصورات.

المقدمة الثانية: مساواة.

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١٩-٢٠)، الملل والنحل لشهرستاني (١/١٧٤)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ٢٢).

(٢) انظر: مقالة التشبيه لجابر أمير (١/١٧٤)، نشأة الفكر الفلسفي (٢/٣٦).

(٣) مقالة التشبيه لجابر أمير (١/١٧٨).

ولا توجد التصورات إلا بوجود وكل موجود ما عدا الله مخلوق، والله لم ير حتى يتصور*

فالقائل بتشبيه المخلوق بالخالق لم يقل به إلا بعدما شبه الخالق بالمخلوق، لذلك ورد في عبارة العلماء " أن كل معطل مشبه " فلم يعطل إلا بعد أن شبه، ويقال بهذا الكلام فيمن شبه المخلوق بالخالق، فقبل أن يشبه المخلوق بالخالق شبه الخالق بالمخلوق.

٢- "فرقة البيانية"

أتباع بيان بن سمعان النهدي من بني تميم، ظهر بالعراق بعد المائة، واتباعه يسمون البيانية، وهم من غلاة الشيعة^(١). ويظهر تشبيهه في بداية الأمر في اعتقاد أن علي بن أبي طالب إله، وأن فيه جزءاً إلهياً، ثم من بعده ابنه محمد ابن الحنفية، ثم في أبي هاشم ولد ابن الحنفية*

وقد جعل لنفسه سياجا وحصانةً دينيةً بقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٨)، وفسرها تفسيرا باطنياً، ويقول: إنه هدى وموعظة للمتقين، من أراد الهداية والتقوى فليتبعن. ولا شك أن هذا كلام باطل^(٢).

تدرج في التشبيه بسلاحه الباطني للنصوص الشرعية، فأتي عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾^(٣) فقال: أراد به علياً فهو الذي يأتي في ظلل، والرعد صوته، والبرق تبسمه^(٤).

(١) المصدر السابق (١/٢٤١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٣٨).

(٣) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٢/١٣)، الحركات الباطنية للخطيب (ص٢٤).

(٤) سورة البقرة الآية (٢١٠).

(٥) التفسير والمفسرين للذهبي (٥/٥٨).

ثم ادعى "بيان" لنفسه: "أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة، وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة".^(١)

ثم تطور الأمر به بعد ذلك فقال: "والله ما خلعتُ باب خبير بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية، ولكن قلعتُه بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة"، فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة، والنور الإلهي كالنور في المصباح. قال: وربما يظهر علىّ في بعض الأزمان"^(٢).

وقد غلا أتباعه فيه حتى زعموا - قاتلهم الله - أن فيه الألوهية على طريق الحلول والتناسخ، وذكروا أن (بيان) قال لهم: "إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتي صارت في أبي هشام عبدالله بن محمد بن الحنفية، ثم انتقلت منه إليه". وقد وصفه أتباعه بصفات الله تعالى حيث زعموا أنه يعلم الغيب، وأنه يعلم ما في غدٍ، وما يشتمل عليه الأرحام وما يغيب في بيوتهم، وأن الأئمة يعلمون ذلك كما علمه علي بن أبي طالب".^(٣)

والكلام السابق ذكره (بيان) بعد موت أبي هشام سنة (٩٧هـ) فقد انفسح له المجال، واتخذ من أفكار عبدالله بن سبأ، وأبي هشام عبدالله بن محمد بن الحنفية، باكورة في انطلاق أفكاره، فصار جديراً بأن ينسخ الشريعة^(٤).

تدرج في أفكاره حتى قال - قبحه الله -: "إنَّ معبوده على صورة إنسان، عضواً فعضواً، وجزءاً فجزءاً، وقال: يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٩٥)، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٦)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص٤٠)، والتبصير في الدين (ص٢٩-٧٠)، تاريخ الطبري (٥/٤٥٦-٤٥٧).

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي (٥/٥٨).

(٣) مقالة التشبيه لجابر امي (١/٢٤٢).

(٤) الفصل في الملل والأهواء لابن حزم (٤/١٨٥)، الحركات الباطنية للخطيب (ص٢٤).

وَجَّهَهُ ﴿٢٧﴾ (١).

قال ابن حزم: "ولو كان له أدنى عقل أو فهم لعلم أن الله تعالى إنما أخبر بالفناء عما على الأرض فقط بنص قوله الصادق: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (١). ويلزم من بقاء الوجه بقاء الذات، لو كان له أدنى مسكة من عقل" (١).

ومع هذا الخزي الفاحش، كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر ودعاه إلى نفسه، وفي كتابه: "أسلم تسلم ويرتقى من سلم، فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة"، فأمر الباقر أن يأكل رسوله "عمر بن أبي عفيف" قرطاسه الذي جاء به، فأكله فمات في الحال.. وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا بمذهبه، فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك (١).

وقد ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) عن قتله خالد القسري لبيان بن سمعان، أنه أخذه وخمسة عشر رجلا من اتباعه، فشدهم بأطناب القصب، وصب عليهم النفط في مسجد الكوفة وأهلب فيهم النار، فأفلت منهم بيان بن سمعان، وخرج بنفسه، ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار، فكرر راجعا إلى أن ألقى بنفسه في النار فاحترق معهم (١).

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٦)، الفرق بين الفرق (ص٢١٦)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٥٠٢-٥٠٣).

(٢) سورة الرحمن الآية (٢٦-٢٧).

(٣) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم (٥/٤٤).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٧).

(٥) فرق الشيعة للنوبختي (ص٢٨-٢٩)، انظر: الفصل في الملل لابن حزم (٥/٤٤).

٣- "فرقة المغيرية"

نسبة إلى المغيرة بن سعيد العجلي من بني عجل^(١)، ويسمى أتباعه (المغيرية)، وهم من غلاة الشيعة باتفاق السنة والشيعة أنفسهم^(٢).

وقد قيل: إنه مولى لخالد بن عبدالله القسري^(٣). وقيل إنه مولى لبني بجيلة^(٤)، وعلى كل فهو مولى وليس عربياً، ويرجح أن يكون فارسياً؛ لأنه سكن الكوفة واشتهر بعبدالله الكوفي، وموالى الكوفة كان أغلبهم من الفرس، وقد قال بفارسيته الدكتور علي سامي النشار^(٥).

وقد كانت له شطحات، لا يقول بها عاقل، ومن هذه الشطحات: القول بالتشبيه والتجسيم، حتى أفرط في ذلك، كما يقول البغدادي^(٦)، بل إن ابن حزم ذكر بعض هذه التجسيات، كقوله: إن الألف للساقين ونحو ذلك، وكره أن يكمل باقي الحروف تنزيهاً لله عما يقول^(٧).

إلا أننا نذكرها هنا من باب تصور التشبيه الذي كان واقعاً عند فرق الشيعة، فقد زعم - لعنه الله - "أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج، وله من الأعضاء مثل ما للرجل، وله جوف وقلب ينبع منه الحكمة، وزعم المغيرة أن معبوده جسم على

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٦٨)، الفرق بين الفرق (ص٢٣٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٠٧).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٧٣)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٤٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٠٧).

(٣) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٧٦).

(٤) الفصل في الملل والأهواء لابن حزم (٥/٤٣).

(٥) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٩١).

(٦) الفرق بين الفرق (ص٢٣٨-٢٤٠).

(٧) الفصل لابن حزم (٥/٤٤).

حروف الهجاء، وأن الألف منه مثال قدميه، والعين صورة عينيه، وشبّه الهاء فقال: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً، يُعرّض بالعورة - قاتله الله -، وزعم بأنه رآه لعنه الله وأخزاه" (١).

ويرى الدكتور الشيبى أن المغيرة سار بالتجسيم إلى هدف واضح، وذلك أنه جعل لله أعضاء على عدد حروف الهجاء، فكأنه يريد أن يقول: إن الوحي إنما هو نزول الله نفسه إلى النبي أو الإمام" (٢).

بهذا التصور لأقوال هذا الرجل التي لا يقول بها مسلم، بل لا يقول بها عاقل، يظهر جلياً ما كان عليه أوائل الشيعة، وخصوصاً إذا علمت أن هذا الرجل مشعوذٌ، فدعا الناس إلى قوله واستهواهم واستغواهم فتبعه خلق كثير (٣)، وصورة ذلك يصفها الأعمش بقوله: "إن المغيرة كان يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، والعجيب أنه كان أعمى البصر، واستطاع أن يهيمن على هذه الجموع، واستعان في ذلك بالسحر، فقد كان ساحراً، وكان يظهر المخاريق. ويصف الذهبي أثره فيقول: إنه أشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذة" (٤).

أما عن نهايته، فقد قتله خالد بن عبدالله القسري. يروى الطبري عن سعيد بن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٦٨)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٣٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٠٧)، والفصل لابن حزم (٥/٤٣)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٥٠٣-٥٠٤)، مقالة التشبيه لجابر (١/٢٤٦)، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين لأحمد جلي (ص١٦٨).

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى (ص١٢٦).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨/١٢١).

(٤) غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام لفتح محمد الزغبى (ص٣٠٥)، يقال الشعوذة والشعبذة، يقال: الرجل شعوذة ومنهم من يقول: "شعبذة شعبذة"، وليس من كلام أهل البادية. وهي لعب يري الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر، أنظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري الهاشمي (ص١٧٢).

مرادابند قال: "رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة في ستة من رهط أو سبعة أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا"

ويقول ابن عياش: إنه قتل واحدا من أتباعه وقال للمغيرة أحيه ما دمت تحي الموتى، فأمر خالد بطن قصب فأضرم فيه نارا، ثم قال للمغيرة اعتنقه فأبي فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه والنار تأكله، فقال خالد هذا أحق منك بالرياسة، ثم صببت السياط على رأسه فتناول طناً فاحتضنه فشد عليه وعلى الطن نفط، ثم ألهمت فيه النار فاحترق ثم احرق بقية أصحابه"^(١) وكان هذا عام ١١٩ هـ. وبعد موت المغيرة، قال بعض أتباعه بمهديته وانتظاره^(٢).

٤- "فرقة الهشامية"

أصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه^(٣).

وهم من غلاة الشيعة. قال أبو المظفر الإسفراييني: "وأما الهشامية فإنهم أفصحوا عن التشبيه بما هو كفر محض باتفاق جميع المسلمين، وهم الأصل في التشبيه، وإنما أخذوا تشبيههم من اليهود حين نسبوا إليه الولد، وقالوا عزير ابن الله، وأثبتوا له المكان والحد والنهاية والمجيء والذهاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولهذا المعنى شبه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الروافض باليهود، فقال الروافض يهود هذه الأمة"^(٤).

(١) تاريخ الطبري (٧/١٢٩).

(٢) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٧٧).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/٢١٦)، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٦٥)، ومقالات الاسلاميين للاشعري (١/١٠٢)، والتبصير في الدين للاسفراييني (ص٢٣).

(٤) التبصير في الدين للاسفراييني (١/٤٠).

وكان هشام بن الحكم من متكلمي^(١) الشيعة، وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام، منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالى، فقد كان هشام يقيس الخالق على المخلوق^(٢).

والقول بالتشبيه والتجسيم عند طائفة "الهشامية" أمر مشهور عند طوائف المسلمين، ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل.

وقد تكلم علماء الفرق عن هشام بن الحكم ومقولاته الكفرية المتعلقة بالذات^(٣)

(١) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال للموصلي (ص ٨٣)، ومقالات الإسلاميين للاشعري (ص ١٠٢٠ / ١)، الفصل في الملل لابن حزم (٤٠ / ٥).

(٢) التبصرة في الدين (ص ١١٩ - ١٢٠).

(٣) الذات: "كلمة اختلف فيها علماء اللغة، هل هي فصيحة من العربية أو هي مولدة وليست بعربية؟ وأكثر المحققين على أنها مولدة وليست من العربية في شيء وإنما هي من مصطلح أهل الكلام جعلوها بدلاً عن كلمة النفس فيقول مثلاً جاء زيد نفسه أو جاء زيد ذاته يجعلونها بدلاً عنها ولكنها ليست من كلام العرب العرباء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ لأن أصلها في اللغة لا تستعمل بمعنى النفس وهي في اللغة العربية تستعمل استعمالاً متعددة منها: -

١- أن تكون بمعنى صاحبة كما لو قلت تزوجت امرأة ذات علم أي صاحبة علم ويقابلها في المذكر ذو علم لو قلت اتصل بي رجل ذو علم أي صاحب علم.

٢- تستعمل بمعنى التي عند طي، طى أصحاب الشمال، جبل طي، يجعلون الذات بمعنى التي كما يجعلون ذو بمعنى الذي وعليه قول الشاعر: فإن الماء ماء أبي وجدي *** وبثري ذو حفرت وذو طويت

أي بثري الذي حفرت والذي طويت ويقال جاءت ذات أرضعت ولدها أي التي أرضعت ولدها.

٣- تأتي بمعنى جهة ومن ذلك قوله تعالى { ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال } أي جهة اليمين وجهة الشمال ويمكن أن يحمل عليها قول خبيب رَحِمَهُ اللهُ عَنَّهُ وذلك في ذات الإله وقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إبراهيم كذب ثلاث كذبات في ذات الله أي في جهته والمراد في سبيله وطاعته فتكون بمعنى الجهة.

٤- ان تكون زائدة للتوكيد توكيد التنكير مثل قدمنا مكة ذات يوم فوجدنا المسجد خفيفاً قوله ذات يوم

← =

الإلهية، وأنكروها أشد الإنكار، ومن ذلك قوله - قبحه الله - في الذات الإلهية " هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، وأنه يتحرك وحركته فعله، وليست من مكان إلى مكان" (١).

يقول عبد القاهر البغدادي: "زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه..." (٢).

وذكر الشهرستاني في (الملل والنحل) أنه قال: "هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة، وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال: إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء عن العرش ولا يفضل من العرش شيء عنه" (٣).

وقد يقال إن ما سلف من أقوال عن هشام هي من نقل خصوم الشيعة، فلا

= هذه زائدة لتوكيد التنكير فلو قلنا قدمنا مكة يوماً فوجدنا المسجد خفيفاً استقام الكلام وهذا يوجد كثيراً في الحديث خرجنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم ذات ليلة وما أشبه ذلك.

هذه أربعة معان للذات في اللغة العربية أما ذات بمعنى نفس الشيء وحقيقة فهذه اختلف فيها علماء اللغة العربية فمنهم من أنكر استعمالها في هذا المعنى ومنهم من أجازها وظاهر صنيع البخاري رَحْمَةُ اللهِ جواز استعمالها بمعنى النفس فإذا قال قائل ما العلاقة بين هذا الاستعمال وبين المعنى الأصلي في اللغة العربية؟ قلنا المعنى الأصلي في اللغة العربية أن تأتي بمعنى صاحبة فهم يقولون ذات علم أي صاحبة علم والله تعالى ذو علم فأصلها مضارع لكن حذف المضاف ثم بقيت نكرة فعرفت بأل ولهذا

منع بعض العلماء أن تقول ذات بالنسبة لله، لماذا؟ لأن التاء للتأنيث ولا يجوز استعمال الكلمة المؤنثة بالتاء ولو للمبالغة ولهذا لا يجوز أن تقول إن الله علامة ويجوز أن تقول إن هذا الرجل علامة أما الله فتقول علام الغيوب فأنت إذا أتيت بذات تريد الرب ﷻ فإن هذا يعني تأنيث ما يضاف إلى الله وهذا لا يجوز لكن هذا خلاف استعمال جمهور علماء المحققين " من كلام ابن عثيمين رَحْمَةُ اللهِ من شرحه على صحيح البخاري مخطوط بواسطة "المحلى في شرح القواعد المثلي للكواري"، (ص ٧٣) بتصرف يسير،

(١) الفرق بين الفرق (ص ٦٥)، والملل والنحل لشهرستاني (١/ ١٧٧)، الفصل لابن حزم (٥/ ٤٠).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٦٥).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٢).

يكون حجة عليهم، مع أن تلك النقول عن أولئك الضلال قد استفاضت عن أصحاب المقالات على اختلاف اتجاهاتهم، وهم أصدق من الشيعة مقالاً، وأوثق نقلاً، وهذه النقول تثبت أن الشيعة هم الأصل في إدخال هذه البدعة على المسلمين. لكن القول بأن نسبة التجسيم إليهم قد جاءت من الخصوم، ولا شاهد عليها من كتب الشيعة، قد يتوهمه من يقرأ إنكار المنكرين لذلك من الشيعة، وإلا فالواقع خلاف ذلك.

وقد كان لهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة، كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم.

جاء في (الكافي) وغيره "عن محمد بن الرخجي قال: "كتبت إلى أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة. فكتب دع عنك حيرة الخيران واستعد بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهاشمان^(١).

وجاء في (بحار الأنوار) للمجلسي: "عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال: اجتمع ابن سالم، وهشام بن الحكم، وجميل بن دراج، وعبد الرحمن بن الحجاج، ومحمد بن حمران، وسعيد بن غزوان، ونحو من خمسة عشر من أصحابنا، فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد، وصفة الله ﷻ، وعن غير ذلك، لينظروا أيهم أقوى حجة، فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير، وررضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام، فتكالما وساقا ما جرى بينهما".

وقال: قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم...، ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به. قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحكى له مخاطبتهم وكلامهم،

(١) أصول الكافي للكليني (١/١٠٥)، وبحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٨).

ويسأله أن يعلمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار، فأجابه في عرض كتابه: فهتمت رحمك الله، واعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بها وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك" (١).

بل كان الأئمة يتبرؤون منها ومن قولها، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: "إني أقول بقول هشام" قال إمامهم (أبو الحسن علي بن محمد) "مالكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة" (٢).

وفي (بحار الأنوار): "عن الصقر بن دلف قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد عليهما السلام عن التوحيد، وقلت له: إني أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قال: مالكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا ابن دلف، إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه" (٣).

يقول المرتضي في رسائله: "هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، وعلي بن إسماعيل بن ميثم، ويونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، وابن سالم الجواليقي، والحشوية وجماعة المشبهة: ان الله ﷻ في مكان دون مكان، وأنه يتحرك وينتقل - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا -" (٤).

وما سبق ذكره فإنما هو غيظ من فيض من كلام الشيعة أنفسهم في الهشامين وقولهما بالتجسيم.

وكما ضل هشام بن الحكم في تشبيه الخالق بالمخلوق فقد ضل أيضاً في تشبيهه

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٦٦).

(٢) التوحيد لابن بابويه (ص٤١٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٩١).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٩٢).

(٤) رسائل المرتضي. ص٢٨٠.

المخلوق بالخالق، فقد ذكر أهل الفرق أن هشاماً شبه علي بن أبي طالب بالإله، وقال بوجوب طاعته^(١).

هـ- "فرقة الشيطانية"

أتباع محمد بن النعمان الرافضي^(١) الملقب "بشيطان الطاق" عند أهل السنة، ويلقب عند الشيعة الإمامية "مؤمن الطاق"، وهو رجل سوء له قصص في الكذب على الله وتحريف بعض آي القرآن الكريم^(٢).

وشيطان الطاق أصله يهودي كذاب، نقل كثيراً من أفكار اليهود إلى التشيع، خاصة فيما يتعلق بذات الله تعالى^(٣).

يقول علماء الفرق في تصور محمد بن النعمان الرافضي عن الذات الإلهية: "إن الله تعالى نور غير جسماني على صورة إنسان، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها..."^(٤).

جاء في (الكافي) و(بحار الأنوار): "عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالوا: (دخلنا على أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فحكينا له أن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء الثلاثين سنة، وقلنا: إن هشام بن

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٠٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص٧٥)، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٥)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٢١٨).

(٢) محمد بن علي بن نعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي قال عنه ابن حجر: "أبو جعفر الملقب بشيطان الطاق نسب إلى سوق في طاق المحامل بالكوفة كان يجلس للصرف بها فيقال: إنه اختصم مع آخر في درهم زيف فغلب فقال أنا شيطان الطاق وقيل إن هشام بن عبدالحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنهم لقبوه بشيطان الطاق سماه مؤمن الطاق ويقال إن من لقبه بشيطان الطاق أبو حنيفة"، أنظر: لسان الميزان (٥/٣٠٠-٣٠١).

(٣) انظر: رجال الكشي (ص١٨٦)، الكافي للكليني (١/١٧٤).

(٤) أثر اليهود والنصارى والمجوس في التشيع للمرئضي ابن سالم (ص٢٦٥).

(٥) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٨٦)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٧٧)، وأنظر: المواقف للإيجي (٣/٦٧٤)، شرح نهج اللاغة لابن أبي الحديد (١/٢٩٤).

سالم، وصاحب الطاق يقولان: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد، فخر ساجدا لله، ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك... الخ^(١)

وقد شكك الشهرستاني فيما يحكى عن محمد بن النعمان من القول بالتشبيه فقال: " ما يحكى عنه من التشبيه فهو غير صحيح "^(٢)، إلا أن هذا الأمر محكي في كتب القوم، وخصوصا المعتمد منها ك(الكافي) ومر معك شيء من ذلك •

٦- "فرقة الجواربية"

اتباع داود الجواربي^(٣)، واتباعه يسمون الجواربية، وهم من غلاة الشيعة، وهم من الأوائل الذين قالوا بالتشبيه. يقول الدكتور د. ناصر العقل: "... وظهرت المشبهة من الرافضة على يد داود الجواربي، وهشام بن الحكم، وهشام الجواليقي، وهؤلاء هم أصول المشبهة الأوائل "^(٤).

يقول ابن تيمية: " وقال داود الجواربي، ومقاتل بن سليمان: إن الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء: من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره. وحكى عن الجواربي أنه كان يقول: "أجوف من فيه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك" وكثير من الناس يقولون هو مصمت ويتأولون قول الله تعالى: ﴿الضَّكْمُ﴾ المصمت الذي

(١) الكافي للكليني (١/١٠١)، بحار الأنوار للمجلسي (٤/٤٠).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٨٦).

(٣) داود الجواربي، بفتح الجيم والواو وكسر الراء، نسبة إلى الجوارب، وهو رأس في الرفض والتجسيم، وقد كفره بعض العلماء، انظر اللباب لابن الاثير الجزري (١/٣٠٠)، والميزان للذهبي (٢/٣٢)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٢٨).

(٤) الافتراق مفهومه واسبابه والوقاية منه لناصر العقل (ص٢٠).

ليس بأجوف" (١).

ثم بعد هذا الكلام عن الذات الإلهية يتورع فيقول: "اعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني عما وراء ذلك، فإن في الأخبار ما يثبت ذلك" (٢).

وهذا والله هو الضلال الممين الذي نتاجه ﴿وَيُنذِرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) (٣).

وعلى كل فإن علماء عصره أفتوا بقتله. قال اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة في "باب سياق ما روي في تكفير المشبهة قال: تكلم داود الجواربي في التشبيه فاجتمع فيها أهل واسط منهم محمد بن يزيد، وخالد الطحان، وهشيم وغيرهم، فأتوا الأمير وأخبروه بمقالته، فأجمعوا على سفك دمه، فمات في أيامه، فلم يصل عليه علماء أهل واسط" (٤).

هذه بعض فرق التشبيه عند الشيعة التي شبهت الخالق بالمخلوق. فهي فرق بعضها فوق بعض في ظلمات التشبيه والتجسيم، فمن سمع مقالاتهم علم أن التشبيه كان في القدماء قد بلغ النخاع، وسارت به الركبان.

فأثبتوا الصفات إثبات الغالين الذي أودى بهم في نهاية المطاف إلى القول بالتشبيه والتجسيم، وهي مرحلة مرت على التشيع بعد ظهوره وانتشاره، وترى موقف كبرائهم من متكلميهم، وقد غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله - جل شأنه - بخلقه، وهو كفر بالله - سبحانه -؛ لأنه تكذيب لقوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/٤٤١)، ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٢٣)، لسان الميزان لابن حجر (٢/٤٢٧).

(٢) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٠٥)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٢٨)، مقالات الإسلاميين للاشعري (١/١٨٣)، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٤/١٤٥).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٥٨٣).

شَيْءٌ ﴿١﴾. وعطلوا صفاته اللائقة به - سبحانه - فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وأئمتهم ينكرون ذلك التشبيه، وذلك المنهج الضال الذي استمر بعد موت المشبهة والمجسمة منهم. (١)

الدليل السابع:

أن الشيعة بذرة نصرانية، غرستها اليهودية، في أرض مجوسية. (١)

وذلك لأن عبد الله بن سبأ اليهودي هو من يهود اليمن، وهي طائفة من يهود الحبشة في الأصل، وأصل يهود الحبشة من يهود الفلاشا، وكانوا متأثرين إلى حد كبير بالنصرانية، وكان عبد الله بن سبأ يريد مضاهاة ما فعله شاوول "الذي يدعى بولس" الذي هدم دين النصارى بالغلغلو في المسيح، وادعاء أن الله حل فيه، وأنه إله، فأدعى هو مثل ذلك في علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (١).

إذا تبين ذلك فإن العرق دساس، وإذا كان الجمل أورق (١) تظهر نزعة العرق في بنيه (١).

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) لمعرفة المزيد من الشواهد انظر كتاب: التوحيد لابن بابويه، باب أنه ﷺ ليس بجسم ولا صورة (ص ٩٧-١٠٤)، وفيه عشرون رواية، وأصول الكافي: باب النهي عن الجسم والصورة (١/١٠٤ - ١٠٦)، وفيه ثمانين روايات.

(٣) موقع الدكتور سفر الحوالي في حديثه عن الباطنية، وانظر أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية سفر الحوالي (ص ٧٠).

(٤) انظر: عبد الله بن سبأ للعودة (ص ٣٨-٣٩)، أصول الفرق والأديان للحوالي (ص ٣٤).

(٥) أورق: "وهو الذي في لونه بياض إلى سواد ويقال الأورق الأعبر الذي فيه سواد وبياض وليس بناصع البياض كلون الرماد" أنظر: عمدة القاري للعيني (٩/٢١١).

(٦) اقتباس من الحديث المتفق عليه، الذي رواه البخاري برقم (٥٣٠٥) ومسلم برقم (١٥٠٠) "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ" ← =

أقول: إن المطلع على العقيدة اليهودية يجد أنها بدأت بالتوحيد والتنزيه، ثم غشاها الاشرار والتشبيه والتجسيم. يقول الرازي: "اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول"^(١).

ويقول صاحب كتاب (اليهودية واليهود): "كانت الديانة اليهودية في أصلها كما ينبئنا القرآن الكريم بذلك ديانة توحيد، تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والمخالفة للحوادث في كل شيء والتجرد من مظاهر النقص، كما هو الشأن في الدين الإسلامي"^(٢).

ويقول الدكتور أحمد شلبي: "لم يستطع بنو اسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الانبياء و، كان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحا في جميع مراحل تاريخهم، وتعد كثرة أنبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد"^(٣).

وهذا الكلام السابق تؤكد كتبهم المقدسة التي ضجت بالتشبيه والتجسيم. فقد ورد في سفر التكوين ما يلي "فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله، وقال له: أين انت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت؛ لأنني عريان فاختبأت فقال من اعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها"^(٤).

= قال ما ألوانها قال حُمّر قال هل فيها من أورك قال نعم قال فأنى ذلك قال لعلّه نزع عرق قال فلعل ابنك هذا نزع"^(٥).

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٩٧).

(٢) اليهودية واليهود لعلي عبدالواحد (ص٣٣).

(٣) اليهودية لأحمد شلبي (ص١٨٠).

(٤) سفر التكوين اصحاح ٣ بواسطة كتاب غلاة الشيعة للزغبى (ص٣٦٧).

فهم يظهرون الله سبحانه في صورة الغافل الجاهل، بحيث لا يعرف مكان آدم وحواء، ولا يعلم عنهما شيئاً إلا بعد أن يسألها.

وجاء - أيضاً - في سفر التكوين، عن مصارعة يعقوب لربه وكيف أنه لقي الله ذات ليلة، وأخذ يصارعه، حتى بزغ الفجر بدون أن يستطيع الله سبيلاً إلى التغلب على يعقوب^(١).

وهذا غيظ من فيض، وإلا فإن أسفار العهد القديم تبرز الله بتلك الصور الجسمانية التي تحاكي صورة الإنسان.

هذا في أسفار العهد القديم، وإلا لو نظرنا الى " التلمود " الذي هو مصدر مقدس عند اليهود نجده أيضاً يواصل مسيرة الأسفار في تجسيم الله، بل يضيف إليها. يقول ابن حزم: " وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود، والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقهم وأحكام دينهم وشريعتهم وهم من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم، ففي الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع حاش لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات.

وفي كتاب آخر من التلمود يقال له " سادرناشيم " ومعناه: (تفسير أحكام الحيض). إن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفي أصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون تعالى الله عن هذه الحماقات"^(٢).

ومن حماقتهم في التجسيم أيضاً: " أن رجلا اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول الويل لمن أخرج بيته وضعه ركنه وهدم قصره وموضع سكيته ويلى على ما أخرجت من بيتي ويلى على

(١) انظر: اليهودية واليهود لعل عبد الواحد (ص ٢٣٨).

(٢) الفصل في الملل لابن حزم (١/ ٢٢١-٢٢٢).

ما فرقت من بني وبناتي قامتي منكسة حتى أبني بيتي وأرد إليه بني وبناتي، قال هذا النذل الموسخ ابن الأندال إسماعيل فأخذ الله تعالى بثيابي وقال لي أسمعني يا بني يا إسماعيل قلت لا يا رب فقال لي يا بني إسماعيل بارك على قال هذا الكلب والجيفة الممتنة فباركت عليه ومضيت"^(١).

ومما يرويه التلمود على لسان الله - أيضاً - قوله: "تبا لي، لأنني صرحت بخراب بيتي واحراق الهيكل ونهب أولادي"^(٢).

وما ذكر سابقا يؤكد ما ذكره الدكتور أحمد شلبي؛ وقد مر معنا حينها قال: "لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحا في جميع مراحل تاريخهم وتعد كثرة أنبيائهم دليلا على تجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد"^(٣).

وعلى كل فإن التجسيم لدى اليهود أمر مشتهر لا ينكره عاقل أعطي عقلا بسيطا.^(٤)

إذا تقرر هذا فإن الشيعة كما مر معنا نبتة يهودية، وقد شابهت اليهود في كثير من أمورها^(٥)، ومع القول بأن التشيع نبتة يهودية فإن التشيع تأثر بالفكر اليهودي، إذ يذكر المؤرخون أن اليهود استقروا في بلاد العرب واستوطنوا بها، وأقاموا بها مستعمرات يهودية في فدك^(٦)، وتيماء^(٦)، وخيبر، ووادي القرى^(٦)، ويثرب وهي أهمها. وكان يهود

(١) المصدر السابق (١/٢٢٣).

(٢) اليهودية لآحمد شلبي (ص٢٧٥).

(٣) المصدر السابق (ص١٨٠).

(٤) انظر: مقالة التشبيه لجابر امير (١/٢٠٠).

(٥) انظر: كتاب بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي.

(٦) فدك: قرية شمال المدينة بلدة بينها وبين مدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومان وبينها وبين خيبر دون مرحلة

يثر ثلاث قبائل بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة^(١).

بل انتشرت اليهود في الجزيرة العربية، حتى أصبحت اليهودية هي الدين الرسمي لليمن في عهد "تبع بن حسان"^(٢).

ومع هذا الانتشار فإن الفكر اليهودي استقبل نبي الإسلام سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالتكذيب والمكر مع أنهم كانوا يستفتحون على مشركي العرب قبل البعثة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، يقول ابن كثير: "... عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ونحن أهل شرك، وتجبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم.

= وهي مما أفاء الله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت لليهود ولما انهزم يهود خيبر خشي يهود فدك على أنفسهم فسلموا قريتهم للنبي عليه الصلاة والسلام دون قتال فكانت خالصة له ينفق بها على نفسه وعلى بعض المحتاجين من بني هاشم، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي، (١٤٤/٧).

(١) تيماء: بالفتح، بلدة تقع شمال المدينة النبوية على بعد (٤٢٠) كيلا والتيماء في الأصل: الأرض التي لا ماء فيها. معجم البلدان (٦٧/٢). المعالم الأثرية في السنة النبوية والسيرة (ص ٧٤).

(٢) وادي القرى: هو واد بين الشام والمدينة يعد من الحجاز ومنه كانت دومة الجندل ودعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيه لوفرة مياهه، انظر: الأغاني للأصفهاني (١٦١/٧) ومعجم الأماكن الواردة في القرآن للجندول (ص ٤٠٣).

(٣) فجر الاسلام أحمد أمين (ص ٣٤).

(٤) تاريخ اليعقوبي (١/١٩٧-١٩٨).

(٥) سورة البقرة الآية (٨٩).

فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾^(١)

أقول: هذه حال اليهود قبل وبعد بعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعد رحيل النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى الرفيق الأعلى، واندلاع حروب الردة والقضاء عليها من قبل أبي بكر، اتجه المفسدون من اليهود في الكيد للإسلام بطريقة آخر وذلك بالانقضاض على الإسلام من الداخل، وقد كانوا قد استؤصلوا من الحجاز وانتقلوا شمالا إلى الشام، كما ذهب بعضهم إلى الكوفة، ولكن بقي عدد منهم في اليمن وسرعان ما أخذ يهود اليمن يفدون إلى الحجاز، ودخل بعض الأحرار الإسلام وهم ضغن وحقد عليه وتربص به^(٢)، وكان من بين هؤلاء عبدالله بن سبأ، الذي لم يقر له قرار حتى قال بتأليه علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وهو الإفساد بعينه الذي فعلوه في دين المسيح، وذلك حينما دخل "شاوول" الذي يدعى بولس المسيحية، وقال بأهلية المسيح "وهذا أمر لا نستبعده عنهم؛ لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا فبعد عليهم بلوغ أربهم من ذلك بإسلام عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودي الحميري - لعنه الله - ليضل من أمكنه من المسلمين، فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن يقولوا بإهلية"^(٣)

وهذا القول وهو تشبيه المخلوق بالخالق هو ممهّد لتشبيه الخالق بالمخلوق، وهو

القول عند القدماء منهم.

الدليل الثامن:

سمات المذهب الشيعي من حيث العموم.

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٢٦).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (١/٦٨).

(٣) الفصل لابن حزم (١/٢٢١).

الناظر إلى مذهب الشيعة يجد أن الغلو هو أساس المذهب الذي قام عليه مذهبيهم، من حيث الجملة، فالغلو هو نقطة البدء أو مركز الدائرة عند القوم، " ثم يظهر الغالي من الشيعة بوجه خبط عليه مجموعة من الأصباغ المسيحية واليهودية والمناوية والمزدكية والزادشتية"^(١). وكان بداية هذا الغلو في الأئمة من آل البيت، وقد تنبه الشهرستاني إلى هذا الأمر فقال: "الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير" وهذا القول واضح للغلاة. ثم يقول بعد ذلك مبيناً لمصدر هذا الغلو: "وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود، والنصارى، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق. فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة..."^(٢).

يقول الدكتور علي سامي النشار وهو يحاول أن يعطي صورة لنشأة الغلو: "وسنحاول أن نعطي صورة لنشأة الغلو، ومحاولين بكل وسيلة أن نفصل نوعين من الغلو: الغلو في الحب، والغلو في العقيدة، وإن كان الأول قد أدى إلى الثاني، في كثير من الأحوال.

ثم يقول: "ولا يضير المجتمع الإسلامي في شيء أو العقيدة في شيء أن يغلو إنسان أو مجموعة في حب آل البيت، ولكن يهدم العقيدة أن ينسب لواحد من أهل البيت النبوة أو الألوهية أو أن ينحل علم ما كان وما هو كائن وما سيكون، وأن يؤدي هذا إلى تكوين فرق خطيرة علنية وسرية لتقويض الكيان الإسلامي، وتفويت

(١) انظر: نشأة الفكر لسامي النشار (٢/٦٧)، اصول الفرق والأديان للحوالي (ص٣٩)، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان للزغبى (ص١٣٥) وما بعدها.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٢).

الجماعة... " ()

وهذا المقرر سابقا عند الشيعة تثبته أقوالهم التي أصبحت محفوظة عندهم في الصدور قبل السطور.

وإليك بعض هذه الأقوال المكتوبة والمدونة في كتبهم، وسوف نكتفي ببعض هذه الأقوال الخاصة في توحيد الربوبية والألوهية، وإلا فإن شطحاتهم التشبيهية أوسع من ذلك () .

يقول الشيخ د. ناصر القفاري: "...لقد بين أهل العلم أن الإيمان بربوبية الله سبحانه أمر قد فُطر عليه البشر وأن الشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال لم يثبت عن طائفة من الطوائف في التاريخ البشري، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقًا خلق بعض العالم () .

ولهذا كان السؤال: هل تأثر هذا الأصل في دين الشيعة؟ بمعنى هل وجد الإشراك الجزئي عندهم، باعتبار ما يولونه الأئمة من اهتمام، وما يعطونهم من أوصاف، وما يضيفونه عليهم من ألقاب؟" () .

ثم ذكر د. ناصر القفاري خمسة مباحث تثبت جانب تشبيه المخلوق بالخالق عند الشيعة في جانب توحيد الربوبية، فقال: "أولها: قولهم: إن الرب هو الإمام، وثانيها: اعتقادهم أن الدنيا والآخرة للإمام، وفي المبحث الثالث: قولهم: إن السحاب والرعد هو من أمر الأئمة، ومسخر للأئمة وهو ما أسميته (إسناد الحوادث الكونية إلى

(١) نشأة الفكر لسامي النشار (٢/٦٨).

(٢) من صور التشبيه عندهم التشبيه في الإنباع وحيث يرون أن أمر الإمام يجب أن يتبع فله الطاعة المطلقة، انظر: تفسير التبيان للطوسي (٦/٣٤٧).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٩٦-٩٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص١٧-١٨).

(٤) اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٠٨).

الأئمة)، وفي المبحث الرابع: قولهم بحلول جزء إلهي في الأئمة، وفي الخامس: زعمهم تأثير الأيام بالنفع والضرر^(١).

وإليك بعض هذه الأقوال من كلام القوم باختصار:

"جاء في أخبارهم أن علياً - كما يفترون عليه - قال: أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به^(٢).

وهذا الكليني يعقد باباً في (الكافي) بعنوان: "باب أن الأرض كلها للإمام"، ومما جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله..^(٣)

فهل بعد هذا الملك المطلق الذي أعطيه الإمام، من بقايا أثر لجانب الريبوية في قلوب القوم؟!

وجاء أيضاً في (البحار) للمجلسي: "عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ"^(٤).

وجاء أيضاً أن أمير المؤمنين أوماً إلى سحابتين فأصبحت كل سحابة كأنها بساط موضوع، فركب على سحابة بمفرده، وركب بعض أصحابه على الأخرى... وقال وهو فوقها: أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا

(١) المصدر السابق (٢/٥٠٨).

(٢) مرآة الأنوار للعالمي (ص٥٩)، وقد نقل ذلك عن بصائر الدرجات للصفار.

(٣) أصول الكافي للكليني (١/٤٠٧-٤١٠).

(٤) البحار للمجلسي (٢٧/٣٣)، والاختصاص للمفيد (ص٣٢٧)، البرهان (٢/٤٨٢).

يظناً، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحجته على عباده...^(١)

فهي قدرة مطلقة أعطيه الإمام في هذا الكون الفسيح، فهل بقي في قلوب القوم أثر لجانب الربوبية^(٢)؟!

أما جانب توحيد الألوهية عندهم فإن التشبيه كاد أن يكون علامة فارقة عند من يعبد الله في مفهومهم المظلم، فالولاية معظمة عندهم لدرجة أن المعاني الحقيقية التي أتى بها الرسل في جوانب التعبد حرفت من أجل ذلك.

فالتوحيد كمفهوم حرف من أجل الولاية وجانب الحب المطلوب من العبد وهو حب العبادة حرف من أجل الولاية، هذا التحريف في جانب الولاية فقط، بغض النظر عن التوسل والاستغاثة والتوكل وغير ذلك من مفاهيم التوحيد التي أتت بها رسل الله. وقد تعجب حينما تري بعض من يتكلم عن هذا الجانب جانب الألوهية عند الشيعة، وقد وضع عنوان وسمه "ألوهية الأئمة"^(٣) ثم يثبت هذا العنوان بذكر حكايات أقول حكايات ولا أقول روايات، لأن ما تذكره كتب الشيعة في ذلك هو أقرب إلى الحكايات منه إلى الروايات، في الشراكيات التي أساسها تشبيه المخلوق بالخالق أو تشبيه الخالق بالمخلوق وإن كان كلا النوعين متلازمة، إذ من شبه المخلوق بالخالق فإنه يصور ويجسد الخالق بصفاته العظيمة في المخلوق.

وإليك بعض هذه الحكايات المسطرة في كتبهم.

روي المجلسي في (الأنوار) عن أحد أولئك الأئمة: "من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك"^(٤)، ولا أدري كيف يعمل بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/٣٤).

(٢) انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٠٥-٥٢٤).

(٣) كتاب بشري للشيعة لمحمد عبدالله (ص٣٧).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٢٣/١٠٣).

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾^(١)!!!، إلا إذا كانوا هم حجة الله وباب الله ولسان الله ووجه الله ويعينون الله في خلقه وهم ولاة أمر الله في عبادته. وقد قالوا بذلك.

جاء في (بحار الأنوار): "عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال مبتدئا من غير أن أسأله: نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عبادته"^(٢). وأي تشبيه بعد هذا؟!!

وسأترك جوانب أخرى من التشبيه، مثل: أن الأئمة باب قضاء الحوائج، وأنهم الأبواب التي يؤتي بها إلى الله والاستعانة بهم... والكثير مما شاكلها من التشبيه. فهي أمور تصرخ بالكفر، وتدعوا الناس لعبادة أرباب من دون الله الواحد، ولكن تكفيننا منها واحدة وهي الدعاء باسم الأئمة، وكيف أنهم خالفوا أصل العبادة فالله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣) فهل من أسماء الله الحسنی: علي بن أبي طالب أو من أسمائه الحسن والحسين وجعفر الصادق؟

ويؤكد هذا الغلو ما جاء في (بحار الأنوار) وغيره: "عن ابن فضال، عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما أشرف نوح على الغرق دعا الله بحقنا، فدفع الله عنه الغرق: ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا، فجعل الله النار عليه بردا وسلاما، وإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ضرب طريقا في البحر دعا الله بحقنا، فجعله ييسا، وإن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا، فنجاه من القتل ورفعته إليه"^(٤).

بل يقول الحر العاملي بعد ذكر هذه الحكايات في الأئمة: "... أقول:

(١) سورة الاعراف الآية (١٨٠).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٨٤ / ٢٥).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٦٩ / ١١)، وسائل الشيعة للعاملي (١٠٣ / ٧).

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا من طريق العامة والخاصة أو في الأدعية الماثورة دلالة على ذلك؛ لأنها مشحونة بالتوسل بهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)"^(١).

إذا تبين هذا فإن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١١٤) ويقول أيضا سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكَمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾^(١١٧)، فإن الشيعة بدعائهم هذا يصر فون العباد من عبادة رب العباد إلى عبادة العباد.

وصرفهم هذا حقيقته تشبيه المخلوق بالخالق، وقد مر معنا شيء من انحرافهم في هذا الجانب أعني "جانب الألوهية" الذي لازم انحرافهم فيه هو التشبيه المقيت، من جعلهم نصوص التوحيد في ولاية الأئمة، فمن ذلك تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦٥) بل الله فَأَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٦٦) جاء في تفسير القمي ما نصه: "حدثنا جعفر بن أحمد عن عبد الكريم بن عبد الرحيم عن محمد بن علي عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله لئيه ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال: تفسيرها لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين."^(١)

وهذا التفسير المحكي عنهم إنما هو تبرير لتشبيههم الذي جنحهم إلى تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان.

(١) وسائل الشيعة للعامل (١٠٣/٧).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٩٤).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٩٧).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٥).

(٥) تفسير القمي (٢/٢٥١).

وجاء أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(١)، فقد جاء في تفسير القمي ما نصه: "عن محمد بن حمدان عن أبي عبدالله عليها السلام في قوله: "إذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير" يقول: إذا ذكر الله ووجد بولاية من أمر الله بولايته كفرتم وان يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بان له ولاية."^(٢)

وهذا التفسير تغيير كامل للتوحيد الذي أتت به الرسل جميعا؛ لأن الرسل جميعا أتوا بتوحيد واحد فهم أبناء علات. قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "نحن - معاشر الأنبياء - أولاد علات، ديننا واحد"^(٣) وأولاد العلات هم الذين أبوهم واحد وأمهااتهم شتى. بمعنى أن أصل الدين الذي هو العقيدة متفق عليه بين أنبياء الله كلهم متقدميهم ومتأخريهم، وأما الشرائع والفروع فيحصل بينها اختلاف بحسب المناسبات: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾^(٤). ولكن أمر العقيدة مما هم متفقون فيه.

فهذه بعض سمات الشيعة التي يظهر فيها النزعة التشبيهية، ونخلص بهذا الدليل إلى أمرين:

الأمر الأول: وهو عمق فكرة التشبيه عند الشيعة، مما يدل على وقوع التشبيه

(١) سورة غافر الآية (١٢).

(٢) تفسير القمي (٢/٢٥٦) والبرهان للبحراني (٤/٦٤).

(٣) متفق عليه رواه البخاري برقم (٣٤٤٢) في الأنبياء، باب قوله تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ}. ومسلم (٦٢٧٩) في الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن حجر: "الأنبياء أولاد علات، وفي رواية عبد الرحمن المذكورة" أي في صحيح البخاري: "والأنبياء إخوة لعلات" والعلات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العلات الإخوة من الأب، وأمهااتهم شتى، ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع "أنظر: فتح الباري: (٤٨٩/٦).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٨).

والتجسيم عند قدماء الشيعة وأوائلها.

الأمر الثاني: أن هذا الدليل دليل تأكيدي للنصوص السابقة واللاحقة التي أثبتنا بها وقوع التشبيه عند قدماء الشيعة وأوائلها.

الدليل التاسع:

وهو بيت القصيد وبه ثبت جميع الأدلة السابقة التي سيقى إليك، وهي نصوص من كلام علماء الشيعة الأوائل القائلة بالتشبيه والتجسيم^١

ويمكن تقسيم نصوص إلى قسمين:

أولها: ما كان نصا صريحا واضحا بينا في التشبيه والتجسيم^٢

ثانيها: ما كان نصا لازما أو نصا موهما للتشبيه والتجسيم.

والقول بموهم التشبيه والتجسيم، هو من باب الإلزام؛ إذ إن التعامل في هذه الصورة يكون بالعقلية الشيعية في نظرتهم في نصوص الصفات، وإلا فإن الإلزام عند العلماء من الأمور المختلف فيها^(١).

(١) يقول ابن عثيمين في القواعد المثلي (ص١٢) بتصرف بسيط: "وأما اللزام من قول أحد سوى قول الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يذكر للقائل ويلتزم به. مثل أن يقول: من ينفى الصفات الفعلية لمن يشبها، يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله ﷻ أن يكون من أفعاله ما هو حادث. فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، ولا نفاذ لأقواله وأفعاله...

الحال الثانية: أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول النافي للصفات لمن يشبها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابها للخلق في صفاته. فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لاتفقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأى فرق بين الذات والصفات؟. وحكم اللزام في هاتين الحالتين ظاهر.

وإليك بعض هذه النصوص:

أولها: ما كان نصاً صريحاً واضحاً بيناً في التشبيه والتجسيم.

بهذه النصوص الواضحة يثبت المقصود من هذا البحث، وما عداها من الأدلة السابقة أو اللاحقة، فإنها هي أدلة يستأنس بها، وهي من باب التمهيد والتقديم لهذا الدليل الواضح البين.

لكن قبل أن نسوق بعض هذه النصوص، فلعلنا أن نقف قليلاً مع هذه الرواية التي ذكرها صاحب (الكافي) الكليني وغيره وفيها: أن هشام بن الحكم مفتق الكلام في الإمامة - كما يقولون -، ومهدّب المذهب بالنظر، الحاذق بصناعة الكلام، حاضر الجواب وغيره ممن يروي عن الأئمة المعصومين أنهم كانوا يقولون بالجسم. "... عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله عز وجل جسم صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس، ولا يدركه الحواس، ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد"^(١)

الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول. فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم. قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك.

(١) أصول الكافي باب النهي عن الجسم والصورة (١/١٠٤)، كتاب التوحيد لابن بابويه (ص ٩٨) بحار الانوار للمجلسي (٣/٣٠١).

هذه الرواية تقول " يروي عنكم " فلا بد من أمرين إما هشام يكذب على المعصومين، أو أن المعصومين مجسمة؟. وكلا الاحتمالين أحلاهما مر عند الشيعة.

بل لم تقف الرواية المحكية عن الأئمة في التشبيه على هشام بن الحكم، بل الناس يحكونها ويتناقلونها أيضا، فلم يعد الأمر خلاف بين علماء الشيعة بل انتقل إلى عامتهم.

فقد جاء في (بحار الأنوار): "عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت له: يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال: فليقولوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في التشبيه والجبر إذا.

فقلت له: إنهم يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئا وإنما روي عليه. قال: فليقولوا في آبائي الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إنهم لم يقولوا من ذلك شيئا وإنما روي عليهم.

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن الإهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا، ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن أعطاهم فقد حرمانا، ومن حرمانهم فقد أعطانا. يا ابن خالد

من كان شيعتنا فلا يتخذن منهم وليا ولا نصيراً" (١).

وهذا النص مع أنه يذكر انتشار القول بالتشبيه عند الناس، إلا أنه ألمح إلى أمر مهم، وهو وجود نصوص تحكي وتذكر التشبيه، وإن كانت كما يقول الإمام أنها من وضع الغلاة "يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى" وهذا دليل صريح على وجود نصوص تحاكي وتذكر التشبيه في كتب القوم.

وعلى كل فإن نصوص التشبيه والتجسيم في المذهب الشيعي كثيرة جداً، عبرت عنها رواية الكليني في (الكافي) والمجلسي في (بحار الأنوار) التي جاء فيها "عن محمد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً، يزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيئات، جسم، وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل.

فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويله! أما علم أن الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً. قال: قلت: فما أقول؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا جسم ولا صورة، وهو مجسم الاجسام، ومصور الصور لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص، لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء، ولا يشبهه هو شيئاً" (٢).

فالراوي والسائل يختصر في السؤال لأبي عبد الله ومع هذا الاختصار إلا أنه أتى

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٢٩٤)، وسائل الشيعة (١٦/ ١٨٢).

(٢) أصول الكافي باب النهي عن الجسم والصورة (١/ ١٠٤)، كتاب التوحيد لابن بابويه ص ٩٨ شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني (٥/ ٤٣١) وبحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٣٠٢).

بأمهات الفكر التشبيهي، وهي إطلاق الجسم والصورة^(١) على الله .

لكن رواية المجلسي في (البحار) تفسر بعض هذا الاختصار: ف"عن عبد الملك بن هشام الخياط قال: قلت لابي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أسألك جعلني الله فداك؟ قال: سل يا جبلي، عما ذا تسألني؟ فقلت: جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن الله وَجَّكَ صورة، وأن آدم خلق على مثال الرب فيصف هذا ويصف هذا وأومات إلى جانبي وشعر رأسي..."^(٢)

وتفسرها أيضا رواية: "البنظي، عن محمد بن حكيم قال: وصفت لأبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قول هشام الجواليقي، وحكيت له قول هشام بن الحكم: إنه جسم فقال: إن الله لا يشبهه شيء، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم، أو صورة، أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"^(٣).

ولاحظ قوله: "يصف خالق الاشياء بجسم، أو صورة، أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء..." هي مجمل للرواية السابقة وفيها: "... وأن آدم خلق على مثال الرب فيصف هذا ويصف هذا وأومات إلى جانبي وشعر رأسي..."^(٤)

فهو تشبيه لصفات الخالق بالمخلوق، والأئمة ينفون هذا التشبيه بنفي الجسمية، والمحدودية والأعضاء عن الله، فإذا لم يكن هذا الكلام تشبيها فأي تشبيه بعد ذلك.

وهي أدلة تصور لنا قمة ما وصل إليه التشبيه عند القوم، سواء عند هشام وغيره من المشبهة أو عند السائل إذ كيف يحكي هذا التشبيه، عند الإمام؟!

(١) أهل السنة يطلقون الصورة على الله إلا أن اثباتها عند أهل السنة يختلف عن إثباتها عند هؤلاء وجواب أبي عبد الله يوضح ذلك، انظر القول المفيد لابن عثيمين (٢/٣٥٩)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيان (١/٢٦١).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٥).

(٣) المصدر السابق (٣/٣٠٣).

وهذه الأقوال من هشام وغيره ذكرها أهل المقالات من أهل السنة، ولا أظن أن عقلاء الشيعة ينكرون ذلك الموجود في كتبهم، وإن كان بعضهم ألمح بذلك مثل المرتضي وغيره. ومرد ذلك^(١).

وخصوصا إذ علمت أن بعض هذه الأقوال في كتاب (الكافي) ذلك الكتاب الذي قال عنه الطبرسي^(٢) صاحب المستدرک: "الكافي بين الكتب الأربعة كالشمس بين النجوم وإذا تأمل المنصف استغنى عن ملاحظة حال آحاد رجال السند المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها"^(٣).

فالطبرسي هنا يثبت أن جميع ما في (الكافي) صحيح، بل يرى أن كتاب الكافي فاق الكتب الأخرى المعتمدة في المذهب الشيعي، فهو كالشمس في قوة ظهوره. وهل للنجوم وجود وظهور إذا ظهرت الشمس!؟

وقال الحر العاملي في الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة ومنها (الكافي): "أصحاب الكتب الأربعة وأمثالهم قد شهدوا بصحة أحاديث كتبهم وثبوتها ونقلها من الأصول المجمع عليها فإن كانوا ثقات تعين قبول قولهم وروايتهم ونقلهم"^(٤).

وقال السيد شرف الدين^(٥): "الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره

(١) انظر: بداية المبحث.

(٢) هو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة (١٣٢٠هـ) والمدفون في المشهد المرتضوي بالنجف، وهو صاحب كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب، وله كتب أخرى "نفس الرحمن في فضائل سلمان ومستدرک الوسائل، انظر: الإعلام للزرکلي (٢/٢٥٧)، معجم المؤلفين لكحالة (٤/٤٦).

(٣) مستدرک الوسائل للطبرسي (٣/٥٣٢).

(٤) وسائل الشيعة للعاملي (٢٠/١٠٤).

(٥) هو عبد الحسين شرف الدين الموسوي المتوفى سنة (١٣٧٧هـ)، قال صاحب الاعلام: "فقيه إمامي، له اشتغال بالحديث ومشاركة في الحركات السياسية الوطنية ببلاد الشام. ولد في شحور (بجبل عامل) ← =

الفقيه، متواترة مقطوع بصحة مضامينها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها"^(١).

بل جعل بعضهم مناقشة أسانيد الكافي من حيث الصحة وعدمه حرفة العاجز. كما قال النائيني^(٢).

وقال محقق كتاب (الكافي) علي أكبر الغفاري قال: "اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه وهم مجمعون على الإقرار بإرتفاع درجته وعلو قدره على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجمل وأفضل من سائر أصول الحديث"^(٣).

= وتعلم بالنجف" له مصنفات منها: (المراجعات) و(الفصول المهمة في تأليف الامة) و(ثبت الاثبات في سلسلة الرواة) (مؤلفو الشيعة في صدر الاسلام) و(زكاة الاخلاق) نشرت فصول منه في العرفان. وللمعاصر الشيخ عبد الحميد الحر، كتاب (الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين) في سيرته. وكان يؤخذ عليه إباحته للعوام ضرب أجسامهم بالسيوف والسلاسل في ذكرى سيد الشهداء الحسين، وأنظر: الإعلام للزركلي (٣/ ٢٧٩) ومعجم المؤلفين لكحالة (٥/ ٨٧).

(١) المراجعات مراجعة رقم (١١٠).

(٢) انظر: كتاب الإنتصار للمحقق النائيني في صحة الكافي (ص ٨).

(٣) مقدمة الكافي (ص ٢٦)، ويقول عنه أيضا أحد المعاصرين وهو من منظري المعتقد للشيعة الشيخ الاثني عشري المعروف بعبد الحميد المهاجري "يقول في شريط له يتكلم عن كتاب الكافي حيث قال: "...يقولون لك هذا ضعيف الحديث، تدري شلون" كلمة غير مفهومة "في حين أهل البيت سلام الله عليهم وضعوا القرآن ميزانا للحديث ويجون "للکافي" والكتب الأربعة، يقولون الكافي أيضا احاديث الكافي ضعيفة، وأنا التحدي واحد يجيب لي حديث في الكافي ضعيف اذا تقرؤون مرأة العقول للعلامة المجلسي لما شرح الكافي يقول: هذا الحديث ضعيف وهذا سنده كذا وهذا سنده كذا، يريد أن يثيروا العقول حول هذه الأحاديث وإلا ما في حديث ضعيف في الكافي الكافي المعروف على كتاب الله!!!" تسجيل صوتي موثق لعبد الحميد المهاجري، الرابط www.fnoor.com/media/fn521.ra، ↩=

وهذا الذكر للاتفاق من علي أكبر الغفاري هو دليل لما استقر عليه المتأخرون من تعظيم هذا الكتاب.

وبعد هذه التزيكات العطرة من علماء الشيعة لكتاب (الكافي) سوف تأتينا نصوص كثيرة من كتاب الكافي تثبت التشبيه والتجسيم عند الشيعة الأوائل.

فمن هذه النصوص ما جاء في (الكافي) و(التوحيد) و(بحار الأنوار): "عن محمد بن حكيم قال: وصفت لأبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قول هشام الجواليقي، وحكيت له قول هشام بن الحكم: إنه جسم، فقال: إن الله لا يشبهه شيء، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم، أو صورة، أو بخلقة، أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"^(١).

ويؤكد شيخهم المفيد هذه الأمور في كتابه الحكايات بعد أن سأله أحد الشيعة فيقول: "وإنما خالف هشام وأصحابه، جماعة أبي عبدالله بقوله في الجسم، فزعم أن الله تعالى جسم لا كالأجسام"^(٢).

وجاء في (الكافي) و(البحار) عن محمد بن الفرغ قال: "كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة. فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ: دع عنك حيرة الحيران واستعد بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان"^(٣).

وهذا الطوسي ينقل في كتابه معرفة الرجال، خلاف كبار أصحاب المعصوم في

= والماجري له نشاط دعوي كبير في سوريا لا ينكره الشيعة أنظر كتاب "البعث الشيعي في سوريا للمعهد الدولي للدراسات السورية" (ص ٨٢).

(١) الكافي للكليني (٣/١٠٥)، التوحيد (٦/٩٩) وبحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٣).

(٢) الحكايات للمفيد (ص ٧٨-٨١).

(٣) الكافي للكليني (١/١٠٥)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٨).

ما سبق ذكره. فيقول: عن "جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال: اجتمع هشام بن سالم وهشام بن الحكم وجميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج ومحمد بن حمران وسعيد بن غزوان ونحو من خمسة عشر رجلا من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد وصفة الله ﷻ وغير ذلك لينظروا أيهما أقوى حجة. فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير ورضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام فتكلما وساق ما جرى بينهما.

وقال: قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به! قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحكي له مخاطبتهم وكلامهم ويسأله أن يعلمه ما القول الذي ينبغي ندين الله به من صفه الجبار فأجابه في عرض كتابه. فهتمت رحمك الله واعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته فصفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك" (١).

فها هم أصحاب المعصوم، الثقات الأجلاء، مختلفين في التوحيد، فعبد الرحمن بن الحجاج الثقة الثقة، كما هو موصوف في كتبهم (٢)، يصف عين الطائفة ووجهها (هشام بن الحكم) بأنه كافر ملحد.

وهذه النصوص السابقة اثبتت التشبيه والتجسيم عند القدماء من حيث الجملة، ويظهر ذلك في أمرين:

الأمر الأول: وجود المناظرات بين علماء الشيعة في مسألة صفات الله، ووقوع هذه المناظرات لا تكون إلا بعد استفحال وانتشار التشبيه.

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي (٢/٥٦٤).

(٢) انظر: شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني (٣/١٨٥)، وساء المقال في علم الرجال للكلباسي (٢/١٨٣).

الأمر الثاني: نفي التجسيم والتخطيط والأعضاء دليل على وقوع التشبيه.

ويترجم كلام هشام بن الحكم وغيره من مشبه القوم تلك الرواية التي أوردتها كتب الشيعة، وفيها شيئاً من التشبيه المقيت فمن ذلك:

ما رواه ابن بابويه في (التوحيد) والمجلسي في (البحار): "عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الانسان، وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط! فخر أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ساجدا ثم رفع رأسه فقال: سبحان الله الذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لأن الولد يشبه أباه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد، تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا"^(١).

وانظر إلى هذا السؤال الجريء من يعقوب السراج بين يدي الإمام جعفر الصادق، الذي يوحى بوجود حالة من الفكر السائد بين الناس في ذلك الوقت وهو التشبيه، لدرجة أنه يصرح بتشبيه الله بالإنسان ووقوعه عن بعض الأصحاب.

وحيثما تقارن بين هذا التصريح وبين التلميح الذي وقع في سؤال ذلك الصحابي الجليل للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، تجد أن هنالك أمراً ألزم السائل من تجاوز التلميح إلى التصريح، فعن أبي هريرة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، قال: "جاء ناس من أصحاب النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فسألوه: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم، قال: "ذلك صريح الإيمان"^(٢)، وهذا لا يكون إلا لانتشار هذا التشبيه بين الناس.

ومع هذه الرواية الشنيعة في التشبيه نجد رواية أخرى لا تقل شناعة عن سابقتها

(١) التوحيد لابن بابويه (صد ١٠٣-١٠٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٤).

(٢) صحيح مسلم (١/٨٣) "باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها".

في التشبيه، فعن "إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالوا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فحكينا له أن محمد صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد فخر ساجدا لله ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك..."^(١).

وهذا صاحب كتاب (مصاييح الأنوار في حل مشكلات الأخبار) الحجة السيد عبدالله شبر!! يؤكد الرواية السابقة برواية يأتي بها من جيبة^(٢) أن علي بن أبي طالب قال: "أنا أصغر من ربي بستتين"^(٣).

فهذه الروايات السابقة ذكرت التشبيه عند القدماء والأوائل بأوضح صورة، فقولته: "أن لله صورة مثل الانسان وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط" هي شارحة لرواية: "... وأن آدم خلق على مثال الرب فيصنف هذا ويصف هذا وأومات إلى جانبي وشعر رأسي..."^(٤).

ومن الروايات الشنيعة التي تحكي التشبيه، ما رواه المجلسي في (بحار الأنوار) وغيره وفيها: "... عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة والحسين في حجره إذ بكى وخر ساجدا ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد إن العلي الأعلى ترآء الي في بيتك هذا، ساعتى هذه في أحسن صورة وأهياً هيئة وقال لي: يا محمد أتج الحسين فقلت: نعم قررة عيني، وريحانتي، وثمره فؤادي، وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمد ووضعه يده على رأس الحسين بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما إنه سيد الشهداء من الأولين

(١) الكافي للكليني (١/ ١٠١)، التوحيد لابن بابويه (ص١١٣-١١٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٤/ ٤٠).

(٢) كناية عن الكذب، إذ أن هذه الرواية ليست في كتب المعروفة عند الشيعة.

(٣) مصاييح الأنوار في حل مشكلات الأخبار " للسيد عبد الله شبر (٢/ الرواية (١٧١)).

والآخرين في الدنيا والآخرة وسيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين وأبوه أفضل منه وخير فأقرئه السلام وبشره بأنه راية الهدى، ومنار أوليائي وحفيظي وشهيدي على خلقي وخازن علمي وحجتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين الجن والانس" (١).

وهذه الرواية حكى التشبيه والتجسيم في أعظم صورة، يظهر ذلك في قوله: "ان العلي الاعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتى هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة" وفي قوله: "ووضع يده على رأس الحسين"، فهو تشبيه لمقدمة حلوله، فإن الترائي في البيت ووضع اليد على رأس الحسين هو ممدد لحلول الله في الذوات.

وفي رواية أخرى في الترائي عن الإمام الصادق ضمن رواية طويلة، أنه قال: "إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وضع الحجر الأسود وهى جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَام فوضعت في ذلك الركن لعله الميثاق وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم (عَلَيْهِ السَّلَام) فأول من يبايعه ذلك الطائر وهو والله جبرائيل (عَلَيْهِ السَّلَام) وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله ﷻ على العباد" (٢).

وهذا الترائي وهذه المهاسة اللتان تجسدهما هاتان الروايتان، تؤكدهما رواية زيارة الله والملائكة والأنبياء إلى قبور الأئمة، جاء في (الكافي) وغيره: "عن يونس القسري قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله قلت: جعلت فداك! أتيتك ولم أزر أمير المؤمنين -يعني: في قبره- قال: بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور

(١) بحار الانوار للمجلسي (٢٣٨/٤٤)، كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه (ص ١٤١).

(٢) الكافي للكليبي (٤/١٨٥).

من يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون" (١)

وفي (بحار الأنوار) وغيره: عن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحسين؟ قلت: وتزوره جعلت فداك؟ قال: وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء فقال صفوان: جعلت فداك فنزوره في كل جمعة حتى ندرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان ألزم ذلك تكتب لك زيارة قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك تفضيل" (٢)

وهذه الرواية الحاكية للتشبيه والتجسيم تفسر لكثير من الروايات التي تُحكى في كتب الشيعة، التي ربما تُحمل على المحمل الحسن لو لم تذكر هذه الروايات التجسيمية، مثال: رواية ذكر "الصورة" في النصوص السابقة، ومثال: المماسية في الرواية المشهورة التي ذُكرت في (بحار الأنوار) وغيره من كتب الشيعة، وفيها أن النبي (صلى الله عليه) قال في علي بن أبي طالب: "لا تسبوا عليا فإنه ممسوس في ذات الله" (٣) وهو حديث يُشكل نوعاً من التجسيم باعتبار أنه يفترض تحقق المس بالذات الإلهية. وأي مماسة لا تكون بغير جسم؟!

ويوضح هذا أكثر في الروايات الواردة في وصف علي بن أبي طالب وباقي الأئمة بأنهم يد الله، ووجه الله، وجنب الله، وغير ذلك من الصفات.

جاء في (الكافي) وغيره: "... عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي ولسان الله

(١) الكافي للكليني (٤/٥٨٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/٣٦١)، كامل الزيارات لابن قولويه (ص١٢٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٤/٤٨٠).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩/٣١٣)، والاعتقادات للصدوق (ص١٠٧).

الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله" (١)، وفي رواية زيادة "وأنا باب الله" (٢). زعموا أيضا أن عليا قال: "أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله" (٣).

وجاء أيضا في رواياتهم أن علياً قال: "أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن..". (٤).

وفي (الكافي) للكليني و(البحار) للمجلسي: "عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال مبتدئا من غير أن أسأله: نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولادة أمر الله في عباده، ثم قال: يا أسود بن سعيد إن بيننا وبين كل أرض ترا (٥) مثل تر البناء فإذا امرنا في أمرنا جذبنا ذلك الترفأقبلت إلينا الارض بقلبها وأسواقها ودورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر فيها من أمر الله تعالى" (٦).

وروى الكليني في (الكافي) عن أبي عبد الله في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (٧) قال: "نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا" (٨).

- (١) الكافي للكليني (١/١١٣) والتوحيد للصدوق (ص١٥٤).
- (٢) الكافي للكليني (١/١٤٥)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/١٩٤).
- (٣) التوحيد لابن بابويه (ص١٦٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/١٩٨).
- (٤) رجال الكشي (ص٢١١)، وانظر بحار الأنوار للمجلسي (٩٤/١٨٠).
- (٥) التر: هو التباعد قال ابن فارس: "عن الكسائي: تَرَّ الرَّجُلُ عَنْ بِلَادِهِ: تَبَاعَدَ"، أنظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٣٣٧) ولسان العرب لابن منظور (٤/٨٩).
- (٦) الكافي للكليني (١/١٤٤)، بحار الانوار للمجلسي (٢٥/٣٨٤).
- (٧) سورة الأعراف الآية (١٨٠).
- (٨) الكافي للكليني (١/١٤٣-١٤٤).

وجاء في (بحار الأنوار) وغيره: أن أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة: أنا الهادي، وأنا المهدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرمال، وأنا ملجأ كل ضعيف، ومأمّن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة، وأنا جبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله الذي يقول: "أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله" وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطة، من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه لاني وصي نبيه في أرضه، وحجته على خلقه، لا ينكر هذا إلا راد على الله ورسوله" (١)

وجاء في تفسير السبع المثاني عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "نحن المثاني التي أعطاه الله نبينا، ونحن وجه الله، نتقلب في الارض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا، من عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه السعير" (٢)

وفي (التوحيد) لابن بابويه أن أبا عبد الله قال: "إنَّ الله عَجَّلَ خَلْقًا مِنْ رَحْمَتِهِ، خَلَقَهُمْ مِنْ نُورِهِ.. فَهَمَّ عَيْنَ اللَّهِ النَّاطِرَةَ وَأَذَنَ السَّامِعَةَ، وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ بِأَذْنِهِ.. بِهِم يَمْحُو السَّيِّئَاتِ، وَبِهِم يَدْفَعُ الضَّيْمَ، وَبِهِم يُنَزِّلُ الرَّحْمَةَ، وَبِهِم يُحْيِي مَيِّتًا، وَبِهِم يَمِيتُ حَيًّا، وَبِهِم يَبْتَلِي خَلْقَهُ، وَبِهِم يَقْضِي فِي خَلْقِهِ قَضِيَّتَهُ" (٣)

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية تقول: إن الأئمة هم وجه الله ويد الله (٤)

وجاءت عندهم روايات عديدة في كثير من مصادرهم المعتمدة تفسر قوله سبحانه: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٥)، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٩/٤)، انظر: الكافي للكليني (١/١٤٥).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١١٤/٢٤).

(٣) التوحيد لابن بابويه (ص١٦٧).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/١٩١-٢٠٣).

(٥) سورة الرحمن الآية (٢٧).

وَجْهَهُ ﴿١﴾ بما رواه عن جعفر أنه قال: "نحن وجه الله" "نحن الوجه الذي يؤتى الله منه"، "نحن وجه الله الذي لا يهلك"، وروايات أخرى بهذا المعنى (١).

أقول: هذه الروايات السابقة المنثورة في كتب الشيعة، هي أكبر دليل على وقوع التجسيم والتشبيه عند الشيعة الأوائل وخصوصا إذا علمت مغزى الروايات السابقة، وهو مغزى يفوق التشبيه، بل لا يقع إلا بعد التشبيه، وهو وحدة الوجود، التي هي نتاج للقول بالترائي والزيارة، وأن الأئمة هم عين الله ووجهه ولسانه...، ويظهر هذا الأثر جليا - وهو أثر وحدة الوجود - في الحديث المشهور عندهم "لا تسبوا عليا فانه ممسوس في ذات الله" (٢).

يقول المجلسي وهو يحكي معنى (علي ممسوس في ذات الله)، قال: "وقال بعض العارفين - بزعمه - : إذا تجلى الله سبحانه بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها وهي أعضاؤها ولا يلم بواحد منها شيء إلا ويراه ملما به، ويرى ذاته الذات الواحدة، وصفته صفتها، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، وليس للإنسان وراء هذه الرتبة مقام في التوحيد.

ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التميز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق.

وقيل: إلى هذا المعنى يشير ما ورد في الحديث النبوي: (علي ممسوس في ذات

(١) سورة القصص الآية (٨٨).

(٢) انظر: التوحيد لابن بابويه، باب تفسير (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (ص١٤٩-١٥٣)، وبحار الأنوار (٢٤/١٩١) وما بعدها، وفي تفسير البرهان ثلاث عشرة رواية بهذا المعنى نقلها من مختلف كتبهم المعتمدة عندهم انظر: البرهان (٣٠/٢٤٠-٢٤٢).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩/٣١٣)، والاعتقادات للصدوق (ص١٠٧).

الله)، ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وأمثالها، انتهى.

وأقول: الاكتفاء بما أسلفنا وأومأنا وترك الخوض في تلك المسالك الخطيرة أولى وأحوط وأحرى والله الموفق للهدى" (١).

وهذا الكلام السابق من المجلسي - وإن كان نقلا عن بعض العارفين -، إلا أن تأكيده بحديث "علي ممسوس بذات الله" لهو عين التجسيم والتشبيه الذي ينكرونه، ويؤكد ذلك قوله: "الاكتفاء بما أسلفنا وأومأنا وترك الخوض في تلك المسالك الخطيرة أولى وأحوط وأحرى".

ومن صور التشبيه عند قدماء الشيعة ما جاء أيضا في (بحار الأنوار): "عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيامة، والمؤمن يخاصر ربه يذكره ذنوبه، قلت: وما يخاصر؟ قال: فوضع يده على خاصرته فقال: هكذا يناجي الرجل منا أخاه في الأمر يسره إليه" (٢).

يقول ابن فارس في المعجم: "خصر: الخاء والصاد والراء أصلان... وسَط الشيء" (٣).

والخصر: هو وسط الإنسان، والخاصرة: الشاكلة (٤).

والمخاصرة من الصفات الجديدة التي وصفت بها الشيعة البارئ سبحانه، فهي صفة جديدة عند الشيعة، لكنهم ليتهم حينما ذكروها لم يزيدوا في تكيفها وتشبيهها، فلربما اعتذر لهم بتأويلها، فأولت كباقي الصفات عند المتأخرين، لكان ذلك أخف

(١) مرآة العقول للمجلسي (ص ٣٩٦).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٧/ ٢٧٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٧٧).

(٤) الصحاح في اللغة للجوهري (١/ ١٧٣).

شراً من تكييفها !!!

وهذا شيخهم العالم ميرزا محمد تقي الملقب بحجة الاسلام يذكر هذه الرواية نقلاً من كتاب (مدينة المعاجز عن دلائل الطبري) قال: "عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما منع الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وأصحابه الماء نادى فيهم من كان ظمآن فليجئ فأتاه رجل رجل فيجعل ابهامه في راحة واحدهم فلم يزل يشرب الرجل حتى ارتووا فقال بعضهم والله لقد شربت شراباً ما شربه أحد من العالمين في دار الدنيا فلما قاتلوا الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فكان في اليوم الثالث عند المغرب أعقد الحسين رجلاً رجلاً منهم يسميهم بأسماء آبائهم فيجيبه الرجل بعد الرجل فيقعد من حوله ثم يدعو بالمائدة فيطعمهم ويأكل معهم من طعام الجنة ويسقيهم من شرابها.

ثم قال أبو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والله لقد رأهم عدة من الكوفيين، ولقد كرر عليهم لو عقلوا. قال ثم خرجوا لرسلمهم فعاد كل واحد منهم إلى بلادهم، ثم أتى لجال رضوى فلا يبقى أحد من المؤمنين إلا آتاه وهو على سرير من نور قد حفت به إبراهيم وموسى وعيسى! وجميع الأنبياء! ومن ورائهم المؤمنون ومن ورائهم الملائكة ينظرون ما يقول الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قل فهم بهذه الحال إلى أن يقوم القائم وإذا قام القائم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وافو فيها بينهم الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى يأتي كربلاء فلا يبقى أحد سماوي ولا أرضي من المؤمنين إلا حفتوا بالحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حتى إن الله تعالى يزور!! الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ويصافحه!! ويقعد معه!! على سرير!! يا مفضل هذه والله الرفعة التي ليس فوقها شيء لا لورائها مطلب.

ثم قال في تعليقه على الرواية ما نصه: (يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب هذا الحديث من الأحاديث المستصعبة!! التي لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)!!!".^(١)

(١) انظر: نوار المعجزات في مناقب الأئمة الهداة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري (ص ١١١)، صحيفة

ويقول في موضع آخر: "وأما المعصوم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فهذا المقام حاصل له مساوقا لبدء خلقه فليس بين الله وبين حجته حجاب في حال من الأحوال كما مرّ صريح الحديث في ذلك في القسم الأول من الكتاب نعم أنهم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يلبسوا بعض العوارض بالعرض في هذه الدار الفانية ليطيق الخلق رؤيتهم فيتمكنوا من تكميلهم وهو أحد الأسرار!! في بكائهم واستغفارهم إلى الله تعالى من غير ذنب لحق ذواتهم فافهم فإذا خلعوا هذا اللباس العرضي وانتقلوا إلى الدار الباقية خلص لهم ذلك المقام يزورهم الرب تعالى!! ويصافحهم!! ويقعدون معه!! على سرير واحد!! لاتحاد حكم العبودية مع حكم الربوبية"^(١).

والناظر إلى هذه الرواية يجد أنها حوت التشبيه والتجسيم، فتراه يقول: "الله عَزَّ وَجَلَّ يزور الحسين (رضي الله عنه) في كربلاء، بل الله عَزَّ وَجَلَّ يصافح الحسين (رضي الله عنه) ويجلسه على سرير".

ثم يأتي بعد ذكر هذه الرواية تلاعب الشيعة بعقول القوم، ليدخلوا الناس مرحلة "عدم الفهم" وهي مرحلة الباطنية الممقوتة التي لا يعرفها إلا خاصة الخاصة. والعجب كل العجب أنك ترى هؤلاء القوم يهتمون أهل السنة بالتشبيه والتجسيم، ولكن حين يصبح الأمر فاضحاً لعقائدهم التشبيهية والتجسيمية، يُقال "حديثٌ مستصعب"!!؛ لأن هذا من مقامات المعصومين، "الله يزورهم، يصافحهم، يقعد معهم!!، بل على الخلق أن يؤمنوا بذلك؛ لأن هذا هو حقيقة امتحان قلب المؤمن للإيمان".

وبهذه الرواية السابقة الذاكرة لجلوس الرب مع الحسين، يظهر جلياً تجسيم

= الأبرار لميزا محمد تقي (٢/١٤٠)، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني (٣/٤٦٣ - ٤٦٤).

(١) المصدر السابق (٢/١٤١).

الشيعة لله في مسألة جلوس النبي على العرش^(١) مع الله أيضا.

فعن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" قال: يجلسه على العرش معه^(٢).

بل يذهب بعض الشيعة أبعد من هذا التشبيه، إذ الأئمة يجلسون على العرش مع الله جاء في تفسير العياشي رواية طويلة تقشعر منها أبدان المؤمنين، تصف ما يجري في

(١) مسألة جلوس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العرش وإن ذكرت في كتب أهل السنة والجماعة فإن العلماء المحققين منهم ينفونها ولا يثبتونها.

بل وقعت بسبب هذه المسألة فتنة كبيرة بين العلماء، ذكر ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" في حوادث سنة عشرة وثلاث مائة ما نصه: "وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنيلي، وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} فقالت الحنابلة: يجلسه معه على العرش.

وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون..."

وهذه المسألة ورد فيها حديثان واهيان، وأثر موقوف منكر السند.

يقول الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعقيبه على الإمام الذهبي: "فكنت أحب له رَحِمَهُ اللَّهُ أن لا يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقاعده محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عرشه ما دام أنه لم يأت به نص ملزم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعناه ليس له شاهد في السنة ومعناه ولفظه لم يتوارد على السنة الأئمة وهذا هو الذي يدل عليه بعض كلماته المتقدمة حول هذا الأثر ولكنه لما رأى كثيرا من علماء الحديث أقروه لم يجروا على التزام التصريح بالإنكار وإنما تارة وتارة والله تعالى يغفر لنا وله.

ومن العجيب حقا أن يعتمد هذا الأثر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه نقل كلام القاضي أبي يعلى فيه وبعض أسماء القائلين به... وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد، بل صح عنه ما يخالفه.

حتى قال: "وخلاصة القول: إن قول مجاهد هذا - وإن صح عنه - لا يجوز أن يتخذ دينا وعقيدة ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة".

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٧٧/١٦)، الاختصاص للمفيد (ص ١٨).

يوم القيامة، وتقول نهاية الرواية على لسان الأئمة: "ثم يؤتى بنا فنجلس على عرش ربنا..".^(١)

ولم يقتصر الشيعة في جلوس النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والأئمة من آل البيت على العرش، بل أضافوا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد جاء في (البحار) للمجلسي عن خيثة الجعفي قال: كنت عند جعفر بن محمد عليهما السلام انا ومفضل ابن عمر ليلا ليس عنده أحد غيرنا، فقال له مفضل الجعفي: جعلت فداك حدثنا حديثا نسربه، قال: نعم إذا كان يوم القيامة حشر الله الخلائق في صعيد واحد حفاة عراة غرلا، قال: فقلت: جعلت فداك ما الغرل؟ قال: كما خلقوا أول مرة، فيقفون حتى يلجمهم العرق فيقولون: ليت الله يحكم بيننا ولو إلى النار - يرون أن في النار راحة فيما هم فيه - ثم يأتون آدم فيقولون: أنت أبونا وأنت نبي فاسأل ربك يحكم بيننا ولو إلى النار، فيقول آدم: لست بصاحبكم، خلقني ربي بيده، وحملني على عرشه، وأسجد لي ملائكته، ثم أمرني فعصيته...."^(٢)

وانظر إلى قوله: "خلقني ربي بيده، وحملني على عرشه" ولا يتصور حمل آدم على العرش حتى يتصور يد الله التي خلق بها آدم، وهو تشبيه واضح لمن تمعن فيه.

يوضح هذا التشبيه أكثر تلك الرواية التي وردت في (الكافي) و(بحار الأنوار) وغيرهما، في المصافحة. وفيها "... عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عَلَيْهِمُ يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدهما حبا لصاحبه، فإذا أقبل الله عَلَيْهِمُ بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر"^(٣).

فإن المتمعن في قوله: "... أدخل الله عَلَيْهِمُ يده بين أيديهما، وأقبل بوجهه على

(١) تفسير العياشي (٣١٢/٢)، البرهان للبحراني (٤٣٩/٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٠٢/٣).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٤٥/٨)، وانظر: تفسير العياشي (٣٢٣/٢).

(٣) الكافي للكليني (١٧٩/٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/٧٣)، وسائل الشيعة للعالمي (٢١٩/١٢).

أشدهما حبا لصاحبه... " يعلم السامع ما ترمى إليه هذه الرواية من القول بالتشبيه •
ويؤكد هذا المعنى أكثر تلك الرواية التي وردت في (الكافي). وفيها: "... عن
أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: إن الله تَعَلَّقَ لما أراد أن يخلق آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أرسل الماء على
الطين، ثم قبض قبضة فَعَرَكَهَا، ثم فَرَّقَهَا فرقتين بيده ثم ذرأهم...." •
فالسامع إلى لفظة: "... ثم قبض قبضة فَعَرَكَهَا ثم فَرَّقَهَا فرقتين... " لا يتبادر إلى
ذهنه إلا التشبيه المقيت، الذي طفح في كتب القوم.

ومن روايات التشبيه أيضا ما جاء في كتاب الأصول الستة عشر عن: "زيد عن
عبدالله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يقول إن الله ينزل في يوم عرفة في
أول الزوال إلى الارض على جمل أفرق يصال بفخذه أهل عرفات يمينا وشمالا ولا
يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ونفر الناس وكل الله ملكين بجبال المازمين
يناديان عند المضيق الذي رأيت يا رب سلم سلم والرب يصعد إلى السماء ويقول
جَلَّ جَلَالُهُ أمين أمين يا رب العالمين فلذلك لا تكاد ترى صريعا ولا كسيرا" (١)

ويفسر هذه الرواية بصورة أقل تشبيها من سابقتها، ما جاء في (بحار الأنوار)
و(مستدرك الوسائل) وغيرهما عن: "عطاء عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه عن علي
(عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث طويل قال فيه: ثم إن
الله أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك أن أهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد
بيتي؛ لأنني أريد أن أهبط في ظلال من ملائكتي إلى أرضي فارفع أركان بيتي للملائكتي
ولخلق من ولد آدم... قال ثم إن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة وأخبرهما أن الجبار
تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من
المروة وحجر من طور سينا وحجر من جبل السلام..." (٢)

(١) الأصول الستة عشر (ص ٥٤)، رياض العلماء للميرزا عبد الله الاصبهاني (٢/ ٤٠٤).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ١١/ ١٨٤، مستدرك الوسائل لطبرسي (٩/ ٣٢٢)، تفسير العياشي (١/ ٤٠).

وفي (الكافي) و(البحار) و(الوسائل) وغيرها عن أبي حمزة الثمالي قال: رأيت علي بن الحسين قاعداً واضعاً إحدى رجله على فخذه فقلت: إن الناس يكرهون هذه الجلسة ويقولون: إنها جلسة الرب، فقال: إني إنما جلست هذه الجلسة للملالة، والرب لا يمل ولا تأخذه سنة ولا نوم" (١).

وبهذه الرواية يُعلم ما كان عليه الناس من التشبيه الممقوت، الذي ذاع وانتشر بين الناس، والناس على دين علمائها (٢)، وانتشار التشبيه يظهر جلياً في الرواية السابقة لدرجة أنه أصبح هنالك حركات وهيئات محرمة على الناس والعلة: "إنها جلسة الرب"، لتصور الناس لذات الرب. فأبي تشبيه بعد ذلك؟!

وقارن بين الرواية السابقة وبين الرواية التي ذكرها الكليني والمجلسي وغيرهما: "عن حماد بن عثمان قال: جلس أبو عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ متوركا رجله اليمنى على فخذه اليسرى، فقال له رجل: جعلت فداك، هذه جلسة مكروهة، فقال: لا، إنما هو شيء قالته اليهود لما أن فرغ الله ﷻ من خلق السموات والأرض، واستوى على العرش، جلس هذه الجلسة ليستريح، فأنزل الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ "وبقي أبو عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) متوركا كما هو" (٣).

(١) انظر: شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (١٨/١٨٨)، والبحار للمجلسي (٥٩/٤٦)، وسائل الشيعة للعالمي (١٠٦/١٢).

(٢) "الناس على دين ملوكهم"، هذه المقولة مشهورة عند الناس، ومعناها أن الشعوب غالباً ما تتأثر بأعمال زعمائها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (٩/١٨٦): (كانت همة الوليد بن عبد الملك في البناء وكان الناس كذلك يلقي الرجل الرجل ماذا بنيت؟ ما ذا عمرت؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء وكان الناس كذلك يلقي الرجل الرجل كم تزوجت؟ ما ذا عندك من السراري؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن والصلاة والعبادة وكان الناس كذلك يلقي الرجل الرجل فيقول كم وردك؟ كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة) اهـ، وهو ليس بحديث كما يظن أغلب الناس قال السخاوي: لا أعرفه حديثاً بهذا اللفظ انظر: المقاصد الحسنة (ص ٤٤١).

(٣) شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (١٨/١٨٩)، بحار الأنوار للمجلسي (٤٧/٤٨)،
⇐ =

ويلاحظ في هذه الرواية أن الإمام أبا عبد الله لاحظ من السائل علة النهي عنده من كراهية هذه الجلسة، فبادر بالإنكار على من شبه صفات الله بصفات خلقه، يقول شارح أصول الكافي: "هذه الآية الشريفة إلى آخرها رد عليهم لدلالاتها على أنه منزّه عن الوسن والنوم والتحيز والحلول والتغير والفتور والمناسبة بالأشباح وقبول ما تقبله ذوات الأمزجة والأرواح إلى غير ذلك من مسائل التوحيد.." (١)

ويبين هذا أكثر رد الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ على من سأله عن بعض صفات الأفعال. "فعن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطَّوْلِ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل، فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد، فتحدوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين" (٢).

وصيغة الرد من الإمام الكاظم - إن صح عنه ذلك - تلم بتصور حال السائل وما يعتقد فقال له: "فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد، فتحدوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود.."

ولعلنا نذكر بما قاله ابن أبي الحديد قال: "سألت معاد العنبري، فقلت: أله وجه؟ فقال: نعم حتى عدت جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدي إلى فرجي، فقال: نعم، فقلت: أذكر أم أنثى؟ فقال:

= مستدرک الوسائل لطوسي (٤٠١ / ٨)، وسائل الشيعة للعالمي (١٠٧ / ١٢).

(١) شرح أصول الكافي لمولي محمد صالح المازندراني (١٨٩ / ١٨).

(٢) التوحيد للصدوق (ص١٨٣).

ذكر" (١).

ولعل هذه الكلام المحكي عن معاد العنبري شارح لما كان عليه المجتمع الشيعي المتقدم، الذي جعل علماء الكلام كأمثال: الهشامين، وغيرهم قادة لهم في علم العقائد. فالله عند الشيعة الله يترائى في بيت فاطمة، يمسح على رأس الحسين، يقعد معه على سرير يخاصره... وغير ذلك من صور التجسيم والتشبيه، وهنا يصول بفخذه على جمل أفرق بين الحجيج والجمل الأفرق هو ذو سنامين^(١)، ويصور جلسة الرب المحرمة عندهم أي دين يجعل هذا القائل يطلق على ربه هذه الصفات التي تعرت عن التنزيه والتسبيح!؟

ولا أعلم كيف تأول صفة الفخذ لو أرادوا تأويلها كعادة المتأخرين.

ومن طوام الشيعة الأوائل في التشبيه أيضا، ما يحكي عنهم من أن الله تكلم بصوت علي في واقعة المعراج، فقد جاء في (بحار الأنوار) وغيره عن: "أخطب خوارزم... عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسئل: بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ قال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فألهمني أن قلت: يا رب أنت خاطبتي أم علي؟ قال: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس لا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت عليا من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك"^(١).

فالنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يشبهه عليه من الذي يخاطبه: الله أم علي؟! لقوة التشابه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (٣/٢٢٧).

(٢) تاج العروس للزبيدي (٢٦/٣٠٠).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣٨/٣١٢)، وانظر: منهاج الكرامة للحلي (ص٩٠)، وكشف اليقين للحلي

(ص٢٢٩)، وكشف الغمة للإربلي (١/١٠٣).

بين الله وعلي، فعلى إثر هذا التشابه لم يستطع الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن يميز بين الصوتين، ثم تأتي تكملة الرواية: أن الله قال: يا أحمد أنا شيء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس.. "وهي تكملة تنافح وتكافح من أجل بقاء التنزية عندهم بنفي التشبيه عن الله، وهو جواب في غاية السقوط والتهافت. فخطاب علي ولغته وصوته أليس من الأشياء؟! الجواب: بلى قطعاً. فإذن صار خطاب الله كخطاب علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، فما صنعت هذه العبارة شيئاً سوى ذر الرماد في العيون وبيان تهافتها وكذبها.

ثم يأتي صاحب تفسير الصافي "الفيض الكاشاني (المتوفي سنة ١٠٩١ هـ)" معلقاً على هذا الخبر قائلاً: "و الأخبار في قصة المعراج كثيرة من أرادها فليطلبها في مواضعها وفيها أسرار لا يعثر عليها إلا الراسخون في العلم"^(١).

ومن هذه الأسرار عندهم حقيقة التشبيه التي تؤدي إلى حقيقة وحدة الوجود. ويظهر ذلك جلياً في ذكر الكليني لرواية توضح مدى تغلغل التشبيه، ووحدة الوجود عند القوم، فبعد ذكر الكليني الروايات التي تحكي أن الأئمة عين الله ولسان الله...، يقول: "عن سليمان عن زرارة عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال سألته عن قول الله ﷻ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون قال إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني الأئمة منا، ثم قال في موضع آخر وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم ذكر مثله"^(٢).

ومن صور التشبيه القريبة مما سبق قولهم: إن الله ينفخ في الصور فقد جاء في رواية طويلة تحكي حال يوم القيامة جاء فيها: "... يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا" يعني تبسط، و"تبدل الارض غير الارض" يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء

(١) تفسير الصافي للكاشاني (٤/١٨٣).

(٢) الكافي للكليني (١/١٤٦).

كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جَلَّ جَلَّالُهُ بصوت جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين: "لمن الملك اليوم"؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبار جَلَّ جَلَّالُهُ مجيبا لنفسه: "الله الواحد القهار" وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيئتي، وأنا احييهم بقدرتي، قال: فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنة والنار، ويحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاء شديدا" (١).

فلاحظ قوله: "فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات..." فهو قمة في حكاية التشبيه الذي وصل إليه القوم (٢).

ومن صور التشبيه والتجسيم عند الأوائل من الشيعة ما جاء في كتبهم عن أخبار الشاب الأمرد فهذا أحد رجالهم ينقل لأبي عبد الله - كما تقول الرواية - ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم، فيقول: "إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد ققط! فخر أبو عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ساجدا ثم رفع رأسه فقال: سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم لم يلد لأن الولد يشبه أباه ولم يولد فيشبه من كان قبله ولم يكن له من خلقه كفوا أحد تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا" (٣).

وفي رواية أخرى: "دخلنا على أبي الحسن الرضا ع فحكينا له أن محمد صلى الله

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٦/٣٢٥).

(٢) كلام الله بحرف وصوت من الأشياء المقررة عند أهل السنة والجماعة، إلا أن النص الذي يحكيه الشيعة زيادة على ما هو ثابت عن الله. انظر: شرح الطحاوية تقريب خالد فوزي (٢/٧١٧).

(٣) التوحيد ابن بابويه (ص١٠٣-١٠٤)، بحار الأنوار (٣/٣٠٤).

عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد؟ فخر ساجدا لله ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانك لو عرفوك لو صفوك بما وصفت به نفسك سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا أشبهك بخلقك أنت أهل لكل خير فلا تجعلني من القوم الظالمين ثم التفت إلينا فقال: ما توهمتم من شيء فتوهموا الله غيره ثم قال: نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة يا محمد عظم ربي ﷺ أن يكون في صفة المخلوقين قال قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمد كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب إن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك يا محمد ما شهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به" (١)

ولعلنا نقف قليلا مع هاتين الروايتين اللتين تحكيان أخبار الشاب الأمرد. وأخبار الشاب الأمرد من الأشياء التي لا يستطيع الشيعة أن ينكروا وجودها في كتبهم من كثرتها. (٢)

فالملاحظ في هاتين الروايتين أمور:

١- قوله: " أن لله صورة مثل الإنسان، وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط!" وهذه اللفظة تؤكد ما ذكره بعض علماء الفرق من أقوال تحكي عن بعض علماء الشيعة " أن معبوده جسم ذو حدٍ ونهاية وأنه طويل، عريض، عميق، وأن طوله مثل

(١) الكافي للكليني (١/١٠٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٤/٣٩).

(٢) انظر: الكافي للكليني (١/١٠٦)، وبحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٠-٣٠٧)، (٤/٣٩)، التوحيد للصدوق (ص١١٣)، تفسير القمي (١/٢٠)، تفسير نور الثقلين للحويزي (٣/١٣٠-١٥٥/٥).

عرضه" (١)، أو "أن ربه جسم ذاهب جاء فيتحرك تارة، ويسكن أخرى، ويقعد مرة، ويقوم أخرى.. حتى قيل لبعضهم: فأيهما أعظم إلهك أو هذا الجبل؟ وأشاروا إلى جبل أبي قبيس قال: فقال: هذا الجبل يوفى عليه أي هو أعظم منه" (٢).

وقالوا أيضا: "إنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسيكة الصافية يتلأأ كاللؤلؤ المستديرة من جميع جوانبها" (٣).

بل بلغ تشبيههم أن قال أحدهم: "اعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني عما وراء ذلك" (٤).

٢- قوله: "ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين" تحديد السن له تعلق بالحياة وصفة الحياة من الصفات التي ترجع لها جميع الصفات الذاتية (٥)، والتشبيه فيها يوحي بتغلغل التجسيم عند المتكلم، فإن صفة الحياة من الصفات التي إذا وقع فيها التشبيه لزم التشبيه في ما عداها من الصفات، والعكس بالعكس، فإنه إن نزه الله فيها لزم التنزيه في ما عداها من الصفات.

قال شارح الطحاوية: "فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة" (٦).

وهذا التشبيه في تحديد السن تؤكد تلك الرواية التي رووها عن علي بن أبي

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٦٥).

(٢) مقالات الاسلاميين للأشعري (١/١٠٧).

(٣) مقالات الاسلاميين للأشعري (١/١٠٦)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٦٥)، التبصير في الدين للاسفراييني (ص ٣٧).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٥٧)، التبصير في الدين للاسفراييني (ص ١٢٠).

(٥) انظر: تفسير اسماء الله الحسني ابن سعدي (ص ٣٩).

(٦) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٨).

طالب: أنه قال: "أنا أصغر من ربي بستتين" (١).

٣- "إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد" إلى "تستعمل في كلام العرب لانتهاه الغاية" (٢)، واستعماله في صفات الله يدل على التشبيه والتجسيم •
 وخالصة هذه الروايات المثورة في كتب الشيعة، أن يقال: إن هذه النصوص أثبتت وقوع التشبيه والتجسيم عند قدماء الشيعة من ثلاثة وجوه:

أولها: النصوص المتضافرة عن الأئمة المعصومين - كما يزعمون - كجعفر الصادق، والرضا، وغيرهما، في ذم حملة المذهب والتبرؤ منهم وتكذيبهم. أمثال هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، وعلي بن اسماعيل بن ميثم، ويونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، وهشام بن سالم الجواليقي وغيرهم، وهذا التبرؤ لا يكون إلا لمن فسدت عقيدته أو ارتكب أمر عظيم. وقد سبق ذكر شيء من ذلك •

ثانيها: النصوص الصحيحة، بل الأقوال المتواترة الواردة في كتب المذهب المعتمدة عندهم التي إليها يفرع عند تقرير المسائل، وهذه النصوص تظهر أن الأئمة عين الله وجنب الله ولسان الله... وهذا الكلام لا يقع إلا من مشبه قد بلغ به التشبيه إلى النخاع •

ثالثها: النصوص البينة الصريحة في القول بالتشبيه والتجسيم، كحديث المخاصرة، والفخذ، وغيرها، مما سبق ذكره.

ثاني هذه الأدلة: ما كان نصا لازمه أو نصا ظاهره موهما للتجسيم والتشبيه •

لازم الشيء من الأمور التي يستعملها العلماء في مجادلة المخالفين؛ لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم، فالحديث عن دليل اللازم هنا هو من باب الاعتضاد للأدلة النصية السابقة.

(١) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار " للسيد عبد الله شبر (٢/ الرواية (١٧١)).

(٢) انظر: تعجيل المنفعة للفوزان (ص ٢٤٨).

وأما النص الذي ظاهره التشبيه، فإن لفظة (الظاهر) من المجمل الذي تحمل بين طياتها حقا وباطلا وهذا الحق والباطل لا يعلم إلا بمراد السائل، وفي استدلالنا بهذا النص الموهم، مرادنا التشبيه، لبيان الحجة بهذا النص المذكور في كتب القوم •
ويدخل في هذا الدليل كل نص أثبت فيه صفة لله وافقوا فيها أهل السنة والجماعة •

فمن هذه النصوص ما جاء في (الكافي) للكليني: "عن محمد بن عيسى قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام: جعلني الله فداك يا سيدي قد روي لنا: أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي: أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع، فقد يلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنف على كل شيء بقدره، فكيف يتكنف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوق عَلَيْهِ السَّلَامُ: علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرا واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا وإحاطة" (١).

وعن صفوان، عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة، فقال عَجَلٌ، هذان نوران لي مطيعان، فخلق الله من ذلك النور محمدا وعليا والأصفياء من ولده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ" (٢).

وجاء في (البحار) عن جابر الجعفي قال: "سمعت أبا عبد الله؛ يقول: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل في الثلث الباقي من الليل إلى السماء الدنيا، فينادي: هل من تائب يتوب

(١) الكافي الكليني (١/١٦٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣٠٧).

فأتوب عليه، وهل من مستغفر يستغفر فأغفر له، وهل من داع يدعوني فأفك عنه، وهل من مقتور يدعوني فأبسط له، وهل من مظلوم يستنصرني فأنصره" (١).

وعن أبي عبد الله؛ قال: "إن للجمعة حقاً وحرمة، فإياك أن تضيع أو تقصر في شيء من عبادة الله والتقرب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلها؛ فإن الله يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، قال: وذكر أن يومه مثل ليلته، فإن استطعت أن تحييها بالصلاة والدعاء فافعل؛ فإن ربك ينزل في أول ليلة الجمعة إلى سماء الدنيا، فيضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات، وإن الله واسع كريم" (٢).

فالنزول والاستواء من الصفات المثبتة عند القوم، وهي وغيرها من الصفات المثبتة عند الشيعة على حالتين لا ثالث لهما:

الحالة الأولى: أن يقال: إن الله ينزل ويستوي، وله صفات تليق به لا تبلغ العقول البشرية تكييفه أو تجسيمه، وهذا لا تقوله الشيعة مطلقاً، ولو قالوا به لوافقوا أهل السنة ولانتهى الخلاف.

الحالة الثانية: أن يقال: هذه الصفات المثبتة هي نفس صفات الخلق، وليس بين صفات الخالق والمخلوق فرق، وهي حالة يلزم بها الخصم، إن لم يقل بالحالة الأولى. وإن قال الشيعي: أنا لا أقول بالحالتين، لكن أقول إن هنالك حالة ثالثة وهي التأويل.

يقال له: التأويل قد يكون سائغاً في بعض المواطن، لكن هنالك مواطن لا يسوغ فيها التأويل.

وقد نبه بعض المعصومين - بزعمهم عن ذلك - فقال قولة لا يقولون بها الآن، قال الرضا: "... للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه،

(١) بحار الأنوار للمجلسي (١٦٧/٨٤).

(٢) الكافي للكليني: ٤١٤/٣، تهذيب الأحكام للطوسي (٣/٣)، وسائل الشيعة للعالمي (٧/٣٧٥).

فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه^(١).

ومثله قال أبو عبد الله ف"عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بمسائل فيها: أخبرني عن الله ﷻ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد؟

فكتب بيدي عبد الملك بن أعين: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بخلقه المفترون على الله، واعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله ﷻ، فانفِ عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدُّ القرآن فتضل بعد البيان"^(٢).

إذن المثبت للصفة إما قائل بها مع التنزيه، وإما قائل بها بلا تنزيه، وأما المؤول فحقيقته نافٍ للصفة، وليس مثبتاً لها.

وإليك بعض هذه الصفات التي تثبتها الشيعة:

فمن هذه الصفات التي لا تقبل ولا يسوغ فيها التأويل صفة اليدين، فعن أبي جعفر قال: قال رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه، وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضاً،

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٦٣)، تفسير العياشي (١/٣٧٨).

(٢) الكافي للكليني (١/١٠٠)، التوحيد لابن بابويه (ص١٠٢).

وأضواً من الشمس الطالعة، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل، يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله" (١).

وفي (الكافي) وغيره: "عن محمد بن سالم، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن التي غرسها الله ربي بيده، فليتول علي بن أبي طالب وليتول وليه، وليعاد عدوه، وليسلم للأوصياء من بعده، فإنهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، إلى الله أشكو أمر أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتني، وأيم الله ليقتلن ابني لا أنا لهم الله شفاعتي" (٢).

فتأويل اليد بالقوة أو بالنعمة أمر غير سائغ، وخصوصاً في هذا النص المذكور؛ إذ إن الله قدرة واحدة لا حدود لها، ونعم لا تُعدّ ولا تحصى، فلا يصح تأويلها بأن المراد "بقدرتي" أو "بنعمتي" لعدم جواز انحصار قدرة الله ونعمه في عدد (٣).

ومع رد هذا التأويل غير السائغ، فإن جعل اليد بمعني القوة يؤدي إلى إبطال الخاصية التي اختص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها بعض مخلوقاته وفضلهم بها على غيرهم، وذلك لأننا إذا قلنا: بأن المقصود باليد القدرة، فإن إبليس أيضاً خلقه الله بقدرته، فلا فرق حينئذ بينه وبين آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا معنى لتخصيص خلق آدم بأنه كان بيد الله، وأيضاً الأئمة فإن الله خلقهم بيده كما تزعم الشيعة.

ولم يكتف القوم بإثبات اليدين، بل أثبتوا صفة الإصبع والقبضة، فقد جاء في (البحار) وغيره: "إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" وفي رواية "فإن

(١) الكافي للكليني (١٢٦/٢)، وانظر أيضاً: بحار الأنوار للمجلسي (١٥٩/٧).

(٢) الكافي للكليني (٢٠٩/١)، بحار الأنوار للمجلسي (١٣٧/٢٣).

(٣) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣٦٢/٦).

القلوب بين إصبعين من اصابع الله^(١)، ولا أدري بماذا تؤول عند القوم؟! وأثبتوا القبضة لله وأن الله يقبض، جاء في (الكافي): "عن إبراهيم عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن الله جل وعز لما أراد أن يخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمينه قبضة بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله ﷻ كلمته، فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ففلق الطين فلقطين، فذراً من الأرض ذروا ومن السماوات ذروا، فقال للذي بيمينه: منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله: منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال، ثم إن الطينتين خلطتا جميعاً..."^(٢)

لم يكتفوا عند ذلك، بل أثبتوا صفة الضحك، ففي (الكافي) و(الوسائل) عن أمير المؤمنين أنه قال: "يضحك الله إلى رجل في كتيبة يعرض لهم سبع أولص فحماهم أن يجوزوا"^(٣).

وعنه أيضاً أنه قال: "ثلاثة يضحك الله إليهم يوم القيامة: رجل يكون على فراشه مع زوجته وهو يحبها، فيتوضأ ويدخل المسجد فيصلي ويناجي ربه، ورجل أصابته جنابة فلم يصب ماء فقام إلى الثلج فكسره ثم دخل فيه واغتسل، ورجل لقي عدواً وهو مع أصحابه فجاءهم مقاتل فقاتل حتى قتل"^(٤).

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩/٧٠)، المحجة البيضاء للكشاني (٨٥/٥)، مرآة العقول للمجلسي (٣٩٤/١٠).

(٢) الكافي للكليني (٣٢٩/٢).

(٣) الكافي للكليني (٥٤/٥)، وسائل الشيعة للعالمي (١٤١/١٥).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٣٢/٧٥)، مستدرک الوسائل الميرزا النوري (٤٨٧/١)، الاختصاص للمفيد (ص١٨٨).

وفي " لئالى الأخبار " للتوسير كاني في " باب في أن أهل الجنة يسمعون صوته " ذكر حديثاً طويلاً وهذا نصه قال: " في أن أهل الجنة يسمعون صوته تعالى ويخاطبهم وينظرون إليه وهما ألد الأشياء عندهم قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث يذكر فيه اشتغال المؤمنين بنعم الجنة: فبينما هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا وخير الثواب ثوابنا، قد سمعنا الصوت واشتهينا النظر وهو أعظم ثوابنا وقد وعدته ولا تخلف الميعاد فيأمر الله الحجاب فيقوم سبعون ألف حاجب فيركبون على النوق والبرازين وعليهم الحلى والحلل فيسبرون في ظل العرش حتى ينتهوا إلى دار السلام وهي دار الله دار البهاء والنور والسرور والكرامة فيسمعون الصوت فيقولون: يا سيدنا سمعنا لذاذة منطلقك وأرنا وجهك فيتجلى لهم ﷺ، حتى ينظرون إلى وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَى المكنون من كل عين ناظر فلا يتم الكون حتى يخروا على وجوههم سجداً فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك يا عظيم قال فيقول: يا عبادي ارفعوا رؤسكم ليس هذا بدار عمل... فإذا رفعوا رفعوها وقد أشرقت وجوههم من نور وجهه سبعين ضعفاً ثم يقول: يا ملائكتي أطعموهم واسقوهم.. يا ملائكتي طيبوهم فيأتيهم ريح من تحت العرش يمسك أشد بياضاً من الثلج ويعبر وجوههم وجباههم وجنوبهم تسمى المثيرة فيستمكنون من النظر إلى وجهه فيقولون يا سيدنا حسبنا لذاذة منطلقك والنظر إلى وجهك لا نريد به بدلاً ولا نبتغي به حولاً فيقول الرب إني أعلم أنكم إلى أزواجكم مشتاقون وإن أزواجكم إليكم مشتاقات ارجعوا إلى أزواجكم قال: فيقولون: يا سيدنا اجعل لنا شرطاً قال فإن لكم كل جمعة زورة ما بين الجمعة سبعة آلاف سنة مما تعدون قال فينصرفون فيعطى كل رجل منهم رمانة خضر في كل رمانة سبعون حلة... حتى يبشروا أزواجهم وهن قيام على أبواب الجنان قال: فلما دنى منها نظرت إلى وجهه فأكرته من غير سوء، وقالت: حبيبي لقد خرجت من عندي وما أنت هكذا قال: فيقول: حبيبي تلومني أن أكون هكذا وقد نظرت إلى وجه ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فأشرق وجهي من نور وجهه، ثم يعرض عنها فينظر إليها نظرة فيقول: حبيبي لقد خرجت

من عندك وماكنت هكذا فنقول: حبيبي تلومني أن أكون هكذا، وقد نظرت إلى وجه الناظر إلى وجهه ربي فأشرق وجهي من وجه الناظر إلى وجه ربي سبعين ضعفاً، فنعانقه من باب الخيمة والرب يضحك إليهم" (١).

وهذا الحديث الطويل المحكي عند الشيعة أثبت صفات الله وهي:

١- صفة الكلام وذلك في قوله: "... إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا وخير الثواب ثوابنا، قد سمعنا الصوت واشتهينا النظر... " وفي قوله: " فيسمعون الصوت فيقولون: يا سيدنا سمعنا لذاذة منطقتك وأرنا وجهك فيتجلى لهم ﷺ، " وإثبات الكلام يلزم منه التشبيه والتجسيم.

٢- صفة الوجه وذلك في قوله: "... حتى ينظرون إلى وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَى المكنون من كل عين ناظر فلا يتم الكون حتى يخرجوا على وجوههم... " أليس في إثبات الوجه لله تشبيه وتجسيم.

٣- بل الشيعة في هذه الرواية تذهب لأبعد من هذا في قوله: "... فيتجلى لهم ﷺ... " فهل يقولون بالتشبيه بهذه اللفظة من هذه الرواية •

وجاء في (البحار): "عن علي بن أبي طالب أنه بعث إلى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من اليمن بذهبة في أديم مقروط - يعني: مدبوغ - بالقرظ لم تحصل من تراجمها، فقسمها رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بين خمسة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن بن بدر، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل، فوجد في ذلك ناس من أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وقالوا: نحن كنا أحق بهذا. فبلغه ذلك (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء

(١) لثالى الأخبار للتوسير كاني (٤/ ٤١٠-٤١١)، وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (١/ ٢١٥).

صباحاً" (١)

فهنا إثبات العلو وإن شئت فقل إثبات أن الله في السماء، فكيف تصنع الشيعة بهذه الرواية؟ فهل تثبتها وبأي معني تثبته؟!

فإن قالوا: هو في العلو للزم من ذلك الجسمية ولو قالوا هو داخل سماواته، فالجسمية في هذا المعني أوضح من سابقه. وإما أن يقولوا بقول أهل الحق: أنه في العلو بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً (٢).

هذه بعض الصفات التي يثبتها الشيعة لله التي لازمها التشبيه والتجسيم أو موهمة لهما.

الدليل العاشر:

على إثبات التجسيم والتشبيه عند الأوائل من الشيعة، وهو آخرها، وجود بقايا منه عند المتأخرين *

المتأمل في كتب الشيعة المتأخرين يجد أنها استوعبت خلاصة الاتجاهات الشيعية بكل ما فيها من غلو وتطرف، حتى إنك ترى النزعة السبئية بكل غلوها في علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) تطل علينا من خلال روايات الاثني عشرية، يدرك هذا من راجع مجرد عناوين أبواب الكافي والبحار (٣).

ومع هذا الاستيعاب تجد المدح والثناء من قبل المتأخرين للمتقدمين، لم يخص أحدا دون أحد، فلا فرق بين المعتدل منهم والغالي، فالمدائح تكال لقدمائهم.

يقول الدكتور ناصر القفاري: "نسبوا إليهم كل الفرق والدول والرجال

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٧٠/٩٣).

(٢) انظر: معارج القبول للحكمي (١/١٩٤).

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٣/٩٧٩).

المتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة" (١).

مع المدح لأسلافهم رغم اشتهاً بأسلافهم بالعقائد الباطلة، نجد بعض علماء الرافضة المعاصرين وكتّابهم يُدافعون عنهم، ويتكلمون في الذب عنهم.

فهذا المدعو عبدالحسين الموسوي (المتوفي سنة ١٣٧٧ هـ) الذي عُبد لغير الله ابتداءً (٢)، هذا الرجل يدافع عن هشام بن الحكم الرافضي المشبه دفاعاً شديداً وقام بتوثيقه، واعتبر نسبة التشبيه إليه من الطامات الكبرى.

وذكر أن من رماه بذلك، فإنما كان منه حسداً لآل البيت، الذين كان يُدافع عنهم هشام بن الحكم وطائفته!، بل مازال الموسوي يأتي بالعجائب، حتى قال بتبرئة غلاة الشيعة التي عُلِمَ عنهم في كتب الشيعة قبل كتب السنة بغلوهم. أمثال: زرارة بن أعين، وشيطان الطاق، وغيرهما من غلاة المشبهة، وذكر أن ما قيل فيهم من مقال التشبيه، إنما هو من قبيل البغي والإفك والعدوان (٣).

بل تجدهم يحكون مقالة الكفر عنهم ثم بعد ذلك يبررون هذا الكلام بأمر تعد من سخائف الردود، ثم بعد ذلك يقومون بتوثيقهم.

فهذا محمد بن رضا الحسيني المعاصر يحكي مقالة هشام بن الحكم في التشبيه والتجسيم ثم بعد ذلك يوثقه، ويقول: إن مقالته التي حكاها أهل الفرق والمقالات وغيرهم من أهل السنة لا تدل على أنه كان مشبهاً مجسماً، وأن أعداءه من أهل السنة وغيرهم قد وضعوا مذهباً وهمياً باسم الهاشمية، وذكروا فيه كل خرافة، وتشبيه،

(١) المصدر السابق (٣/٩٧٧).

(٢) قال ابن حزم: "اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله، كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب" والصحيح التحريم مطلقاً أنظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/٣٠٦).

(٣) انظر: مقالة التشبيه لجابر أمير (٣/١٧).

وكفر، كذبا وزورا وهو منه بريء من ذلك، ثم يطالب بدليل على هذا الادعاء، وأظنه حينما يطالب بالدليل فلعله لم يقرأ ما هو مسطور بين دفتي كتب المذهب من التشبيه والتجسيم، الذي أصبح حديث كتب الفرق، بل شهدت به كتبهم المعتمدة.

فقد ذكر النوبختي وهو شيعي المعتقد الطوائف الغلاة من الشيعة وذكر مقالاتهم في التشبيه، ومن هؤلاء الغلاة الذين ذكرهم النوبختي^(١) من يُدافع عنه من قبل المعاصرين الشيعة، بل وبعضهم يصححها بحجة أن لها معنى لا يفهمه العامة، كما فعل الشيعي المعاصر علي أكبر أيضا^(٢).

وعلى كل فهم ينكرون، ويؤولون ما هو أشهر من ذلك وأظهر^(٣)، وإن كان القول بالتشبيه عن المتقدمين مشهوراً ظاهراً!!!

وليتهم أنكروا أو أولوا القول بالتشبيه والتجسيم المحكي عن أوائلهم ووقفوا عند ذلك، بل كتب المعاصرين تعج بالتشبيه والتجسيم بنوعيه الذي هو في الحقيقة نتاج أوائلهم، أو بقايا ما كان عند أوائلهم وقدمائهم.

وقبل أن نذكر بعض هذه الصور نقف قليلا مع ما كتبه محمد بن رضا الحسيني

(١) فرق الشيعة للنوبختي (ص٢٣-٣١-٣٢).

(٢) انظر تعليقاته على كتاب الكافي للكليني (١/١٠٥).

(٣) كالقول بالتحريف القرآن فبعض المتأخرين ينكرون هذا كالشيخ الشيعي لطف الله الصافي في كتابه مع الخطيب في خطوطه العريضة (ص٤٨-٨٢) يخطوطه العريضة ينكر تحريف القرآن الكريم. انظر كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة ص٤٨-٨٢)، وكذلك إبراهيم الموسوي الزنجاني في كتابه «عقائد الأمة الاثني عشرية» حيث قال ما نصه: «ولقد اتفقت الإمامية الاثني عشرية بكلمة واحدة على أنه لا زيادة في القرآن، وجزموا بكلمة قاطعة أن الذي بين الدفتين هو القرآن المنزل، دون زيادة أو نقصان، واليوم أصبح هذا القول ضرورة من ضرورات الدين ثم يقول: وذكر سيدنا وأستاذنا في العلوم العقلية، آية الله السيد أبو القاسم الخوئي النجفي في تفسيره وأصوله، قوله: وأما دعوى تحريفه، فإننا نمنع وقوعه أولاً، ولم يقل به إلا بعض العامة، وتبعهم نفر من الخاصة الذين لا تحصيل لديهم» (ص١٨٦).

في مقال له بعنوان "مقولة" جسم لا كالأجسام " بين موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر أهل الكلام " وقد نشرتها مجلة تراثنا الشيعية ضمن العدد ٤٢، وقد اجتهد صاحبها فيها أيما اجتهاد في توجيه مقولة "جسم لا كالأجسام" التي توصل إلى معناها في آخر بحثه وأن مراده أي "هشام بن الحكم" بهذه الكلمة معني شيء موجود، أي أن الله موجود، وقد تجاوزت صفحات هذا البحث فوق المائة صفحة، وليته أكمل بحثه في ذكر بعض الألفاظ التي هي كالشمس في ذكر التجسيم، وخصوصا إذا علم أن هنالك رواية محكمة في كتبهم وفيها: "عن عبد الله بن المغيرة، عن محمد بن زياد، قال: سمعت يونس بن ظبيان، يقول: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول في الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قولاً عظيماً، إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً يزعم: أن الله سبحانه: "جسم لا كالأجسام لأن الأشياء شيئات: جسم، وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجب أن يكون بمعنى الفاعل. فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ويحه! أما علم أن الجسم محدود، متناه، محتمل للزيادة والنقصان، وما احتمل ذلك كان مخلوقاً؟! فلو كان الله تعالى جسماً، لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق"^(١) فلو كانت مصيبة هشام بن الحكم مجرد قول "جسم كالأجسام" لما احتاج السائل أن يقول: "إن هشام بن الحكم يقول في الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قولاً عظيماً، إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً" فالراوي يختصر مقولة هشام وقوله العظيم في الله، بل إن شيخهم المفيد حينما ذكر ما سبق عن هشام جعل يقارن بين هشام وبين نفي التشبيه، ثم يقول الإمام: "يا ويحه" دليل على وقوع أمر عظيم عند هشام لذلك وبخه بقوله "يا ويحه" فهي كلمة توبيخ ولو كان الأمر الذي وقع فيه هشام مجرد لفظ لقال الإمام أخطأ لفظه وصدق معناه.

بل إنك تجد في كتبهم روايات تحذير من قول الهشامين، فقد جاء في (بحار

(١) الحكايات للمفيد (ص ٧٧-٨٠).

الانوار): "عن محمد بن الفرخ الرخجي قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة. فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ: دع عنك حيرة الحيران واستعد بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان" (١).

وجاء أيضا في (البحار): "عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله عَجَّلَ جسم صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس، ولا يدركه الحواس، ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد" (٢).

وعلى كل فإن هشاما شخصية اضطراب فيها المحققون من الشيعة الاثني عشرية، فتارة يقولون بتأويل كلامه، وتارة بأنه تراجع، وتارة بأن خصومه يكذبون عليه. كل ذلك يجعل الباحث يقف حائرا متأملا!!

"وإن فسر هذا التناقض [بعد هذا التحير] فإنما يُفسر على أنه وأضرابه من المعاصرين قد اتخذوا هشام بن الحكم وطائفته المشبهة وغيرهم من غلاة المشبهة أئمة لهم في الرفض والتشبيه، ولذا يُصححون مقالاتهم، ويُدافعون عنهم حتى ولو أدى ذلك إلى الكذب والتناقض، ويطعنون على كل من أتهم هشاما بالتشبيه، ولو كان من مصنفي كتبهم المعتمدة لديهم كالكافي؛ لأن غلاة الشيعة عند هؤلاء المعاصرين - كما قرر شيخهم محسن العاملي - ثقات صحيحو العقيدة وكلهم إمامية واثنا عشرية! رغم تبرؤ الأئمة منهم ومن مقالاتهم التشبيهية الكفرية" (٣).

(١) بحار الانوار للمجلسي (٣/ ٢٨٨).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٣٠١).

(٣) مقالة التشبيه لجابر امير (٣/ ٢١-٢٢).

يأتي الروافض المعاصرون بعد هذا بتصحيح وتأويل مقالات غلاة المشبهة من فرق الشيعة، بل ينطلقون ويحتهدون في لم فروع الشيعة التي خرجت عن الأصل - كما يزعمون -^(١).

فهذا رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان الإمام موسى الصدر^(٢) الإيراني اللبناني، له علاقة حميمة مع النصيري^(٣) الهالك حافظ الأسد، لدرجة أن حافظ الأسد

(١) البعث الشيعي في سورية (ص ٢٩).

(٢) موسى الصدر عالم شيعي، ولد في النجف الاشرف، وقدم لبنان عام (١٩٥٩هـ)، من أهم الزعامات الدينية الشيعية في لبنان، وإليه يعود الفضل في تحشيد الشيعة للمطالبة بحقوقهم السياسية وأدخلهم في معترك الصراع على السلطة، انظر: البعث الشيعي في سورية.

(٣) نسبة للنصيرية والنصيرية: هي من غلاة الطائفة الشيعة الجعفرية الاثني عشرية، اتباع محمد بن نصير النميري أحد نواب الإمام المهدي في فترة الغيبة الصغرى، ثم خلعه وعينوا مكانه رجلا آخر، فأنشق عن فرقة الاثني عشرية، وهرب إلى الشام وأسس فرقة النصيرية مستمدا أصولها من السبئية والخطابية والمجوسية والإمامية وغيرهم من الطوائف المنحرفة، وهذه الفرقة كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية أنهم أكفر من اليهود والنصارى وقد سئل عنه فقال: "إن هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنة أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم من ضرر الكفار المحاربيين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاتة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يدينون بملة من الملل، سوى عبادة الملذات واستباحة الشهوات" وقال عنهم الغزالي: "إن النصيريين مرتدون في الدم والمال والنكاح والذبيحة والواجب قتالهم، حتى يسلمون، أو يهلكوا"

عرف النصيريون بعدة أسماء منها (العلويون) نسبة إلى علي بن أبي طالب وهو اسم اطلق عليهم من قبل الفرنسيين، وقد عرفوا أيضا بـ (الخصيبيية) نسبة إلى الحسين بن حمدان الخصيبي، . تعد فكرة فصل الدين عن المجتمع أساسية عند العلويين حيث أنه لا توجد مرجعية دينية عند العلويين وهناك رفض عام لتدخل رجال الدين في المجتمع ويعد العلويين من أكثر الطوائف انفتاحا مع انتشار الفكر العلماني واليساري. من أشهر العلويين المعاصرين: الشيخ صالح العلي والرئيس السوري الراحل حافظ الأسد وابنه بشار الأسد بالإضافة إلى عدد من الكتاب والمفكرين كالشاعر أدونيس والشاعر بدوي الجبل

حينما طلب منه أن يصدر له فتوى تثبت بأن العلويين والنصيريين من الفرق الإسلامية، ما لبث الصدر إلا أن استجاب لذلك، فأصدر فتوى أثبت فيها أن طائفة العلويين من الفرق الإسلامية الشيعية، وكانت هذه الفتوى في سنة ١٩٧٣ م.^(١)

ومهما يكن في نظري من قبول أو رفض لهذه الفتوى من البيت الشيعي، فإن هذا يعتبر أكبر دليل على غض الطرف من زعماء الشيعة الدينيين عن الشركات الواقعة عندهم وعند غيرهم من الغلاة.

وفي مطلع السبعينيات لجأ إلى سورية عدد من علماء الدين الشيعة؛ هرباً من بطش النظام العراقي إلى دمشق، وكان من بين هؤلاء الشيخ حسن مهدي الشيرازي^(٢)، الذي عانى في السجون العراقية إلى أن تمكن من الخروج إلى سورية، وأسس حوزة علمية عرفت باسم "الحوزة الزينية" وهي أول حوزة للتعليم الديني

= والشاعر سليمان العيسى والشاعر والمسرحي ممدوح عدوان وسعد الله ونوس وغيرهم، انظر: الفتاوى لابن تيمية (١٤٩ / ٣٥)، الأديان والفرق والمذاهب لشيبة الحمد (ص٦٦)، فرق معاصرة للعواجي (١ / ٣٢١).

(١) وذلك عندما أراد الأسد أن يضع مسودة الدستور الجديد للدولة السورية النصيرية العلوية، وكان من شروط الدستور "أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً" وقد قام الأسد بحذف هذه المادة من الدستور ابتداءً، مما أشعل هذا الفعل موجة من الاحتجاجات التي عمت سوريا، فاضطر الأسد لتراجع عن هذه الخطوة، وعن هذا التراجع واجه الأسد مشكلة وهي "أن النصيريين لا يعتبرون مسلمين لا عند السنة ولا الشيعة" وبالتالي فالأسد لا تنطبق عليه شروط الدستور فعليه بالتنحي حينئذ! فما كان من الأسد إلا أن يلجأ إلى صاحبة الزعيم الشيعي الإمام موسى الصدر، فأصدر فتوى في "تموز/ يوليو ١٩٧٣" تقول أن العلويين مسلمون، وهم من الشيعة، انظر: البعث الشيعي في سورية (ص٣٣).

(٢) حسن مهدي الشيرازي عالم دين عراقي من أصل إيراني، وهو الأخ الأصغر للمرجع الشيعي آية الله العظمي محمد الشيرازي، أخذ فكرة أخيه في استعادة الفرع الشيعي "النصيري" إلى مذهب الأم وهو الإثني عشري، ولعب دوراً رئيسياً في تأسيس تيار للتشيع في أوساط الطائفة النصيرية في سورية بتوجيه من أخيه المرجع، اغتيل في لبنان سنة (١٩٨١هـ)، انظر: البعث الشيعي (ص٣٤).

العالي للشيعة في سورية •

وهذا الذي سبق ذكره، كان داخلا تحت مناداة إرجاع الفرع "النصيري" للأصل "الاثني عشرية" وكان ممن ينادي بذلك غير موسى الصدر، الشيخ سليمان الأحمد^(١)، والشيخ عبدالرحمن الخيّر^(٢).

ولا نريد أن نطيل كثيرا في مناداة متأخري الشيعة الاثني عشرية برد النصيرية الفرعية إلى أصلها الاثني عشرية الجعفرية •

فهذا الأمر فيه إثبات صريح بما في المذهب الشيعي من خلل واضح في التعبد والتدين، وإلا كيف ينادى برد فرع أجمع المسلمون شيعة قبل سنة على تكفيرهم؟ بل قد حمل بين طياته من الكفر الذي لا يقبله عاقل!^(٣)

والمرء يعجب من مناداة الشيعة من إرجاع الفرع إلى الأصل، وهذا الفرع يعتقد أن عليا إليه، بل يعتقدون "أنهم أهل التوحيد وأنهم المترجمون الصادقون عن الفكر الشيعي القويم، ويعدون الشيعة من الظاهرية ومن أنصار التعاليم الدينية السطحية الذين لم يتغلغلوا في أعماق الوحدانية الحقة، ويحكمون عليهم بالتقصير ويسمونهم بالمقصرة، لأنهم تخلفوا عن غيرهم في عبادة علي، وقصروا فيها عن القدر المطلوب"^(٤).

(١) سليمان الاحمد، لغوي وعالم دين علوي من كبار شيوخ الطائفة، درس الفقه على يد الداعية الشيعي الكبير عبدالحسين شرف الدين الموسوي "صاحب الكتاب التبشيري المراجعات" كان غضوا في مجمع اللغة العربية في دمشق، وهو والد الشاعر السوري المعروف "بدوي الجبل"، انظر: البعث الشيعي في سورية (ص ٤٩).

(٢) الشيخ عبدالرحمن الخيّر، كان من كبار شيوخ الطائفة العلوية، يعتبر من أبرز العلويين الذين جهدوا لإعادة الفرع إلى أصله الشيعي الاثني عشري، انظر البعث الشيعي في سورية (ص ٥٠).

(٣) انظر: الحركات الباطنية للخطيب (ص ٣١٩ وما بعده).

(٤) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد (ص ٢٤٩).

بهذا نعلم أن المذهب الرافضي قد تطور حتى صار أصحابه غلاة يقولون بما يقوله غلاة المشبهة مؤلّهي البشر^(١)، فهو مذهب متطور حتى في الكفر.

يقول د. ناصر القفاري: "إذن التشيع الحالي قد استوعب خلاصة الاتجاهات الشيعية بكل ما فيها من غلو وتطرف، حتى رأينا النزعة السبئية بكل غلوها في علي تطل علينا من خلال روايات الاثني عشرية، يدرك هذا من راجع مجرد عناوين أبواب الكافي والبحار.

كما أن الاتجاه الباطني واضح في كتب الاثني عشرية من خلال تأويلهم لآيات القرآن وأركان الإسلام وما قالوه في التقية والكتمان.. فأصبحت الاثنا عشرية هي المصب الأخير لكل الروافد الشيعية بكل ما فيها من شطحات، ويجد كل صاحب غلو وتطرف بغيته وما يؤيد مذهبه في كتب هذه الطائفة.

ولقد صدر إقرار خطير، وبيان مثير من أكبر شيخ من شيوخهم المعاصرين في علم الرجال يتضمن الاعتراف بتغير المذهب وتطوره، وأن ما عليه المذهب الاثنا عشري في العصر الحاضر يعتبر غلوًا وتطرفًا عند قدماء الشيعة، وأن شيعة العصر الحاضر يعتقدون عقائد يرونها من ضرورات المذهب وأركانه، وهي عند قدماء الشيعة من الغلو والكفر"^(٢).

وما قاله الدكتور الغفاري لا غرابة فيه، فإن البدع تتجارى بأصحابها، ولا أدل على ذلك من قول شيخهم المعاصر محمد حسين آل كاشف حينما ذكر بعض مقالات الكفر، كالتناسخ، والوجود، ثم قال بانعدامها من الواقع فهو يُكذّب الواقع المشهود. قال آل كاشف: "... والمذاهب الملحدة التي لا أحسب أن في رقعة الأرض منهم اليوم

(١) انظر: مقالة التشبيه لجابر امير (٣/ ٢٤).

(٢) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٣/ ٩٨١).

نافخ ضرمة^(١)...^(٢).

وما ذكره آل كاشف موجود من الحلول، والتناسخ، والكفر الصراح الذي ينادي به طوائف الباطنية من إسماعيلية، ودروز، ووقرامطة، ونصيرة، لكن يُعْتَذَرُ لآل كاشف أن طائفته تصحح هذه العقائد الباطنية، "والعرق دساس" كما قيل.

أقول: تشبيه الخالق بالمخلوق، عقيدة كما مر معنا زرعها قدماء الشيعة، وظهرت على ألسن متأخريهم وهي قاعدة ربانية في المنافقين وأهل الباطل ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾^(٣).

يقول علامتهم الفقيه المولى أحمد بن محمد مهدي النراقي^(٤) (المتوفى سنة ١٢٤٥هـ): "... والمعروف من التعاليم السماوية أنها تعطي للجانب العملي أهمية خاصة مع الحفاظ على تقوية الجانب الروحي في آن واحد، وبهما يرتفع الانسان من حضيض النفس البهيمية إلى ذروة المجد والمراتب الكمالية، حتى يعد بمنزلة الملائكة، بل بمنزلته تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما ورد في قوله عز من قال: (عبدني أطعني تكن مثلي، أو

(١) كناية عن العدم يقال: "الضرام بالكسر: اشتعال النار في الحلفاء ونحوها. والضرام أيضاً: دُقاق الحطب الذي يُسرع اشتعال النار فيه. والضرممة: السعفة أو الشيحة في طرفها نارٌ. يقال: ما بها نافخ صرمة، أي أحدٌ." انظر: الصحاح في اللغة للجوهري (١/٤٠٩).

(٢) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين ال كاشف (ص١٧٧).

(٣) سورة محمد الآية (٣٠).

(٤) هو المولى أحمد بن المولى مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، سنة (١١٨٥هـ)، رحل إلى العراق سنة (١٢٠٥هـ)، لغرض الزيارة ومواصلة الدراسة والتلمذ على فقهاء الطائفة وزعماء الأمة، فحضر في النجف مجلس درس السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، من مصنفاته "مناهج الأحكام في اصول الفقه، مفتاح الأحكام في أصول الفقه، أساس الأحكام في تنقيح عمدة مسائل الأصول بالأحكام" أنظر: كتاب معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحhal (١٦٢/٢).

مثلي" (١).

ولا أدري ما هو الارتقاء الذي يكون العبد فيه مثل الله، إلا أن يكون " أنت أنت " كما قال أولهم لعلي: "أنت أنت أنت الله". وأي تشبيه أعلى من هذا التشبيه الذي ينادي به هذا الشيعي الاثني عشري؟ وكلامه هذا هو حقيقة وحدة الوجود، التي لا يتوصل إليها إلا بإعطاء العبد الضعيف ما للخالق من صفات، ويعطي الخالق ما للعبد من صفات بعدها تأتي حقيقة وهي إلزامية لا تخلف عنها وهي وحدة الوجود التي جمعها ابن عربي (٢) في بيته الذي قال فيه (٣):

الرب عبد والعبد رب ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

ويقول أحمد الأحسائي (٤): "وفي الزيارة الجامعة الصغيرة يسبح الله بأسمائه جميع خلقه والسلام على أرواحكم وأجسادكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقولنا سابقا أعلاها في الإمكان الراجح إن ما وراء ذلك من الكرم الذاتي يتعالى عن البيان والنسبة إلى المكان وما دون ما في الإمكان الراجح من الكرم فهو صلوات الله عليهم

(١) مستند الشيعة أحمد بن محمد مهدي النراقي مقدمة التحقيق (٦/١).

(٢) هو ابو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي المعروف بمحي الدين ابن عربي، ولد في مرسية بالأندلس ثم انتقل إلى إشبيلية قال فيه أبو محمد بن عبدالسلام السلمي: "شيعي سوء كذاب" صنف في التصوف الفلسفي، فكان منه أشياء منكورة توفي سنة (٦٣٨هـ)، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٦١)، ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٦٥٩)، والإعلام للزركلي (٤/٥١).

(٣) أنظر: الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٤٢).

(٤) أحمد بن زين الدين الأحسائي، متوفى سنة ١٢٤١هـ، يعد من كبار علمائهم المتأخرين. قال عنه الخونساري: «ترجمان الحكماء المتأهلين، ولسان العرفاء والمتكلمين، غرة الدهر، وفليسوف العصر... لم يعد في هذه الأواخر مثله في المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم، وجودة السليقة وحسن الطريقة... الخ» روضات الجنات (١/٨٨-٨٩) والتشيع لإحسان إلهي ظهير (ص٣٠٧-٣٠٨).

وأصوله وإلى ما لو حنا إليه في هذه الاشارات الإشارة بقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أنا فرع من فروع الربوبية)... " (١).

فعلي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عند نفر من الشيعة إله... أو ابن الإله، لأن الفرع له حكم الأصل...

وهذا القول أيضا صورة من صور التشبيه الذي أصبح ركيزة من ركائز المذهب الشيعي المعاصر، فما المراد بفرع الربوبية إلا حقيقة وحدة الوجود الذي سعي لها مؤسسهم ابن سبأ، وهم على آثاره مقتدون.

وهذا الخميني (١) علامة الدنيا في زمانه، بل هو المجدد للمذهب الاثني عشري في هذا الزمان - كما يزعمون - . يقول: "وبما علمناك من البيان وأتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى الموحدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين: كنت مع الأنبياء باطنا ومع رسول الله ظاهرا، فإنه صلوات الله عليه صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة والولاية المطلقة الكلية باطن الخلافة... فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت ومع كل

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة لأحمد الاحسائي (١/ ٧٠).

(٢) السيد روح الله الموسوي الخميني ولد في العشرين من جمادى الثانية سنة (١٣٢٠هـ) بمدينة خمين في إيران، أتقن القراءة والكتابة في وقت قصير، ثم تعلم الأدب الفارسي في خمين، ثم سافر إلى مدينة إصفهان لإكمال دراسته، ثم ذهب إلى مدينة أراك لاشتغال الدراسة الحوزوية فيها بزعامته الشيخ عبد الكريم الخائري اليزدي، وبعد مجيء الشيخ الخائري إلى مدينة قم المقدسة بأربعة أشهر، جاء إليها الإمام الخميني، وسكن في مدرسة دار الشفاء، واصل دراسته فيها، وبعد فترة وجيزة نال درجة الاجتهاد، وأصبح من العلماء البارزين، ومن مدرّسي الحوزة العلمية المعروفين، من تأليفه كـ "مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر، مختصر في شرح دعاء السحر، الحكومة الإسلامية، الأربعون حديثاً وغيرها" توفي في الثامن والعشرين من شوال (١٤٠٩هـ)، ودفن بجوار مقبرة جنة الزهراء جنوب طهران، قريبا من مقبرة الشهداء، وذلك حسب وصيته، وصار مرقد مزارا للعارفين الثائرين والسائرين على خطه ومنهجه. انظر: الموسوعة العربية (١٠ / ١٦٥)، روح الله الخميني الجهاد الأكبر (ص ٣٩).

الأشياء معية قيومية ظلّية إلهية، ظل المعية القيومية الحقّة الإلهية...^(١)
 وعندما علق الخميني على (فصوص الحكم لابن عربي) زعم أن: "الله له أحدية
 جمع الكثرة، فهو تعالى شأنه على صورته وصورة الإنسان مثاله تعالى"^(٢).
 وكذلك عند شرح قول ابن عربي قال: "وكون الإنسان مخلوقاً على صورته تعالى
 لأن الهيبة قد يكون من الصفات الفعلية" فقال الخميني: "الهيبة ظهور الجلال الإلهي
 في الحضرة

الإنسانية.. والأنس ظهور الجمال الإلهي في النشأة الإنسانية"^(٣).
 ويقول في أربعين: "إن الله خلق آدم على صورته" ومعناه أن الإنسان هو المثل
 الأعلى للحق سبحانه..."^(٤)

بل زعم الخميني أن الله على صورة امرأة فقال: "لم تكن الزهراء امرأة عادية، بل
 كانت امرأة روحانية، امرأة ملكوتية، إنساناً بكل ما للإنسان من معنى، إنَّها موجود
 ملكوتي ظهر في عالمنا على صورة إنسان، بل موجود إلهي جبوتي ظهر بصورة
 امرأة... لقد تجسدت كل الهويات الكمالية التي يمكن تصورها في الإنسان في هذه
 المرأة، غداً تحل ذكرى ميلاد امرأة تحوي جميع خصائص الأنبياء وخصوصياتهم.
 امرأة لو كانت رجلاً لكانت نبياً، ولكانت في مقام رسول الله صلى الله عليه
 وآله، إنها تحمل وتجمع جميع المعنويات والتجليات الملكوتية والإلهية والجبوتية

(١) مصابح الهداية إلى الخلافة والولاية للخميني (ص ٨٤).

(٢) تعليقات على فصول الحكم للخميني (ص ١٥٩).

(٣) تعليقات على فصوص الحكم للخميني (ص ٨٧) وهو موجود على هذا الرابط

<http://www.nasrallah.net/arabic/khomeini/books/book022.htm>

(٤) الأربعون حديثاً للخميني (ص ٥٧٣).

والملكية والناسوتية. بصورة امرأة" (١).

ثم يقول الخميني بعد هذه الترهات والشركيات التي لا يقولها عاقل، كيف وهي صادرة من رجل عصمه الله من الزلل في زعمهم؟ يقول: "... إن قبر فاطمة غير معروف وليس في النص علاقة بموقف أبي بكر منها، ولعلها حكمة من الله حتى لا يعبد قبرها من وصفوها بأنها إله ظهر بصورة امرأة" (٢)

والكلام المحكي سابقا هو محكي عن رجل محسوب في عداد العلماء عند الشيعة، فإذا كانت هذه حال علمائهم فكيف بغيرهم من العامة؟؟

هذه بعض أقوال الخميني مجدد المذهب الشيعي في هذا الزمان وقد ظهر التشبيه واضحا في أقواله حتى إن الشخص لو أراد أن يحملها على محمل حسن لما وجد لذلك سبيلا.

وهذا شيخهم الخوئي يحكي عن الإمام الصادق، أنه قال: لنا مع الله حالات: نحن فيها هو، وهو نحن، إلا أنه هو هو، ونحن نحن. (٣)

ويقول شيخ المتألهين الشيخ أحمد بن زين الدين الأوحى الأحسائي يقول في كتابه العرشية: "والمصنف" أي صاحب العرشية وهو صدر المتألهين "حكم بأنه تعالى خلق الإنسان على صورته تعالى، قال في شرح (الكافي) في شرح حديث العقل: (والإنسان لكونه مخلوقا على مثال الله تعالى ذاتا وصفة وفعلا، ...) فتدبر هذا التشبيه الذي هو بيان التوحيد عنده، ولا ينافي التنزيه..." (٤)

(١) طهارة آل محمد (ع) لعلي عاشور (ص ٧١)، وأنظر: وهذا موجود في الرابط الشيعي على الانترنت:

<http://www.nasrallah.net/arabic/khomeini/books/book022.htm>

(٢) منزلة المرأة في الاسلام للخميني، بواسطة احاديث الشيعة لدمشقية (ص ١٢١).

(٣) مصباح الهداية (ص ١١٤).

(٤) العرشية للأحسائي (٣/ ٣٧).

وهذا التجسيم للذات الإلهية نجده بصورة أكثر وضوحا عند العالم الشيعي الاثني عشري التستري: حينما تكلم عن بيت الله الحقيقي!!! حيث قال: "... لا يخفى أن الله جَلَّ وَعَلَا يجل عن المكان والحول والمسكن والسكنى واتصاف بعض الأمكنة بكونه بيت الله إنما هو لشرفه خاصة من حيث جعله محل عبادة الله أو كثرة العبادة أو لأمر بالتوجه إليه حين العبادة أو كونه محاذيا لمحل العبادة أو لكونه صعب المنازل فيخلص فيه القصد إلى الله كما اجتمع ذلك في مكة المعظمة وبعض ذلك في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهذه كلها بيت الله الظاهري وإنما حقيقة البيت لله معنى هو ما في الحديث القدسي إذ قال جَلَّ وَعَلَا لا يسعني أرضي ولا يسعني سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود يا داود فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال إنك تجل عن المكان والمسكن فأوحى الله إليه يا داود فرغ لي قلبك فكل قلب لم يكن فيه سوى محبة الله فهو بيت الله حقا فقلب المؤمن الكامل بيت الله حقيقة لأنه خال عن التعلق بغيره فليس فيه فكر ولا ذكر ولا هم إلا الله وقد ينتهي الأمر إلى إنه لا يبصر إلا الله ولا يسمع إلا الله فهذا أحد معاني قوله تعالى في الحديث القدسي حتى أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به... لم يبق فيه علاقة لغير الله حتى العلاقة التي لا تنافي العلاقة مع الله وصار خاليا عن غير الله وفارغا عن جميع ما سوى الله وصار بيت الله الحقيقي التحقيقي الذي ليس فيه إلا الله فله على الناس حج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا ومن هذا يظهر لك الحديث من زار الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في كربلاء كان كمن زار الله في عرشه...." (١).

وكلام التستري يحاكي التشبيه الذي ورثه المتأخرون عن المتقدمين ويظهر جليا في قوله: "... وصار بيت الله الحقيقي التحقيقي الذي ليس فيه إلا الله فله على الناس حج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا...".

(١) شجرة طوبى لمحمد مهدي الحائري (١/١٥).

وهذا صدر المتألهين المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي^(١) يطلق على الله أنه جسم، فيعقب على كلامه الخوئي قائلاً: "والعجب من صدر المتألهين حيث ذهب إلى هذا القول في شرحه على (الكافي) وقال "ما ملخصه: إنه لا مانع من التزام أنه سبحانه جسم إلهي فإن للجسم أقساماً... وليت شعري أن ما فيه هذه الأبعاد وكان عمقه غير طوله وهما غير عرضه كيف لا يشتمل على مادة ولا يكون متركبا حتى يكون هو الواجب سبحانه؟! نعم عرفت أن الالتزام بهذه العقيدة الباطلة غير مستتب لشيء من الكفر والنجاسة كيف وأكثر المسلمين - لقصور باعهم - يعتقدون إن الله سبحانه جسم جالس على عرشه ومن ثمة يتوجهون نحوه توجه جسم إلى جسم مثله لا على نحو التوجه القلبي"^(٢).

فعلى كل فإنه من المفارقات في المذهب الشيعي، "وأغلب مذهب الشيعة مفارقات" أن ما كان معدوداً من الغلو عند الشيعة سابقاً أصبح اليوم من عقائدها التي تنافح وتكافح من أجلها، فالغلو في حق النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والأئمة صار اليوم جزء من عقائد الشيعة ومن ضروريات مذهبهم، كما صرح بذلك بعض علمائهم ومنهم المامقاني حيث قال: "إن ما كان به الغلاة الأقدمون غلاة، أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من ضروريات المذهب"^(٣).

يقول الدكتور كامل مصطفى الشيبلي في عرضه لمذهب الإمامية المعاصر، واستيعابه لما كان عليه فرق الشيعة الغلاة، حيث يقول: "... ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث أن

(١) الحكيم المعروف صدر المتألهين المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي صاحب (الاسفار) ولد سنة (٩٧٩هـ) والمتوفى سنة (١٠٥٠هـ)، من مؤلفاته "كتاب العقل والتوحيد والحجة، مفاتيح الغيب"، انظر: موسوعة الامام الصادق (١١/٢٦٨).

(٢) كتاب الطهارة السيد الخوئي (٢/٧٨).

(٣) انظر تنقيح المقال (١/٢٠٤-٢٠٨).

دخل كله في التشيع الاثني عشري ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص.

والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار بن ياسر إلى حجر بن عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان ابن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت اثنا عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنوفها^(١) وما هذا الاستيعاب إلا نتاج لذلك الموروث الهائل من الغلو الذي بدأ بتأليه علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وهو مستمر ولا نقول: إنه ينتهي بأمر معين فإن البدع ليس لها نهاية •

إذا تقرر هذا فما هو موجود في كتب المتأخرين من تشبيه الخالق بال مخلوق هو نتاج لما كان عليه الأقدمون، بل الحلول في نظري الذي ينادي به بعض الشيعة المتأخرين، حقيقته تشبيه المخلوق بالخالق، فهو النزول بالإله حتى يصير إنساناً.

ف"التجسيم مبدأً مشتركاً بين جميع فرق الغلاة، والعلة في اجتماعهم عليه هو أنهم ركزوا اهتمامهم في الارتفاع بالإنسان مرة حتى يصير إلهاً، والنزول بالإله حتى يصير إنساناً، فعقيدتهم في جدلهم الصاعد والنازل تعتمد على إله وإنسان وكلها تدور حول الارتفاع بهذا الإنسان، فحاجتهم إلى التجسيم أشد من حاجتهم إلى التجريد، فهم لا يستطيعون تجريد المادة الحية السائرة الآكلة الشاربة، وإنما يستطيعون أن يجسموا المجرد لتقريب فكرة تأليه الإنسان"^(٢) ومن أجل ذلك "سرت شبهات اليهود والنصارى في أذهان الغلاة، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق"^(٣).

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبلي (ص ٢٣٥).

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبلي (ص ١٢٤).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٤).

ومنه نعرف وجه الخميني حينما يقول: "...ولعلها حكمة من الله حتى لا يعبد قبرها من وصفوها بأنها إله ظهر بصورة امرأة"^(١).

وهو ما عناه الشهرستاني بقوله "ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية، وقال: يجوز أن يظهر الباريء تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل في صورة أعرابي، وقد تمثل لمريم بشراً سويّاً"^(٢)، ثم يقول: "والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول، أي أنهم مشبهة، وذهبوا إليه نتيجة التشبيه"^(٣).

وخلاصة هذا الدليل: أن يقال: إن التشبيه ثبت عند الشيعة المتأخرين من جانبين:

الجانب الأول: النصوص الواضحة التي تنادي بإرجاع الفرع إلى الأصل، متمثلاً بإرجاع الطوائف التي حكم عليها من قبل علماء الشيعة بالكفر أو التضليل إلى البيت الشيعي •

أو بتصحيح عقائد الأوائل وتزكية ناقليها - كما مر - معنا في الشاء على بعض المشبهه •

الجانب الثاني: وجود نصوص واضحة مقروءة أو مسموعة^(٤) تحاكي التشبيه

(١) منزلة المرأة في الاسلام للخميني (ص ١٢١).

(٢) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٠٧-١٠٨).

(٣) المصدر السابق (١/١٧٣).

(٤) هنالك كم هائل من الصوتيات لبعض علماء الشيعة التي يذكرون فيها تشبيه الله بخلقة ومن هذه الصوتيات:

١ - تسجيل للعلامة الإثني عشري المعروف بـ (الفالي) يقول فيه:

١. الله لمن يخيظ ترى يخيظ..!

٢. الله له بيتين من الشعر قالهما في فضل علي بن أبي طالب..!

حيث يقول ما نصه: "واذا بجبريل نزل بمنديل من السماء، لما فتحوا هذا القماش واذا به ثوب من استبرق
⇐ =

والتجسيم الموجود عند أسلافهم.

= اللجنة من سندس اللجنة ثوب اخضر يتلئى وقد ارتفعت من هذا الثوب ارتفعت رائحة غطت كل المدينة بالعطر، ثوب على قوام فاطمة الزهراء الله لمن (يخيط) ترى يخيط.... انتهى الشاهد من النص وتجذونه كاملا في التسجيل. الرابط:

<http://www.fnoor.com/media/fn536.ram>

<http://www.youtube.com/watch?v=KCKmu...C60BD&index=41>

النص الثاني: يقول الفالي: قائل هذين البيتين هو الله، الله له بيتين من الشعر قالهما في فضل علي بن أبي طالب، ماذا قال الله...؟ انتهى الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=70yiWhHFwmo>

٢- الخطيب الإثني عشري المعروف حسين ال فهيد الملقب بـ (أسد الولاية) يقول:

١. العرش نعال لأهل البيت تحت أقدامهم!

٢. " ويحذركم الله نفسه "، نفسه علي بن أبي طالب!

٣. " والسموات مطويات بيمينه " من المقصود بيمينه يمين من؟!!

١- العرش نعال لأهل البيت تحت أقدامهم!

النص: "العرش نعال لهم بعد موهم، وخلي الي يقول يقول، نحن هذه معتقداتنا ان العرش تحت اقدمهم! روعي لهم الفدا. أه

الرابط للاستماع كاملا: <http://www.fnoor.com/media/fn103.ram>

٢- " ويحذركم الله نفسه "، نفسه علي بن أبي طالب!

النص: "قال تعالى: "ويحذركم الله نفسه"، قال نفسه من؟، قال: هو علي بن ابي طالب... اهـ الرابط

للإستماع كاملا: <http://www.fnoor.com/media/fn146.ram>

٣- " والسموات مطويات بيمينه " من المقصود بيمينه يمين من؟!!

النص: "والسموات مطويات بيمينه، الذات ما لها يد، السلام على يد الله الباسطة، الإمام يقول: أنا والله يد الله أنا والله عين الله... ويقول في آية أخرى: يد الله فوق أيديهم. يعني أي يد تطلق في الوجود يد علي بن أبي طالب فوقها... انتهى

الرابط للإستماع كاملا: <http://www.fnoor.com/media/fn136.ram>

الأمر الثاني: ما كان من كتب أصحاب الفرق والمقالات:

مر معنا الدليل الأول الذي ذكرنا فيه ما يُثبت وقوع التشبيه والتجسيم عند قدماء الشيعة وأوائلهم، وكان هذا الدليل يقوم على ذكر ما في كتب الشيعة من التشبيه والتجسيم .

أما الدليل الثاني فهو: ما ذكره أصحاب المقالات والفرق عن قدماء الشيعة وأوائلهم من وقوع التشبيه والتجسيم في باب الأسماء والصفات عند القوم .

فأقول: الناظر في كتب الفرق والمقالات يجد بين عينيه من الدلائل والإثباتات التي تبين حال الأوائل من الشيعة في باب الأسماء والصفات. ولعل من أوائل هذه الكتب التي وضحت عقيدة قدماء الشيعة " كتاب الانتصار " لعبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي (المتوفي سنة ٢٩٨هـ)^(١) الذي رسم لنا عقيدة الأوائل من الشيعة وهذا الكتاب تكمن أهميته في هذا الجانب، أن صاحبه كان قريب عهد بمعتقد الروافض، وهو رد على ابن الراوندي^(٢) الملحد الذي نفتته المعتزلة بسبب ميله إلى الرفضة وإلى الغلاة وظهور إلحاده، وكان متأثراً بفكر هشام بن الحكم^(٣).

(١) أبو الحسين، عبدالرحيم بن محمد بن عثمان، شيخ المعتزلة البغدادية من نظراء الجبائي، وله مكانة عند المعتزلة. من آثاره الانتصار، والرد على من أثبت خير الواحد. انظر لسان الميزان لابن حجر (٤/٣٤٢)، وسير أعلام النبلاء الذهبي (١٤/٢٢٠)، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (١/٤٧٥)، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص٨٥).

(٢) وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين الراوندي، (توفي سنة ٢٩٨هـ) أو ابن الراوندي: فيلسوف مجاهر بالإلحاد من سكان بغداد، نسبتته إلى " راوند " من قرى أصبهان قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم وقال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) ووصف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه " الدماغ للقرآن " وقال ابن حجر العسقلاني: ابن الراوندي، الزنديق الشهير، كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد، ويقال كان غاية في الذكاء، قال أبو العباس بن القاضي الفقيه: كان ابن الراوندي لا يستقر على مذهب ولا نحلة، حتى صنف لليهود كتاب " النصره
⬅=

وسوف أذكر بعض النصوص من كلام ابن الخياط التي بها يثبت المقصود:

قال ابن الخياط: "... ما أثر في قلوب العامة والخاصة ولا نفرهم عن الرافضة إلا قبح قولها وخطأ مذهبها وفساد مقالاتها في ربها من تشبيهه بخلقه وتجويزه في حكمه ومخالفتهم سنن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..."^(١).

ثم يقول: "وأما جملة قول الرافضة فهو أن الله تَعَالَى ذو قدِّ وصورة وحاد يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل، وأن علمه محدث وأنه كان غير عالم وأن جميعهم يقول بالبداء وهو أن الله يخبر أنه يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفر منهم يسير..." ثم يقول: "...فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم وشيطان الطاق وعلي بن ميثم وهشام بن الحكم وعلي بن منصور والسكاك فقولهم ما حكيت عنهم..."

ثم ذكر جملة من عقائد الرافضة فقال: "هذا قول الرافضة بأسرها وجميع الأمة له منكر ومكذب... لأن الرافضة تقول وهي معتقدة: إن ربها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل وإنه كان غير عالم ثم علم وأنه يريد الشيء يبدو له فيريد غيره وهذه صفة غير الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا"^٥.

ويقول في عبارة أخرى: "فهل على وجه الأرض رافضي إلا وهو يقول "إن الله صورة، ويروي في ذلك الروايات ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلا من صحبت

= على المسلمين "لدرهم أعطيها من يهود فلما أخذ المال رام نقضها فأعطوه مائتي درهم حتى سكت، قال الذهبي في ترجمته: "الملحد عدو الدين له التصانيف في الخط على الملة، وكان يلزم الرافضة والملاحدة فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف أقوالهم، ثم إنه كاشف وناظر وأبرز الشبه والشكوك.. انظر البداية والنهاية (١١٢/١١) والملل والنحل للشهرستاني (١/٨١-٩٦) ولسان الميزان (١/٣٢٣)، الانتصار للخياط (ص٢٢)، السير للذهبي (١٤/٥٩-٦١) والإعلام للزركلي (١/٢٦٧).

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج الشيعة لعبد اللطيف عبدالقادر (ص٤٦٧).

(٢) الانتصار للخياط (ص٤).

المعتزلة فقال التوحيد، فنفتهُ الرافضة عنها"^(١).

وحينما تكلم عن مسألة تأثر هشام بن الحكم بالديصانية^(٢) قال: "المقروف بقول الديصانية شيخ الرافضة وعالمها هشام بن الحكم المعروف بصحبة شاكر بن الديصان الذي قصد إلى الإسلام فطعن فيه من أركانه فقصد التوحيد بالإفساد بقوله إن القديم جل ثناؤه جسم... وهذا قول هشام هو قول الرافضة وهو الإلحاد المجرد يعلم من أنصف أن واضعه إنما أراد إبطال الدين من أصله وإفساده على أهله"^(٣).

وفي تعليقه على كتاب الجاحظ "فضيلة المعتزلة" قال: "ولكن الجاحظ أراد بذكره للقول بالجسم والبداء... أن يخبر أن الرافضة قد اشتملت من العيوب في أصل الدين وفروعه على ما لم تشتمل عليه فرقة ممن ينتحل الإسلام" ثم يقول: "كيف يجوز للرافضة القول بأن الله ﷻ جسم لا يشبه الأجسام في معانيها ولا في أنفسها مع القول بأنه يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد وأنه ذو صورة وقدر وهيئة" ويرجع مرة أخرى ذاكرا كتاب الجاحظ والمراد من تأليفه: "والذي أراد الجاحظ الإخبار عن خيانة الرافضة على كثير من آل أبي طالب بما روت عنهم من التشبيه والقول بالصورة..."^(٤)

ثم يقول: "فقد بينا على أي وجه دل قولهم بالصورة والتشبيه على فساد الرفض، وهو أن الذين رويوا عن أئمتهم القول بالصورة والتشبيه هم الذين رويوا عنهم القول بالرفض وإكفار المهاجرين والأنصار" ثم يحكي خطأ علماء الرفض فيقول: "وأين خطأ من ذكرت من علماء المعتزلة من خطأ الرافضة والرافضة وصفت ربه بصفة

(١) المصدر السابق (ص ٦).

(٢) الديصانية: إحدى فرق الثنوية القائلين بالأصلين النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وتعتبر أصلاً للمانوية، وإنما اختلفت الفرقتان في كيفية اختلاط النور بالظلمة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥٠)، الفهرست لابن النديم (ص ٣٣٨-٣٣٩).

(٣) الانتصار للخياط (ص ٤٠).

(٤) المصدر السابق (ص ١٣٥).

الأجسام المحدثه، فزعمت أنه صورة وجوارح وآلات وأنه تبدو له البدوات؟ وهذا قولهم في رهبها" (١).

هذه بعض الجمل التي ذكرها ابن الخياط في كتابه الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد، وهذه النصوص لها قيمة علمية في إثبات التشبيه عند قدماء الشيعة وأوائلهم من وجوه:

الوجه الأول: أن ابن الخياط توفي في ٢٩٨ هـ وقيل ٣٠٠ هـ وفترة حياته كانت قريبة جدا من دخول الفكر الكلامي على الشيعة الاثني عشرية، وهي فترة كفيفة بتخمر وتغلغل المذهب الكلامي في المذهب الشيعي.

الوجه الثاني: مر معنا حال الشيعة في سنة (٢٥٥ هـ) حيث كثرت أسئلتهم لأئمتهم حول التجسيم والتشبيه وغرقوا في خلافهم في ذلك، فمن قائل: إنه صورة، ومن قائل: إنه جسم، وقد صوروا هذا الواقع لإمامهم، فحكم عليهم بأنهم بمعزل عن التوحيد.

وهي فترة إن لم يعيشها ابن الخياط بفكره، فهي فترة من المؤكد أنه قد سمع بأخبارها، لذلك تجده في كتابه السابق كثيرا ما يذكر ويقول: "وأما جملة قول الرافضة فهو أن الله ﷻ ذو قدر وصورة وحد يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل" و"هذا قول الرافضة بأسرها وجميع الأمة له منكر ومكذب" و"لأن الرافضة تقول وهي معتقدة: إن رهبها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل وإنه كان غير عالم ثم علم" و"هذا قول هشام هو قول الرافضة وهو الإلحاد المجرد يعلم من أنصف أن واضعه إنما أراد إبطال الدين من أصله وإفساده على أهله".

وهذا الكلام السابق من ابن الخياط عام، ولم يستثن إلا قليلا منهم بقوله " هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفر منهم يسير..."، وهذا الكلام - كما سبق - ذكره صادر

(١) المصدر السابق (ص ١٤٥-١٤٦).

من إنسان قريب جدا من هذه الفترة التي كان فيها دخول علم الكلام على المذهب الشيعي، زد على ذلك أن المتكلم به معترلي المذهب، ومذهب الاعتزال له قول مشهور في حكم مرتكب الكبيرة^(١)، فلو كذب عليهم في ذلك لُصِب عليه مقت المذهب.

الوجه الثالث: أن كتاب الانتصار لابن الخياط كتاب رُد فيه على ابن الراوندي، والمعلوم من كتب الردود أنها في الغالب تكون دقيقة فيما تقوله وتنسبه، وخصوصا إذا كان هذا الأمر متعلقا بطائفة لا أقول: إنها تعتبر شطر الفرق في ذلك الوقت، لكن ليست بالطائفة القليلة.

الوجه الرابع: أن الشيعة الآن في أغلب أفكارها واعتقاداتها تميل إلى المعتزلة، وهذا ما سوف نثبته ونبينه - إن شاء الله - في الفصل الثاني، فلو كانت أفكار قدماء الشيعة هي نفس أفكار ابن الخياط المعتزلي، لما ذمهم في باب الأسماء والصفات، وخصوصا إذا علمت أن كسب شريحة من هؤلاء مكسب للمذهب الاعتزالي في ذلك الوقت.

الوجه الخامس: أن الإيجي ذكر في كتاب "المواقف" أن قدماء المتكلمين يقولون: إن ذات الله ماثلة لسائر الذوات حيث قال: "وقال قدماء المتكلمين ذاته تعالى ماثلة لسائر الذوات وإنما تمتاز عن سائر الذوات بأحوال أربعة الوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة"^(٢) وهذا الأمر يجعلنا نقول: إن أوائل الشيعة كانوا مشبهة، لأنهم من المتكلمين الأوائل، ولو بُحث عن هذه المسألة عند علماء الكلام في رسالة علمية، لكانت أدق حكما.

هذه بعض أوجه الدلالة من كلام ابن الخياط على أن أوائل الشيعة كانوا مشبهة، لكن هنا إشكال يرد على كلام ابن الخياط "وهو لماذا لم يصرح ابن الخياط بقول أوائل

(١) مرتكب الكبيرة عند المعتزلة بين منزلة بين المنزلتين، أي خرج من الإسلام ولم يدخل الكفر وفي الآخرة في النار، انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٣٦٠)، المعتزلة وأصولهم لعواد المعتق (ص ٢٥٥).

(٢) المواقف للإيجي (٢/٢٣).

أو قدماء الشيعة حتى يكون كلامه دقيقاً في نسبة القول بتشبيه الأوائل والقدماء من الشيعة؟؟

هذا أمر قد يطرأ في الذهن لكن يزول هذا الإشكال إذا علم أن قول "أوائل وقدماء الشيعة" أمر نسبي للمتكلم بمعنى: أن ما كان أمراً قديماً عند أناس فقد يكون أمر حادث عند آخرين •

فالتشبيه والتجسيم لم يكن في زمن ابن الخياط عند متقدمي الشيعة، بل هو عند متأخريهم، فلو قال ابن الخياط: إن متقدمي الشيعة كانوا على نهج النبي (صلى الله عليه وسلم) لما ثرب عليه •

هذا كلام ابن الخياط، وقدمت به لأمر ذكرتها سابقاً. ومن الكتب التي ذكرت التشبيه عند أوائل وقدماء الشيعة كتاب (مقالات الإسلاميين) للأشعري (المتوفى سنة ٣٣٠هـ) وهو أيضاً قريب من زمن المتكلمين من الشيعة، إلا أن الأشعري في كتابه ذكر أقساماً ستة للشيعة، وكان أغلب هذه الأقسام يظهر فيها النزعة التشبيهية، فقال: "واختلفت الروافض أصحاب الإمامة في التجسيم وهم ست فرق:

فالفرقة الاولى: الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي - يزعمون - أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفى بعضه على بعض ولم يعينوا طولاً غير الطويل وانما قالوا طوله مثل عرضه على المجاز دون التحقيق وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسبيكة الصافية يتلألاً كاللؤلؤ المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة لونه هو طعمه هو رائحته ورائحته هي مجسته وهو نفسه لون ولم يعينوا لونا ولا طعماً هو غيره وزعموا أنه هو اللون وهو الطعم وأنه قد كان لا في مكان ثم حدث المكان بأن تحرك البارئ فحدث المكان بحركته فكان فيه وزعم أن المكان هو العرش وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أن هشام بن الحكم قال له إن ربه جسم ذاهب جاء فيترح تارة ويسكن أخرى ويقعد مرة ويقوم أخرى وأنه طويل عريض عميق...

وذكر عن هشام أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل زعم مرة أنه كالبلورة وزعم مرة أنه كالسيكة وزعم مرة أنه غير صورة وزعم مرة أنه بشبر نفسه سبعة أشبار ثم رجع عن ذلك وقال هو جسم لا كالأجسام.

والفرقة الثانية: من الرافضة - يزعمون - أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام، وإنما يذهبون في قولهم إنَّه جسم إلى أنه هو موجود، ولا يثبتون البارئ ذا اجزاء مؤتلفة وأبعض متلاصقة، ويزعمون أن الله ﷻ على العرش مستوبلا مماسة ولا كيف .

والفرقة الثالثة: من الرافضة يزعمون أن ربهم على صورة الانسان، ويمنعون أن يكون جسماً.

والفرقة الرابعة: من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان، وينكرون أن يكون لحماً ودماً، ويقولون: هو نور ساطع يتلألأ بياضاً وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد، ورجل، وأنف، وأذن، وعين، وفم، وأنه يسمع بغير ما يبصر به، وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم. وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة سوداء وأن ذلك نور أسود.

والفرقة الخامسة: من الرافضة يزعمون أن رب العالمين ضياء خالص ونور بحت، وهو كالمصباح الذي من حيث ما جتته يلقاك، واحد وليس بذى صورة ولا اعضاء ولا اختلاف في الاجزاء، وانكروا أن يكون على صورة الانسان، أو على صورة شيء من الحيوان .

والفرقة السادسة: من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة، ولا يشبه الاشياء، ولا يتحرك، ولا يسكن، ولا يماس، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج وهؤلاء قوم من متأخريهم، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا

عنهم من التشبيه"^(١).

هذا كلام الأشعري في المقالات وهو لا يقل أهمية عن نص سابقه. ويلاحظ فيه أمور:

الأمر الأول: استخدام لفظ الجسم عند أغلب فرق الشيعة، سواء نفيًا أو إثباتًا، يدل دلالة واضحة على تغلغل الفكر الكلامي في المذهب الشيعي.

الأمر الثاني: نقل صاحب كتاب الفكر الفلسفي الدكتور علي سامي النشار إجماع مؤرخي الفكر الإسلامي سنة وشيعة ومعتزلة على أن هشام بن الحكم هو أول من قال: إنَّ "الله جسم" وأن مقالة التجسيم في الإسلام إنما تنسب إليه، فهو أول من أدخلها أو ابتدعها كما نسب إليه التشبيه أيضًا^(٢).

وهذا الكلام من الدكتور النشار يعطينا دلالة واضحة على القول بوقوع التشبيه عند الأوائل من الشيعة، وبه يعلم اختفاء الفرقة المعتدلة من بين الفرق التي ذكرها الأشعري؛ لأن القول بالتشبيه هي مرحلة أقرب من مرحلة التعطيل للمعتدلين، فوقوع التعطيل لا يكون إلا بعد وقوع التشبيه، وهذا في القسمة العقلية.

الأمر الثالث: تأكيد الأشعري لتشبيه المتقدمين بقوله: "... فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه" وهذا الكلام من أبي الحسن الأشعري يحدد فترة وقوع التشبيه عند الشيعة، وهو تقرير لما سبق ذكره من وقوع التشبيه عند المتقدمين.

يأتي بعد كتاب الأشعري في إثبات التشبيه عند المتقدمين كتاب "الآراء والديانات"^(٣) للنوبختي المتوفي (سنة ٣١٠هـ) وقيل بعد المائة الثالثة^(٤)، وفي هذه المرة

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٠٥).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/١٧٣).

(٣) ذكر ابن النديم في الفهرست "أن ابن النوبختي ألف كتاب "الآراء والديانات" ولم يتمه" (ص١٧٧).

كان الشاهد من أهلها، وصاحب الدار أعلم بحال داره، وأهل مكة - كما قيل - أعلم بشعابها، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " قلت: وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات، حتى نفس الشيعة كابن النوبختي وغيره ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة"^(١).

وفي كتاب "بيان تلبيس الجهمية"^(٢) يحكي ابن تيمية قول النوبختي عن متكلمي الشيعة فيقول: "... النوبختي في كتاب "الآراء والديانات" وهو ممن يذهب مذهب المعتزلة في توحيدهم وعدلهم فقال في كتابه: "باب قول الموحدين والمشبّهين" وقال هشام بن الحكم وعلي بن منصور ومحمد بن الخليل والسكاك ويونس بن عبدالرحمن ومن قال بقولهم من الشيعة: "إن الله تعالى جسم لا كالأجسام" هذه جملة اجتمع هشام بن الحكم وأصحابه عليها فاجتمعت حكاية الحاكين لهذا القول عنه... ثم يقول... أن الجاحظ ذكر عن النظام أن هشاماً قال في التشبيه في سنة واحدة خمسة أقاويل قطع في آخرها أن معبوده بشبر نفسه سبعة أشبار وحكى أبو عيسى الوراق في كتابه عن المشبهة عن كثير من مخالفي هشام أنه كان يزعم أن القديم على هيئة السبيكة وقال بعضهم "إنه على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وحكى بعضهم "كما قلت" إنه سبعة أشبار قال وحكى بعضهم "أنه ذو صورة وحكوا غير ذلك أيضاً... قال: وسمعت ذلك من غير واحد

(١) الحسن بن موسى النوبختي أبو محمد متكلم، فيلسوف، من أعلام القرن الثالث للهجرة وورد ترجمته في جميع كتب الجرح والتعديل عند الشيعة، وكل منهم وثقة وأثنى عليه، قال الطوسي: كان إمامياً حسن الاعتقاد، وقال النجاشي: الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي، المتكلم، المبرز علي نظرائه في زمانه، قبل الثلاثمائة وبعد "له مصنفات كثيرة منها: كتاب الآراء والديانات انظر: الفهرست للنجاشي" (ص ٤٧)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٢٧/١٥)، لسان الميزان لابن حجر (٢/٢٥٨)، الأعلام الزركلي (٢/٢٣٩).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٢٢٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٤٠٩).

منهم ممن ينتحل القول بالجسم وناظرونا به وقد وجدت الأمر على ما حكاه الوراق من ذلك وقد أضاف قوم القول في الجسم إلى أبي جعفر الأحول المعروف "بشيطان الطاق" الذي يسميه أصحابه مؤمن الطاق واسمه محمد بن النعمان والي هشام بن سالم المعروف بالجواليقي والي أبي مالك الحضرمي قال: "وليس من هؤلاء أحد جرد القول بالجسم ولكنهم كانوا يقولون هو نور على صورة الإنسان... إلى غير ذلك من الآراء التي ذكرها النوبختي.

ولا بد لنا أن نلفت الانتباه إلى أمر مهم، وهو أن النوبختي أول كاتب في الفرق من الشيعة^(١) وهو من أعلام الشيعة في القرن الثالث للهجرة، زد على ذلك أن عصره قريب من التحول الشيعي.

والملاحظ من كلام النوبختي السابق أنه لم يصرح بوقوع التشبيه عند أوائل الشيعة، وإنما عد أناساً قالوا بالتشبيه، أمثال: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وأبي جعفر الأحول وغيرهم.

وهذا الذكر لهؤلاء الأشخاص يفسره ما ذكره في كتابه (فرق الشيعة) حينما قال: "وقالت الفرقة السادسة^(٢) منهم أن الإمام موسى بن جعفر بعد أبيه وأنكروا إمامة عبد الله وخطأوه في فعله وجلسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة وكان فيهم من وجوه أصحاب أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل هشام بن سالم وعبد الله بن أبي يعفور وعمر بن يزيد

(١) فكتاب "فرق الشيعة" من الكتب المشهورة للنوبختي، إلا أن بعض الباحثين أمثال: عباس إقبال طعن في نسبه للنوبختي، وذهب إلى أنه من تصنيف أبو القاسم القمي المتوفي سنة (٣٠٠هـ) واسمه "مقالات الإمامية والفرق وأسماؤها وصورها" مستدل على ذلك بوجود نسخة في طهران من هذا الكتاب بهذا العنوان لابي القاسم، غير أن محمد جواد مشكور نشر الكتاب الذي يعنيه عباس إقبال، وأثبت بالدليل القاطع أنه تضمن لفرق الشيعة للنوبختي مع بعض المعلومات المتناثرة من هنا وهناك، انظر: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية لكامل مصطفى الشبيبي (ص١٧).

(٢) هذه الأقوال ذكرها النوبختي عند مسألة الإمامة بعد جعفر الصادق.

بياع السابري ومحمد بن النعمان أبي جعفر الأحول مؤمن الطاق وعبيد بن زرارة وجميل بن دراج وأبان بن تغلب وهشام بن الحكم وغيرهم من وجوه الشيعة وأهل العلوم منهم والنظر والفقهاء...^(١)

هذه هي الأسماء الرنانة في سماء التشيع في ذلك العصر، ووجوه أصحاب جعفر الصادق فهم أهل العلم والنظر والفقهاء، فهم رجال المذهب بهم فتق علم الكلام في المذهب حتى أصبح المذهب في زمانهم يعيش في صورته النهائية^(٢)، الذي وُصم بالتشبيه عند الأوائل.

ومن العلماء الذين تكلموا عن التشبيه عند الأوائل الجاحظ^(٣) (المتوفي سنة ٢٥٥هـ). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل قال الجاحظ في كتابه: "الحجج في النبوة"^(٤) ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله وأن البدوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه"^(٥) وقال أيضا: "وكل الروافض -

(١) فرق الشيعة للنوبختي (ص ٧٨-٧٩).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي للشارح (٢/٢١٣).

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ولد سنة (١٦٣هـ)، وتوفي سنة (٢٥٥هـ) كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره وكان مشوه الحلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها "الحيوان" و"البيان والتبيين" أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٥٤١-٥٤٢).

(٤) يقول صاحب كتاب مقالة التشبيه "وقد نشرت قطعة من كتاب الجاحظ "الحجج في النبوة" في رسائل الجاحظ بتحقيق عبدالسلام هارون (٣/٢٢٣-٢٨١)، وانظر تعليق الدكتور محمد رشاد على منهاج السنة (١/٧٣ هامش ٢)، وقد بحثت عن قول الجاحظ في الرافضة الذي ذكره شيخ الإسلام فلم أجده فلعله في القطعة المفقودة" مقالة التشبيه لجاير امير (١/١٧٩-١٨٠).

(٥) منهاج السنة لابن تيمية (١/٧٣).

إلا شذمة قليلة - يزعمون أن الله يريد الشيء ثم يبدو له فيه" (١)، وقال: "وتكلمت هذه الرافضة وجعلت له صورة وجسداً، وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير" (٢).

وكلام الجاحظ المعتزلي يقال فيه ما قيل في كلام ابن الخياط السابق، وخصوصاً إذا علمت أن ابن الخياط قد نقل عنه بعض أقواله في الشيعة، منها قوله: "ولكن الجاحظ أراد بذكره للقول بالجسم والبداء... أن يخبر أن الرافضة قد اشتملت من العيوب في أصل الدين وفروعه على ما لم تشتمل عليه فرقة ممن ينتحل الإسلام" ثم يقول: "والذي أراده الجاحظ الإخبار عن خيانة الرافضة على كثير من آل أبي طالب بما روت عنهم من التشبيه والقول بالصورة..." (٣)

وكلام الجاحظ هذا له اعتباراته في ميزان القبول عند دارس أقوال الفرق إذ إن الجاحظ عاش قريباً جداً من زمن التحول في المذهب الشيعي، وهذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: مات الجاحظ سنة ٢٥٥هـ في فترة كانت التساؤلات تنصب على الأئمة حول مسألة التجسيم والصورة، فمن قائل: إنه صورة، ومن قائل: إنه جسم، وقد صوروا هذا الواقع لإمامهم، فحكم عليهم بأنهم بمعزل عن التوحيد، وهي فترة كان الجاحظ بلا شك يعيش أخبارها قلباً وقالباً.

الأمر الثالث: أن الجاحظ من أعمدة الاعتزال، يقال فيه ما يقال في ابن الخياط السابق، وهو إن كان كاذباً فيما يقول فسوف يصب عليه من المقت ما يعلم به كذبه.

الوجه الرابع: أن الشيعة الآن في أغلب أفكارها واعتقاداتها تميل إلى المعتزلة فلو كانوا على خط واحد في الأفكار لما تكلم عنهم الجاحظ، وخصوصاً إذا علمت أن

(١) المصدر السابق (٢/٢٣٦).

(٢) انظر: رسالة الجاحظ في بني أمية (ص٩٩) "ضمن كتاب النزاع والتخاصم".

(٣) المصدر السابق (ص١٣٥).

كسب شريحة من هؤلاء مكسب للمذهب الاعتزالي. كما سبق تقريره سابقاً.
ومن العلماء الذين تكلموا عن التشبيه والتجسيم عند أوائل الشيعة أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (المتوفي سنة ٤٢٩ هـ) حيث قال: "...فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافض، والفرقة الثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي، وكلتا الفرقتان قد ضمت إلى حيرتها في الإمامة وضاللتها في التجسيم وبدعتها في التشبيه، ذكر قول هشام بن الحكم، زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض عميق، وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه، ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض، وقال: ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض، وزعم أيضاً أنه نور ساطع يتلألاً كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، وزعم أيضاً أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة...."^(١)، إلى غير ذلك مما سبق ذكره من كلام شيخ الإسلام بن تيمية.

وقد نقل الإمام أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني^(٢) (المتوفي سنة ٤٧١ هـ) مقالة هشام بن الحكم، وهشام الجواليقي وأتباعهما في التجسيم، ثم قال: "والعاقل بأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ"^(٣)

ويذكر الشهرستاني (المتوفي سنة ٥٤٨ هـ) نفس الكلام السابق نقلاً عن الكعبي المعتزلي وابن الراوندي: "هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه وكان هشام بن الحكم من متكلمي

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٤١).

(٢) هو أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني الشافعي المفسر، إمام بارع، صنف التفسير الكبير وصنف في الأصول وسافر في طلب العلم وحصل الكثير، ارتبطه نظام الملك بطوس، فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير، واستفاد الناس منه، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التبصير توفي سنة (٤٧١ هـ)، انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي (١٨/٤٠١)، والأعلام للزركلي (٣/٢٦٠).

(٣) التبصير في الدين للإسفراييني (ص ٢٤).

الشيعة... حكى ابن الراوندي عن هشام أنه قال: إن بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وحكى الكعبي عنه أنه قال: هو جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء، ونقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان... " (١).

وهذا الكلام السابق الذي ذكره البغدادي والاسفرايني والشهرستاني عن الشيعة وخصوصا وجوه الشيعة الكبار وبعد فترة ليست بالقصيرة؛ هو دليل قوي على وجود وقوع التشبيه عند المتقدمين، فلو كانت هذه الأقوال المحكية عنهم مجرد آراء، لاندثرت كما اندثر غيرها، ولم يهتم أصحاب المقالات بتكرارها وذكر من قالها، لكنها توحى بوجود فكر تشبيهي تجسيمي قائم، له مدافعون عنه، وداعون له.

وهذا الإمام السمعاني (المتوفي سنة ٥٦٢هـ) يؤكد كلام سابقه من العلماء أيضا، فيقول: "والهشامية جماعة من غلاة الشيعة، وهم الهشامية الأولى والأخرى.

أما الأولى: فهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضي المفرط في التشبيه والتجسيم، وكان يقول: إن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وإنه طويل عريض عميق، وطوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، وله مقالات في هذا الفن حكيت عنه.

وأما الهشامية الأخرى فهم أصحاب هشام بن سالم الجواليقي، وكان يزعم أن معبوده جسم، وأنه على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع يتلأأ بياضا، وله حواس خمس كحواس الإنسان، ويد ورجل وسائر الأعضاء، وأن نصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسفل مصمت.

وعنه أخذ داود الجواربي قوله: إن معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية.

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٣٩).

وزعم هشام بن الحكم أنه كسبيكة الفضة، وأنه بشر نفسه سبعة أشبار.
وكل واحد منها يكفر صاحبه، ويكفرهما غيرهما" (١).

وها هو ابن خلدون (المتوفي سنة ٨٠٨هـ) يذكر حال طوائف من الشيعة الغلاة، وموقفهم من التشبيه، فيقول: "ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بالوهمية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات ألوهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى (صلوات الله عليه)، ولقد حرق علي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم، وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه، فصرح بلعنته والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق (رضي الله تعالى عنه) بمن بلغه مثل هذا عنه..." (٢).

وهذا الذي ذكره ابن خلدون وإن كان حلولاً، إلا أن حقيقة الحلول تشبيه الخالق بالمخلوق، فهو حظ من قدر الإله وإنزاله إلى درجة الخلق، مع رفع لدرجة الإنسان والصعود به إلى درجة الخالق، فهو تشبيه متضمن لنوعي التشبيه.

ثم يأتي ابن تيمية (المتوفي سنة ٧٢٨هـ) مثبتاً لكلام من سبقه من العلماء، فيقول: "وكان متكلمو الشيعة كهشام بن الحكم، وهشام الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأمثالهم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق وأن الله يرى في الآخرة وغير ذلك من مقالات أهل السنة والحديث حتى يتدعون في الغلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس" (٣).

(١) الانساب للسمعاني (٥/٦٤٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص١٧٧).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (١/٧١-٧٢).

ويرى ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ قَدَمَاءَ الشَّيْعَةِ غَلَوَا فِي الْإِثْبَاتِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّمْثِيلِ، بَلْ يُوَكِّدُ أَنْ لَفْظَ التَّجْسِيمِ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ، فَقَالَ: "وَأَوَّلُ مَنْ عَرَفَ عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ هُوَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ بَلْ قَالَ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِهِ: "الْحَجَجُ فِي النُّبُوَّةِ" لَيْسَ عَلَى ظَهَرِهَا رَافِضِي إِلَّا وَهُوَ يَزْعَمُ أَنَّ رَبَّهُ مِثْلُهُ"^(١) وَقَالَ: "وَأَوَّلُ مَا ظَهَرَ إِطْلَاقَ لَفْظِ الْجِسْمِ مِنْ مَتَكَلِّمَةِ الشَّيْعَةِ كَهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ كَذَا نَقَلَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ"^(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام مقالات الرافضة في التجسيم، وأنهم ست فرق، ونقل ما قاله أبو الحسن الأشعري في المقالات، ثم قال: "قلت: وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتفق على نقله عنهم أرباب المقالات حتى نفس الشيعة كابن النوبختي وغيره ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة"^(٣)

وذكر شيخ الإسلام أن العلماء نقلوا عن الشيعة هذا الأمر فقال: "ونقل الناس عن الرافضة هذه المقالات وما هو أقبح منها فنقلوا ما ذكره الأشعري وغيره في كتب "المقالات" عن بيان بن سمعان التميمي الذي تنتسب إليه البيانية من غالبية الشيعة... ونقلوا عن المغيرة..."^(٤) وغير هؤلاء.

وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه من الشيعة، أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها^(٥).

وهؤلاء الرجال المذكورون في كلام العلماء السابقين هم ممن تعددهم الاثنا

عشرية في

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/٧٢-٧٣.

(٢) المصدر السابق (٢/٢٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢/٢٢٠).

(٤) المصدر السابق (٢/٥٠٢).

(٥) التنبية والرد للملطي (ص٢٤) البرهان للسكسكي (ص٤١)، لسان الميزان لابن حجر (٦/١٩٤)، الفرق الإسلامية للشيبثي (ص٥٨)، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي (ص٣٠٠).

الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها^(١)، وهؤلاء في كتب الفرق أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم. وقد مر معنا شيء من ذلك فيما سبق.

وأخيراً: أختتم بقول الخوئي في ثنائه على هشام بن الحكم، حينما قال: "ثم إن هناك روايات أخر تدل على جلالة هشام وعظمته، منها ما يجيء عن الكشي في ترجمة هشام بن سالم، من أمر الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد الملك بن هشام الحنيط أن يأخذ بقول هشام بن الحكم، وأن لا يعطي الزكاة لمن خالفه"^(٢).

وهذه تكفي في نظري في التأكيد لما قرر سابقاً من وقوع التشبيه والتجسيم في صفوف أوائل الشيعة، إذ إنَّ الزكاة منعت عن خالف هشام بن الحكم، وهشام ممن استفيضت عنه مقالة التشبيه.

يقول الدكتور حسن إبراهيم: "الشيعة انقسمت حسب اعتقادها إلى ثلاثة أقسام: غالية ورافضة وزيدية، والشيعة الغالية هم الذين غلوا في علي وقالوا فيه قولا عظيماً... والشيعة الرافضة هم الذين قالوا إن الله قد وصورة وإنه جسم ذو أعضاء"^(٣) ويقول أيضاً: "الرافضة قالوا إن الله له قد وصورة وإنه جسم ذو أعضاء... هشام بن الحكم وهشام بن سالم وشيطان الطاق من معتقدي الرافضة"^(٤).

هذه بعض الأقوال من علماء اشتهر عنهم العلم بالفرق والدقة في حكاية أقوال أصحابها، ويزاد عليها ما ذكر من أقوال لعلماء البيت الشيعي، كالشريف المرتضي، والمسعودي، وغيرهما مما سبق ذكره في بداية الأدلة.

ونستخلص مما سبق ذكره في هذا الفصل المعنون له "التمثيل والتشبيه عند

(١) انظر: أعيان الشيعة محسن الأمين (١/١٠٦).

(٢) معجم رجال الحديث للخوئي (٢٠/٣١٦).

(٣) تاريخ الإسلام للحسن إبراهيم (٢/١٥٨).

(٤) المصدر السابق (١/٤٢٤).

الاثني عشرية "أموراً من أهمها:

١- إثبات التجسيم والتشبيه عند قدماء الشيعة وأوائلهم من كتب الشيعة أنفسهم •

٢- اشتهاار القول بالتجسيم والتشبيه عند قدماء وأوائل الشيعة في كتب الفرق والمقالات •

٣- أن الفكر المسيطر على التنظير في الفكر الشيعي عند المتقدمين هو الفكر الكلامي، ومن تعمن في هذا الدليل تبين له المدلول •

٤- وهو من الأمور المهمة في خلاصة هذا الفصل، أن خصماء ونظراء الشيعة في تلك الفترة من معتزلة كانوا يصمون الشيعة بالتشبيه كالجاحظ وابن الخياط.

٥- أن الميثب مقدم على النافي عند علماء الأصول^(١)، وقد سردنا بعض الأقوال عن الشيعة أنفسهم أو عن خصومهم على وجود التشبيه عند متقدمي القوم •

بعد هذه الأدلة التي ذُكرت سابقاً عن وقوع التشبيه عند متقدمي الشيعة الأوائل، يقف الإنسان حائراً حينما يسمع إنكار ذلك من الشيعة أنفسهم، وأن هذه التهم إنما هي من معارضيهم من أهل السنة الذين يطلق عليهم في كتب الشيعة "بالعامة" على وجه الخصوص ومن غيرهم على وجه العموم!!! إلا أن هذه الحيرة والتردد في إثبات ذلك يقطعه لمعرفة بحال الشيعة في التملص من الحقائق التي سطرها أيدي وألسنة علماءهم الذين ساروا على نهج متقدميهم.

فالتقية سلاحهم في طمس الحقائق المكتوبة والمنثورة في كتبهم، بها يردون على خصومهم فيما يكتشفه الخصوم من عوار مذهبهم، وخلق معتقدتهم.

(١) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/١١٣)، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه للمرداوي الحنبلي (٣/١٣٥٠).

وإنكار هذا الأمر إنما هو جزء بسيط من إنكار كثير من الحقائق الموجودة في كتب الشيعة التي تخالف الكتاب والسنة، بل وتخالف ما كان عليه أئمة أهل البيت، مما ذكره أهل العلم عن المذهب الشيعي، ولعل من أشهر هذه المسائل: مسألة تحريف القرآن والقول به وإنكاره من قبل المتأخرين^(١). والتملص من الخصوم عند ذكر هذه المسألة هو أكبر دليل على التقية التي جعلت الشيعة وما تحمل من أفكار كفرية في حياض الإسلام.



(١) انظر: مرآة العقول للمجلسي (١٢/٥٢٥)، وبطلان عقائد الشيعة التونسوي (ص٣٣-٤٦)، فقد ذكر نقولاً كثيرة عن علماء الرافضة في دعواهم تحريف القرآن الكريم، والشيعة والقرآن لإحسان إلهي (ص١٥-٥٧٩)، والوشيعه في كشف شنائع وضلالات الشيع صالح الرقب (ص٢٧-٣٣)، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب للطوسي (ص٣٤)، الانوار النعمانية للجزائري (٢/٣٥٧٠).

المبحث الثاني

موقف المتقدمين من التعطيل

* * * * *

تهـيـد

من أصعب المباحث التي واجهتني في هذا الرسالة، مبحث "موقف المتقدمين من التعطيل" وحتى نصل إلى نتيجة لهذا المبحث؛ فإننا نستطيع أن ننظر فيه من أربعة جوانب:

١- كتب المشبهة المتقدمين من حيث العموم.

٢- الكتب المعتمدة وغيرها عند الشيعة •

٣- كتب الفرق والمقالات والتراجم.

٤- معرفة قولهم عن طريق اللزام من أقوالهم الأخرى •

بهذه الجوانب الأربعة قد نصل إلى موقف المتقدمين من التعطيل، الذي به يثبت تناقض الشيعة، وإن كان مذهب الشيعة مبنياً على التناقض.



✽ أولاً: كتب المشبهة المتقدمين من حيث العموم:

أعني بهذه الكتب كتب المشبهة من حيث العموم، سواء من الشيعة أو من غيرهم، كالكرامية مثلاً.

وهذه الكتب ليس لها وجود كأصحابها، فلم تحفظ لنا المكتبات العامة إلا بعض أسماء كتب المشبهة، أما الكتب نفسها فقد أصابها الضياع أو الإلتلاف، وعلى كلا الاحتمالين فإن كتب المشبهة ليس لها وجود مثل أصحابها^(١).

ويرجع السبب في ذلك - والله أعلم - لأمرين:

الأمر الأول:

أن التشبيه كان في اليهود، واشتهر بينهم، ثم انتقل منهم وتسرب إلى الشيعة، إذ التشيع كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله، فالشيعة أول من قال بالتشبيه والتجسيم في الطوائف الإسلامية؛ ولهذا قال الرازي: "اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحول"^(٢).

ولقبح هذا القول عند العامة قبل الخاصة اضطر الروافض إلى التحول إلى التعطيل، وهي المرحلة التي يعيشها الشيعة الآن، فقد حاول علماء المذهب الشيعي الدفاع عن هذا القبح الذي ارتكبه منظرو المذهب الشيعي، حتى قال المجلسي: "ولعل المخالفين نسبوا إليها يعني: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي هذين القولين، يشير إلى ما نسب إليهما من القول بالجسم، والقول بالصورة معاندة"^(٣).

(١) مقالة التشبيه لجابر أمير (١/١٤).

(٢) اعتقاد فرق المسلمين والمشركون للرازي (ص٩٧).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٨).

بهذا الموقف هُمشت كتب المشبهة ولم يدم لها البقاء حتى تصلنا. وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا.

الأمر الثاني:

أن مصطلح التشبيه أصبح أمراً إضافياً أو نسبياً، فما هو تشبيهه عند قوم لا يكون تشبيهاً عند غيرهم .

فالمؤلفات التي ذكرت التشبيه وذمت أصحابه كثيرة جداً، إلا أنك لا تجد طائفة معينة لها كتب مستقلة، ولها أئمة وعلماء يسمون المشبهة، وهذا الأمر يرجع إلى أن مصطلح "التشبيه" أصبح إضافياً أو نسبياً^(١).

فكل فريق إذا خالف فريقاً آخر، أو أثبت ذلك الفريق المخالف خلاف ما يقوله هذا الفريق سماه مشبهاً، لذلك تجد في كتب المقالات من يصم مثبتة الصفات من أهل السنة وغيرهم بأنهم مشبهة، ولهذا متطرفة الجهمية يسمون المعتزلة مشبهة؛ لأنهم يثبتون الأسماء، والمعتزلة يسمون الأشعرية مشبهة؛ لأنهم يثبتون بعض الصفات، والأشعرية يسمون أهل السنة مشبهة؛ لأنهم يثبتون الصفات، وهكذا أصبح مفهوم التشبيه على حسب الاعتقاد، وقد يكون في الواقع ليس صحيحاً^(٢)، وبعض الناس رُمي بالتشبيه وليس ثابتاً عنه، وهذا يوجد في كتب المقالات، مثل مقاتل بن سليمان (المتوفي سنة ١٥٠ هـ)^(٣) يقولون عنه: إنه مشبه^(٤)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:.

(١) انظر: التدمرية (ص١٢٢)، وشرح الغنيمان على العقيدة الواسطية (ص٨)، وشرح الطحاوية للغفيص (ص٣٨).

(٢) انظر: الملل والنحل لشهرستاني (١/١٠٠)، المواقف للإيجي (٣/٧١٤)، النبوات لابن تيمية (ص١٢٩)، مقالة التشبيه للأمير (١/٨٦).

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشر الخراساني أبو الحسن البلخي نزيل مرو قال عنه ابن حجر: "كذبوه وهجره ورمي بالتجسيم" وقال ابن حبان: "كان يأخذ عن اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم
← =

"...ومن الناس من رد هذا النقل عن مقاتل بن سليمان فرده كثير من الناس"^(١)،
وسواء ثبت أو لم يثبت فإن التشبيه أصبح من الأمور التي لا بد أن يستفصل في
معرفتها •

لهذين السببين - والله أعلم - انعدمت كتب المشبهة من التراث الإسلامي .

يقول الحر العاملي (المتوفي سنة ١١٠٤ هـ) وهو يؤكد ويبرر اندراس الكتب
الأصلية، القديمة للشيعة بعدم الحاجة إليها، فقد جاء في وسائل الشيعة ما نصه:
"ومعلوم أن كتب القدماء إنما اندرست بعد ذلك، لوجود ما يغني عنها، بل هو أوثق
منها، مثل الكتب الأربعة وغيرها، مما تقدم ذكره من الكتب المعتمدة، التي هي أحسن
ترتيباً، وتهذيباً، وفي بعضها كفاية"^(٢)

أقول: قد يقال أن قول المتقدمين من الشيعة اتجاه المعطلة قد يكون معروفاً
مقدماً، وذلك لسابقة هذه الطائفة في التكفير والتضليل، فلا يبحث الشيعة عن ذنب
لشخص ما حتى يحكموا عليه بالكفر، بل يكفي عندهم أن يكون هذا الشخص
مخالفاً لهم، فمن خالفهم فهو كافر !! .

يقول السيد الطالقاني: "وكان علماء كربلاء قد صمموا على تكفير كل عالم
يرأس ويتزعم ويخافون تقدمه، وقد كفروا عدداً من العلماء، ولكنهم لم ينجحوا مما
اضطرهم إلى الخجل"^(٣)، هذه هي حالهم مع المخالف •

= وكان يشبه الرب بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث " مات سنة (١٥٠ هـ)، انظر كتاب
المجروحين ابن حبان (٣/١٤)، وتقريب التهذيب لابن حجر (٢/٢٧٢)، وانظر ترجمته في ميزان
الاعتدال للذهبي (٤/١٧٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٢٧٩).

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي (١/٢٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٤٣٥).

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي (٣٠/٢١٣).

(٤) الشيخية لمحمد آل الطالقاني (ص٣٩).

❁ ثانياً: من الكتب المعتمدة عند الشيعة:

لم تذكر لنا كتب الشيعة ما يشفي الغليل في هذه المسألة، والسبب - والعلم عند الله -، أن الشيعة يخفون ما يدينهم ويفرح خصومهم وحتى لا يكون حجة عليهم، وخصوصاً لو ثبت تكفير متكلميهم المشبهة لخصومهم المعطلة، لانهدم المذهب برمته؛ إذ القول بالتكفير للمخالف والمخالف يدين بالتعطيل يلزم منه تكفير متأخري الشيعة على لسان متقدميهم، وخصوصاً إذا كان هذا التكفير من نقلة المذهب المعبرين من حيث الجملة •

إلا أن هنالك نصوصاً قد تكون وبيصاً يستضاء به في معرفة نظرة المتقدمين تجاه من يخالفهم من أهل التعطيل.

جاء عند الكشي في كتاب الرجال رواية لعلها تكون بوابة حديثنا عن هذه المسألة، وهي تحكي حال رجال مذهب الإمامية الاثني عشري، وما يترامون به من التكفير لبعضهم البعض، حيث يقول في روايته بأنه في سنة ١٩٩ هـ: "اجتمع ستة عشر رجلاً في باب أبي الحسن الثاني، فقال له أحدهم ويدعى جعفر بن عيسى: "يا سيدي، نشكو إلى الله وإليك^(١) ما نحن فيه من أصحابنا، فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفروننا ويتبرؤون منا، فقال: هكذا كان أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى: صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم.. " وقال يونس: "جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة"^(٢).

هذه حالة تحكي ما كان عليه "رعيلهم الأول" من التكفير لمخالفهم •

(١) هذا من الألفاظ المنهي عنها لدخولها في دائرة الشرك، بل يقال: "نشكو إلى الله ثم إليك" وضلال هؤلاء أكبر من ذلك، ولكن هذا لتنبه.

(٢) رجال الكشي (ص ٤٩٨-٤٩٩).

لكن ما هو اعتقاد أصحاب زرارة، حتى نعرف موضوع المخالفة وسبب التكفير؟

من زرارة بن أعين نشأت فرقة الزرارية: وهم " أتباع زرارة بن أعين الرافضي في دعواها حدوث جميع صفات الله ﷻ وأنها من جنس صفاتنا وزعموا أن الله تعالى لم يكن في الأزل حيا ولا عالما ولا قادرا ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا وإنما استحق هذه الأوصاف حين احدث لنفسه حياة وقدرة وعلم وإرادة وسمعا وبصرا كما أن الواحد منا يصير حيا قادرا سميعا بصيرا مريدا عند حدوث الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر فيه ومنهم الذين قالوا من الروافض بأن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم... " (١)

فهذا قول أصحاب زرارة، الذي قيل في إمامهم، كما في رجال الكشي أنه قال: "جاء في فضله عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إلا زرارة وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة» (٢).

وعن جميل بن دراج قال: "ما كنا حول زرارة إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم" (٣).

وقال جميل: "دخلت على أبي عبدالله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فاستقبلني رجل خارج من عند أبي عبدالله من أهل الكوفة من أصحابنا فلما دخلت على أبي عبدالله قال لي: لقيت

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢١٨)، التبصر في الدين للإسفرائيني (ص ٤٠)، المواقف للإيجي (٦٧٤/٣).

(٢) رجال الكشي (٣٤٧/١).

(٣) المصدر السابق (٣٤٦/١).

الرجل الخارج من عندي؟ فقلت: بلى هو رجل من أصحابنا من أهل الكوفة. فقال: لا قدّس الله روحه ولا قدّس مثله، إنه ذكر أقواماً كان أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة علمه، وكذلك هم اليوم عندي، وهم مستودع سرّي وأصحاب أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتاً، يحيون ذكر أبي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، يكشف الله بهم كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأوّل الغالين، ثم بكى! فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله ورحمته أحياء وأمواتاً: بريد العجلي وزرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم" (١).

قال النجاشي: "زرارة بن أعين شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً. قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه.. مات سنة مئة وخمسين" (٢).

أقول: كفى بآل زرارة ذلك شرفاً وفخراً عند الشيعة.

فأصحاب زرارة يكفرون من خالفهم " ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم.."، وأعلى الخلاف هو الخلاف العقدي، وأعلى الخلاف العقدي هو ما تعلق بالذات الإلهية من الأسماء والصفات.

فلو قيل إن التكفير الصادر من أصحاب زرارة إنما كان فيما يتعلق بالإمامة وغيرها، يقال لهم: إن المسائل المتعلقة بالذات الإلهية أولى بالتكفير، فإن كفروا في غير هذه الأمور ففي جوانب العقيدة تكفيرهم أخرى.

يقول شارح (الكافي) المازندراني ذاكراً ما سبق: "وفي رجال الكشي عند ترجمة جعفر بن عيسى بن عبيد بن يقطين وهشام بن إبراهيم شرح ما يدل على أن التكفير

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٧/١٤٥)، رجال الكشي (١/٣٤٨).

(٢) رجال النجاشي (ص ١٧٥).

ونسبة بعضهم إلى الزندقة كان شائعا في عصر الأئمة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حتى إن جعفرا شكا عند الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عن قوم وقال: هم والله يزندقوننا ويكفروننا ويبرؤون منا، قال (عَلَيْهِ السَّلَامُ): هكذا كان أصحاب علي بن الحسين ومحمد بن علي وأصحاب جعفر وموسى (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم إلى أن قال له: رأيتك أن لو كنت زنديقا فقال لك مؤمن: ما كان ينفعك من ذلك ولو كنت مؤمنا فقال: هو زنديق ما كان يضرك منه؟! .." ثم يقول: "وفي كتاب أعيان الشيعة: "أن كل أحد يعتقد أمرا أنه من أصول الدين بحيث يكفر غير المقر به بل آل الأمر إلى أن المسائل الفرعية غير الضرورية مما يكفرون بها" (١)

وما ذكره المازندراني من شيوع الترامي بالتكفير والزندقة بين علماء الشيعة وبين ظهري الأئمة من آل البيت هو دليل على تكفير المشبهة والمجسمة لمخالفهم، بل هذا الأمر لم يقف عند أصحاب زرارة، كما ذكر سابقا عن الكشي، بل هو أمر شائع نتج عنه أنهم اشتكوا إلى إمامهم الرضا.

ويقول أيضا شارح (الكافي) المازندراني في موطن آخر: "وفي كتاب أعيان الشيعة بعد ما نقل عن بعض علمائنا أن أصحاب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا يقعون بعضهم في بعض بالانتساب إلى الكفر والزندقة والغلو وغير ذلك بل وفي حضورهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أيضا، وربما كانوا يمنعون وربما كانوا لم يمنعوا لمصالح وأن هذه النسب كلها لا أصل لها فإذا كانوا في زمان الحججة بل وفي حضوره يفعلون أمثال هذه فما ظنك بهم في زمان الغيبة... وبالجملة كل منهم يعتقد أمرا أنه من أصول الدين بحيث يكفر غير المقر به، بل آل الامر إلى أن المسائل الفرعية غير الضرورية ربما يكفرون...". (٢)

ويشرح المازندراني ضابط زرارة في التكفير وهو موضح لما سبق ذكره: "وزعم زرارة أن كل منحرف كافر... ثم تعقب المازندراني قول زرارة هذا وقال: "ومما يدل

(١) شرح الكافي للمازندراني (٣/٤٠٢).

(٢) المصدر السابق (١١/٨).

على ما ذكرناه خطأ زرارة نفسه في هذا الرأي الذي حاج فيه الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلو كان هو بهذا الخطأ خارجاً عن الإيمان وجب التبري منه ولعنه...^(١)

وفي قوله: "أصحاب زرارة" يوحي بوجود فرق وجماعات شتى في البيت الشيعي، وهو كذلك.

وجاء في (البحار) للمجلسي في رواية طويلة جاء فيها: "أن أهل نيسابور قد اختلفوا في دينهم وخالف بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً، وبها قوم يقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عرف جميع لغات أهل الأرض، ولغات الطيور وجميع ما خلق الله، وكذلك لا بد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك، ويعلم ما يضمّر الإنسان، ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنازلهم، ...

فقال: كذبوا لعنهم الله وافتروا إثماً عظيماً، وبها شيخ يقال له: فضل بن شاذان يخالفهم في هذه الأشياء وينكر عليهم أكثرها، وقوله: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله ﷻ في السماء السابعة فوق العرش كما وصف نفسه ﷻ وأنه جسم^(٢) فوصفه بخلاف المخلوقين في جميع المعاني، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير...^(٣).

فقوله: "اختلفوا في دينهم وخالف بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً" وهذا يؤكد ما سبق تقريره من إطلاق الكفر على المخالف، وفي قوله: "وأن الله ﷻ في السماء السابعة فوق العرش، كما وصف نفسه ﷻ، وأنه جسم، فوصفه بخلاف المخلوقين في جميع المعاني" يعلم بعض أسباب إطلاق الكفر على المخالف.

يقول شارح (الكافي) مؤكداً ذلك. فبعد أن ذكر القول في وصف الله بالجسم

(١) شرح الكافي المازندراني (١٥٨/١٥).

(٢) قال محقق البحار "في المصدر [وأنه ليس بجسم].

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (١٦١/٢٥).

والإنكار على من قال به يذكر قول المخالف على من يقول بنفي الجسم فيقول: "الجسم القابل لهما وهو سبحانه لما كان منزها عن الجسمية ولو احقها وجب أن يكون منزها عن الإدراك بحاسة البصر وإنما أفرد عدم إدراكه بالبصر بالذكر مع ذكر الحواس لظهور تنزهه تعالى عن ساير الحواس ووقوع شبهة في أذهان كثير من الجهلة في جواز إدراكه بالبصر، حتى ذهب كثير منهم إلى أن تنزيهه تعالى عنه ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول الجاهلون الظالمون" (١).

وهنا يذكر أمراً مهماً، وهو أن التكفير من قبل القائلين بالجسم لمن خالفهم، ذهب إليه كثير منهم، ولم يقتصر على أصحاب زرارة - كما مر معنا -، وهذا ما تؤكد الروايات السابقة، التي تذكر استفسار كثير من الناس عن أقوال هشام ومن معه حول وصف الله، بل ذكرت بعض الروايات الإختصار في ذلك، كما في رواية "محمد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أني أختصر لك منه أحرفاً، يزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيان، جسم، ..." (٢).

والقول بالبرآة من المخالف جاء في (البحار) وغيره: "عن يونس بن بهمن قال: قال لي يونس: اكتب إلى أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ فاسأله عن آدم هل فيه من جوهرية الله شيء! قال: فكتبت إليه، فأجاب: هذه المسألة مسألة رجل على غير السنة. فقلت ليونس، فقال: لا يسمع ذا أصحابنا فيبرؤون منك، قال: قلت ليونس: يتبرؤون مني أو منك؟"

والقول بوجود "شيء من جوهرية الله في آدم" فيها رائحة التشبيه والتجسيم المقيت، وتعقيب يونس بقوله: "يتبرؤون مني أو منك" دليل على الحكم على المخالف بالتبرؤ من كلا الطرفين.

(١) شرح الكافي المازندراني (٩٩/٥).

(٢) بحار الانوار للمجلسي (٣/٣٠٢)، وانظر: شرح الكافي المازندراني (٥/٤٣١).

ومع هذا الترامي من قبل الطرفين بالتبرؤ، تأتينا رواية في (البحار) بالغة الأهمية في نظري وهي: "عن عبد الملك بن هشام الخياط قال: قلت لأبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أسألك جعلني الله فداك؟ قال: سل يا جبلي، عما ذا تسألني؟ فقلت: جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن الله ﷻ صورة، وأن آدم خلق على مثال الرب، فيصف هذا ويصف هذا - وأومات إلى جانبي وشعر رأسي - وزعم يونس مولى آل يقطين وهشام بن الحكم أن الله شيء لا كالأشياء، وأن الأشياء بائنة منه، وأنه بائن من الأشياء، وزعم أن إثبات الشيء أن يقال: جسم، فهو جسم لا كالأجسام، شيء لا كالأشياء، ثابت موجود غير مفقود ولا معدوم، خارج عن الحدين: حد الإبطال، وحد التشبيه، فبأي القولين أقول؟ قال: فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أراد هذا الإثبات، وهذا شبه ربه تعالى بمخلوق، تعالى الله الذي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا نظير، ولا هو بصفة المخلوقين، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه. قال: فقلت: يعطى الزكاة من خالف هشاماً في التوحيد؟ فقال برأسه: لا" (١)

فقوله: "من خالف هشاماً في التوحيد" يحتمل أمرين:

١- هشام بن الحكم وهو ظاهر هذه الرواية •

٢- وهشام بن سالم.

هذان الشخصان هما المذكوران في الرواية، أحدهم من خالفه لا تُعطى إليه الزكاة، إلا أن الشراح قالوا من خالف هشام بن الحكم هم الذين لا يُعطون الزكاة • وقد سبق تقرير ما كان عليه هشام بن الحكم من القول بالتشبيه والتجسيم، بل وذكر الإجماع عند علماء الفرق في أن هشام بن الحكم الرافضي هو أول من قال بالجسم •

وأقواله المشهورة التي في كتب الشيعة المعتمدة دليل على ذلك.

فهذه الرواية تحتمل احتمالين لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول: أن هذه الرواية موضوعة ومكذوبة على الإمام، من أجل تحسين

صورة هشام بن الحكم.

الاحتمال الثاني: أن المراد بهشام هنا هو هشام بن سالم، وهذا لا يقولون به.

ومع وجود هذه الرواية تأتي رواية أخرى تكمل الصورة في الموقف الشيعي، ففي (بحار الأنوار) وغيره: "عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال: اجتمع هشام بن سالم وهشام بن الحكم وجميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج ومحمد بن حمران وسعيد بن غزوان ونحو من خمسة عشر رجلاً من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد وصفة الله ﷻ وغير ذلك لينظروا أيهما أقوى حجة، فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير ورضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام فتكالما وساق ما جرى بينهما، وقال قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت فيه ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به..."^(١).

والملاحظ في هذه الرواية يجد تكفير هشام بن الحكم وليس هشام بن سالم وذلك بقوله: "... وقال قال عبد الرحمن بن الحجاج لهشام بن الحكم: كفرت والله بالله العظيم وألحدت..." والفائدة من ذكر هذا التناقض، هو توضيح ما كان عليه المذهب الشيعة من تمرير بعض الأحكام، وتوهيم الشيعة، وإسقاط بعض الأحكام على بعض.

يوضح ذلك أكثر، أن يقال: لو قال قائل: إن المخالف لهشام بن الحكم لا يُعطى الزكاة ويأتي بلفظ الإمام المعصوم وفيه: "... لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه. قال: فقلت: يعطى الزكاة من خالف هشاماً في

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٦٦)، مستدرک الوسائل للطبرسي (١٢/٢٥٢)، معرفة الرجال للطوسي

التوحيد؟ فقال برأسه: لا... " ثم يقول القائل: الإمام يعزر على أقل أحوال هذه الرواية، أو يكفر من خالف هشام بن الحكم، وفي ذهن السامع ما كان عليه هشام بن الحكم من التشبيه والتجسيم، المحكي في كتب القوم.

بهذا التصور لهاتين الروايتين، ومع قول أصحاب زرارة والبراءة والترامي بها من قبل الطرفين، كما في الرواية سابقة الذكر: " يتبرؤون مني أو منك "، يظهر ويص بسيط عن حكم المتقدمين لمن خالفهم، علماً أن الروايات التي تحكي موقف المتقدمين قليلة جداً، بل قد نقول إنها معدومة - والله أعلم -^(١).

(١) لم آل جهداً في البحث عن نصوص توضح قول المتقدمين لمن خالفهم سواءً هذا البحث كان في الكتب الأربعة المعتمدة أو غيرها من الكتب التي يرجع إليها الشيعة عند المفرع، فلم أجد إلا ما ذكر.

✽ ثالثاً: كتب الفرق والمقالات والتراجم:

ذكرت لنا كتب الفرق والمقالات الانقسامات التي حصلت في المذهب الشيعي، بل إن بعضها ذكرت لنا عدد تلك الفرق. يقول الإيجي في كتاب "المواقف" وهو يذكر عدد فرق الشيعة فيقول: "...وهم اثنتان وعشرون فرقة" وكان موقف كل فرقة من الأخرى هو أن كل فرقة تكفر أختها.^(١)

وهذا الذي ذكره الإيجي ذكره من قبل النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) واسم هذا الكتاب يغني عن تفسيره، حيث قال: بعد ذكر بعض الفرق المتحلة للتشيع الغالي: "إلا أنهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولونهم يبرأ البعض من بعض ويلعن بعضهم بعضاً"^(٢).

والمذكور في كتب الشيعة يشهد بذلك، فهم كثير و الانقسامات في مذهبهم، وكثير و التنازع، مما نتج عنه تكفير بعضهم بعضاً، ولعن بعضهم بعضاً، وتبرؤ بعضهم من بعض.^(٣)

يقول ابن الخياط وهو يحكي ما هو مقرر في كتب الشيعة، بل ويذكر موقف المشبهة من حيث الخصوص مع المخالفين، حيث قال: "...فإن كان الذي يعيب المعتزلة ويحط من قدرها هو أن بعضها قد أكفر بعضها فما علمنا فرقة من فرق الملة سلمت من ذلك... وهذه الروافض بعضها يكفر بعضها ويبرأ منه... وهذه أصناف المشبهة بعضها يكفر بعضها ويبرأ منه"^(٤).

ويستفاد من كلام الإيجي والنوبختي وابن الخياط، تصوير حال الشيعة من

(١) انظر: المواقف للإيجي (٣/ ٦٧١).

(٢) الفرق الشيعة (ص ٤٦).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٢٤٥-٢٤١).

(٤) الانتصار لابن الخياط (ص ٦٨-٦٩).

حيث العموم مع المخالف، إلا أن كلام ابن الخياط كان أدق في ذكر حكم المشبهة لمن خالفهم حيث قال "... وهذه أصناف المشبهة بعضها يكفر بعضها ويبرأ منه "

يقول السمعاني وهو يصور لنا حال الفرق مع من خالفها: "... وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم..."^(١).

ويقول أبو المظفر الإسفراييني وهو يحكي حال فرق الشيعة من حيث الخصوص مع المخالف: "واعلم أن الزيدية والإمامية منهم من يكفر بعضهم بعضا والعداوة بينهم قائمة دائمة والكيسانية يعدون في الإمامية..."^(٢).

ويقول البغدادي: "... والإمامية يكفر بعضهم بعضاً..."^(٣) ويقول أيضاً: "... فرق الرفض بين الزيدية والكيسانية والإمامية والكيسانية منهم اليوم مغمورون في غمار أخلاط الزيدية والإمامية وبين الزيدية والإمامية منهم معاداة تورث تضليل بعضهم بعضا وقال بعض الشعراء الإمامية يهجي الزيدية:

يا أيها الزيدية المهملة إمامكم ذا آفة مرسلة^(٤)"

ويقول صاحب التحفة الاثني عشرية: "واعلم أن جميع فرق الشيعة أخذوا علومهم من أهل البيت، وتنسب كل فرقة منهم إلى إمام أو ابن إمام، ويروون عنهم أصول مذاهبهم وفروعه، ومع ذلك يكذب بعضهم بعضاً ويضلل أحدهم الآخر مع ما بينهم من التناقض في الاعتقادات ولا سيما في الإمامة..."^(٥)

(١) الانتصار لأصحاب الحديث لسمعاني (ص٤٧).

(٢) التبصرة في الدين للإسفراييني (ص٤١)، وانظر: شرح عقيدة أهل السنة الأصبهاني (٢/٢٤٠).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٧).

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٥٣).

ثم يقول: "وقد علم أيضاً من التواريخ وغيرها أن أهل البيت ولا سيما الأَطهار من خيار خلق الله تعالى بعد النبيين وأفضل سائر عباده المخلصين والمقتفين لآثار جدهم سيد المرسلين، فلا يمكن صدور الكذب عنهم، فعلم أنهم بريئون مما ترويه عنهم تلك الفرق المضلة بعضهم بعضاً، بل قد وضعها كل فرقة من هذه الفرق ترويحاً لمذهبهم. ولذا وقع فيها التخالف"^(١).

ويقول الإيجي: "في أن المخالف للحق من أهل القبلة هل يكفر أم لا... جمهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة والمعتزلة الذين قبل أبي الحسين تحامقوا فكفروا الأصحاب فعارضه بعضنا بالمثل وقد كفر المجسمة مخالفوهم وقال الأستاذ كل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه وإلا فلا"^(٢).

وهذا الكلام للإيجي وإن لم يصرح بالشيعة، فإن الشيعة هي الطائفة المتبادرة للذهن عند إطلاق التجسيم، لانتشاره بين علماء الفرق، وخصوصاً المتقدمين، ومر شيء من ذلك •

وقد أطلق بعض غلاة علماء الشيعة ألسنتهم بالتكفير، وبالسب والشتم، وبالتعدي على الآخرين، والتجريح لدينهم أو لشخصهم، ووصفهم بأسوأ الأوصاف، دون نظر بصير، وفحص دقيق، بناءً على أصل معتقدتهم الغالي وشعارهم المرفوع: (من خالفنا الرأي أو المعتقد فهو كافر مشرك!!)^(٣)، فلم يسلم من شرهم لا صحابي، ولا إمام مذهب فقهي، ولا بلد من البلدان، ولا حتى أحد من فرقهم الشيعية المخالفة، فكفروا الفطحية، والواقفية، والشيخية، والإسماعيلية، والزيدية!! بل كفر الغلاة بعضهم بعضاً!^(٤)

(١) مختصر التحفة للألوسي (ص ٨٢).

(٢) الموافق للإيجي (٣/ ٥٦٠).

(٣) أوائل المقالات للمفيد (ص ٥١-٥٢).

(٤) التكفير عند الشيعة لخالد الزهراني (ص ٦٠).

يقول المجلسي في (البحار): "أقول: كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية والواقفة^(١) وغيرهم من الفرق المضلة المبتدعة"^(٢).

يفسر ما سبق هذه الرواية ف"عن ابن أبي عمير عمّن حدثه قال سألت محمد بن علي الرضا عن هذه الآية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) قال: نزلت في النصاب^(١) والزيدية والواقفة من النصاب"^(٢).

يقول البهبهاني: "...وبالجملة يظهر من كثير من التراجم كترجمة جعفر بن عيسى وزرارة وغيرهما أن كثيرا من الشيعة يخالف بعضهم بعضا ويذمون ويقدحون ويكفرون وربما كان ذلك من دياتهم بأنهم كانوا يرون من آخر ما هو في اعتقادهم وباجتهادهم غلو أو جبر أو تشبيه أو استخفاف به تعالى وربما كان منشؤه قصور فهمهم وعدم قابليتهم لدرك حقيقة الأمر وكثيرا ما كانوا يعرضون الأمر على إمامهم وهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ربما كانوا يمنعونهم وربما كانوا يسكتون أو يوافقونهم بأنه إذا كان كذلك فهو ملعون أو لا تصلوا خلفه أو نظائر ذلك وهم يفهمون الطعن فيه واللعن عليه واقعا على حسب معتقدتهم..."^(٣).

بل والحرب التكفيرية مشتعلة داخل مذهبهم نفسه! وهي بين الأصولية والأخبارية على أشدها، حتى إن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض

(١) الواقفة: وهم الذين واقفوا على موسى بن جعفر فلم يقولوا بإمامة من بعده، ذلك أنهم زعموا أن موسى بن جعفر لم يمت بل هو حي، ويتظرون خروجه كما ينتظر الاثنا عشرية غائبهم المزعوم، المقالات والفرق (ص٩٣) مسائل الإمامة للقمي (ص٤٧).

(٢) بحار الانوار للمجلسي (٣٧/٣٤).

(٣) النصاب هم النواصب جاء في تفسير القمي عند قوله { في عذاب مقيم } : "والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لعلي وذريته عليهم السلام" تفسير القمي (٥١/١٥).

(٤) بحار الانوار للمجلسي (٣٧/٣٤).

(٥) أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١٠/٣٣٠).

الآخر^(١).

يقول الطلقاني: "وأوغل الأخباريون في الازدراء بالأصوليين إلى درجة عجيبة، حتى إن بعض فضلائهم كان لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشيا من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه"^(٢)

وعلى كل فنار التكفير والتضليل عند الشيعة لا تنطفي، سواء لمخالفهم من بني جلدتهم أو من الطوائف الأخرى^(٣).

يجمع هذا كله كلام شيخهم المفيد في حكم المخالف، حيث قال: "اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البيئات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار"^(٤).

هذا الكلام السابق من حيث العموم، فالكفر والبرآة والسباب من الأشياء التي يتساهل فيها الشيعة في إلقاءه على المخالف.

أما في إلقاءه على غير المجسم والمشبه من قبل قدماء وأوائل الشيعة، فإن الله قد ألقى بين أهل البدع العداوة والبغضاء، فتجد في كتب المعطلة أنهم يكفرون المشبهة، وفي كتب المشبهة يكفرون المعطلة، وفي كتب المرجئة يكفرون الخوارج، وفي كتب الخوارج يكفرون المرجئة، أغرى الله ﷻ بينهم العداوة والبغضاء^(٥).

(١) مع علماء النجف لمحمد جواد (ص٤٧).

(٢) الشيخية للطلقاني (ص٣٩).

(٣) انظر: اصول الشيعة للفقاري (٣/١١١٥).

(٤) أوائل المقالات للمفيد (ص٥١-٥٢).

(٥) المصدر السابق (ص١٦)، وانظر: بحار الأنوار للمجلسي (٨/٣٦٦) و(٢٣/٣٩٠).

يبين الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ) حال المشبهة مع مخالفيهم حيث قال: "وتكلمت هذه الرافضة وجعلت له صورة وجسداً، وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير"^(١)

وهذا الذي ينقله الجاحظ هو أمر طبيعي، لمن عرف حال الشيعة في الترامي بالأحكام التي تُخرج من الملة •

يبين ذلك اللالكائي (المتوفى ٨١٤هـ) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة في سياق ما روي في تكفير المشبهة حيث قال: "عن محمد بن عمر بن كميث قال: سمعت وكيع يقول وصف داود الجواربي يعني الرب ﷻ فكفر في صفته فرد عليه المريسي فكفر المريسي في رده عليه إذ قال هو في كل شيء"^(٢).

داود الجواربي "رأس في الرفض والتجسيم" هكذا قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال^(٣)، وأقوال الجواربي في وصف الله مشهورة معلومة في كتب العلماء قال ابن تيمية: "...وقال داود الجواربي: "إن الله جسم وأنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء: من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره" وحكى عن الجواربي أنه كان يقول: "أجوف من فيه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك"^(٤)، إلى غير ذلك من الأقوال التي تثبت اعتناقه لمذهب المشبهة •

(١) المصدر رسالة الجاحظ في بني أمية (ص٩٩) (ضمن كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، المطبعة الإبراهيمية القاهرة (١٩٣٧م) بواسطة أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٣٠).

(٢) شرح اصول اعتقاد اهل السنة للالكائي (١/٥٨٧).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٢٣).

(٤) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٢/٤٤١)، وانظر: الملل والنحل لشهرستاني (٢/١٧٢)، والفرق بين الفرق البغدادي (ص٢٢٨)، مقالات الإسلاميين الأشعري (١/١٨٣)، ودرء تعارض العقل والنقل ابن تيمية (٤/١٤٥).

ويؤكد ما سبق تقريره أيضاً، ما ذكره السمعاني (المتوفى ٥٦٢هـ) فيقول:
 "...والهشامية جماعة من غلاة الشيعة، وهم الهشامية الأولى والأخرى. أما الأولى فهم
 أصحاب هشام بن الحكم الرافضي المفرط في التشبيه والتجسيم، وكان يقول إن
 معبوده جسم ذو حد ونهاية وإنه طويل عريض عميق وطوله مثل عرضه وعرضه مثل
 عمقه، وله مقالات في هذا الفن حكيت عنه.

وأما الهشامية الأخرى فهم أصحاب هشام بن سالم الجواليقي، وكان يزعم أن
 معبوده جسم، وأنه على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع
 يتلألأ بياضاً، وله حواس خمس كحواس الإنسان ويد ورجل وسائر الأعضاء، وأن
 نصفه الأعلى مجوف، إلا الفرج واللحية. وزعم هشام بن الحكم أنه كسبيكة الفضة،
 وأنه بشبر نفسه سبعة أشبار. وكل واحد منهما يكفر صاحبه، ويكفرهما غيرهما"^(١)

فقوله: "وكل واحد منهما يكفر صاحبه، ويكفرهما غيرهما" يبين المقصود من
 وقوع التكفير من قبل القدماء - وهم المجسمة المشبهة - على من خالفهم.
 هذه بعض أقوال من تكلم من العلماء عن تكفير القدماء والأوائل من الشيعة
 المجسمة لمخالفهم.

(١) الأنساب للسمعاني (٥/٦٤٣).

❖ رابعاً: معرفة قولهم عن طريق اللزام من أقوالهم الأخرى:

اللازم من الأدلة التي يستأنس بها، وإلا فإن مسألة "لازم القول قول" من الأمور المختلف فيها بين العلماء.

والناظر إلى أعمدة المجسمة في الفكر الشيعي، أمثال: هشام بن الحكم، وزرارة، وهشام بن سالم الجواليقي وغيرهم، يجد لهم أحكاماً يصدرونها على المخالف، وبهذه الأحكام نعرف آراءهم فيما عداها مما هو أشد من هذه المسألة.

ولعلنا نتكلم عن مسألتين من المسائل المهمة عند الشيعة وهما: الإمامة والصحابة.

فالإمامة: زعم هشام، وزرارة، وغيرهما، أن النبي (عليه الصلاة والسلام) نص على إمامة علي بن أبي طالب في حياته، بقوله "من كنت مولاه فعليّ مولاه" ويقولون "عليّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، ويقولون "أنا مدينة العلم وعليّ بابها"، ويقولون "لعليّ تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وأنه وصي رسول الله وخليفته في ذريته، وهو خليفة الله في أمته، وأنه أفضل الأمة وأعلمهم، وأنه لا يجوز عليه السهو، ولا الغفلة، ولا الجهل، ولا العجز، وأنه معصوم، وأن الله ﷻ نصبه للخلق إماماً لكي لا يهملهم، وأن المنصوص على إمامته كالمنصوص على القبلة وسائر الفرائض^(١).

وهذا القول لم يقل به المشبهة خاصة، بل هو إجماع من قبل الشيعة الاثني عشرية، إنكاره من أعظم الكفر.

يقول شيخهم المفيد ناقلاً هذا الاتفاق: "اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضالّ مُستحقّ للخلود في النار"^(٢).

(١) انظر: الاعتقادات لابن بابويه (ص ١١١)، بحار الأنوار المجلسي (٨/ ٢٧)، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد الملقط (ص ٢٥).

(٢) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (٨/ ٣٦٦)، أنظر: أصول الشيعة للفقاري

بل هذا القول نتج عنه أن قالوا: إنه لم يجتمع الشيعة مع المسلمين في شيء من الدين، فهذا نعمة الله الجزائري يقول: "لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا"^(١)

ونتج أيضا عن مسألة الإمامة تكفيرهم الصحابة خيار هذه الأمة بعد نبيها؛ وذلك لأن "الأمة بأسرها من الطبقة الأولى بايعوا أبا بكر الصديق (رضى الله عنه) فكفروا وارتدوا وزاغوا عن الدين وأن القرآن نسخ وصعد به إلى السماء لردتهم، وأن السنة لا تثبت بنقلهم إذ هم كفار، وأن القرآن الذي في أيدي الناس قد انتقل ووضع أيام عثمان وأحرق المصاحف التي كانت قبل، وأن الأمة قد داهنت وغيرت وبدلت ونافقت لأحقاد كانت لعلي، وأنه ليس لله حجة على خلقه في الدين والشريعة في كتاب ولا سنة ولا إجماع، إلا من قبل الإمام الذي اختصه الله لدينه"^(٢).

فأنت تنظر لقولهما في هاتين المسألتين يتبين لك قولهما فيمن خالفهم بالتشبيه.

وخلاصة ما سبق ذكره في هذا المبحث:

- ١- تكفير وتضليل الشيعة القدماء لمخالفهم من حيث العموم.
- ٢- تكفير وتضليل الشيعة القدماء لمخالفهم من حيث الخصوص.
- ٣- تكفير وتضليل أصحاب البدع والأهواء بعضهم لبعض.

= (٢/٧١٥).

(١) الأنوار النعمانية للجزائري (٢/٢٧٩).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد الملقبي (ص٢٥)، وانظر: الكافي للكليني

(٢/٢٤٤)، وانظر: رجال الكشي (ص٧)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٢/٣٤٥).

الفصل الثاني

الفصل الثاني

التعطيل عند الاثني عشرية

وفيه مبحثان:

✿ المبحث الأول: التعطيل عند المتأخرين.

✿ المبحث الثاني: موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه.

المبحث الأول

التعطيل عند المتأخرين

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول: مذهب الشيعة المتأخرين من خلال كتب الفرق والمقالات.
- المطلب الثاني: مقالة التعطيل من خلال كتب الشيعة.

* * * * *

تمهيد

التعطيل هو المنهج الذي سلكه الشيعة المتأخرون في هذا الزمان، وهي مرحلة في نظري من مراحل الشيعة في التعامل مع أسماء الله وصفاته، ولتقرير هذا الأمر فإننا سوف نبحثه في مطلبين:

المطلب الأول: مذهب الشيعة المتأخرين من خلال كتب الفرق والمقالات •

المطلب الثاني: مقالة التعطيل من خلال كتب الشيعة •



المطلب الأول: مذهب الشيعة المتأخرين من خلال كتب الفرق والمقالات^(١)

سبق أن ذكرنا: أن كتب الفرق أصدق في تبين حال الشيعة من كتب الشيعة أنفسهم، والعلة في ذلك أن كتب الشيعة حملت بين دفتيها من التناقض والتباين ما الله به عليم، بل إنك لا تكاد تجد مسألة إلا وهم يتنازعون فيها، ناهيك عن المصادر التي تقوم عليها أفكار وعقائد الشيعة، فهي أوهن من بيت العنكبوت^{*}

التعطيل هو آخر محطات الشيعة في التعامل مع أسماء الله وصفاته في هذا الزمان؛ إذ إن الشيعة لم يكن لهم عقيدة واحدة يتفقون عليها، وأصول واضحة يرجعون إليها، سوى ما كانوا يعتقدونه في الإمامة والإمام، وأما بقية أمور العقيدة فكما يذكر علي سامي النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي) أنه لكل عصر من عصورهم عقائد تناسب الاتجاهات والأفكار السائدة في ذلك العصر^(١).

الاعتزال هو الفكر السائد في هذا الزمان، والأقرب إلى عقول الناس - كما يظن الشيعة - لهذا ولغيره من الأسباب^(٢) اعتنق المذهب الشيعي القائم على التجسيم والتشبيه فكرة الاعتزال، ولعل من أوائل من ألمح وتكلم عن دخول الفكر الاعتزالي على التشيع من العلماء ابن الخياط المعتزلي (المتوفي سنة ٣٠٠هـ) في كتابه "الانتصار" حيث قال: "أمّا جملة قول الرافضة فهو: "إن الله عز وجل ذو قد وصورة وحد يتحرك

(١) قدم هذا المبحث على التعطيل في كتب الشيعة بخلاف مبحث التشبيه فكان التشبيه في كتب الشيعة ثم في كتب الفرق، وذلك لأن التعطيل عند المتأخرين قد يتغير مع مرور الأيام فهم لا يرسون على مذهب معين وهذه حال اهل البدع.

(٢) نشأة الفكر للنشار (٢/٢١٨) وانظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف عبدالقادر (ص٤٦٩-٤٧٠).

(٣) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف عبدالقادر (ص٤٧٠).

ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل... هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفرأ منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفثهم الرافضة عنهم وتبرأت منهم، فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم وشيطان الطاق وعلي بن ميثم وهشام بن الحكم وعلي بن منصور والسكاك فقولهم ما حكيت عنهم"^(١).

بهذه الكلمات ألمح ابن الخياط (المتوفي سنة ٣٠٠هـ) إلى وجود تيار اعتزالي كان في المجتمع الشيعي وهذا الإلماح لا يكون إلا في شيء ظاهر، وإن كان غالب الشيعة في ذلك الوقت مشبهة، كما بيّن ابن الخياط في كلامه السابق.

ويؤكد هذا الكلام الأشعري (المتوفي سنة ٣٣٠هـ) في كتاب "مقالات الإسلاميين" حيث قال: "الفرقة السادسة من الرافضة يزعمون أنّ ربهم ليس بجسم ولا بصورة، ولا شبيه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم، وأوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه"^(٢)، ثم حكى بعد ذلك تبين مواطن أخذوها من المعتزلة سواء في التوحيد والإرادة، والاستطاعة، وأفعال العباد وفي المعرفة والنظر... إلخ"^(٣)

وهذا الشهرستاني (المتوفي سنة ٥٤٨هـ) يؤكد ما سبق حيث قال: "وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول"^(٤)

وقال قبل ذلك: "وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم... فصارت الإمامية بعضها معتزلة: إما وعيدية، وإما

(١) الانتصار للخياط (ص٦).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٠٥).

(٣) المصدر السابق (١/١١٤-١٤٠).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١/١٧٣).

تفضيلية، وبعضها أخبارية: إما مشبهة، وإما سلفية...^(١)

ويأتي ابن تيمية (المتوفي سنة ٧٢٨هـ) ليؤكد ذلك، وليقدم لنا تحديدا دقيقا في تحول الشيعة من التشبيه إلى التعطيل، حيث قال: "...ولكن في أواخر المئة الثالثة دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي، صاحب كتاب (الآراء والديانات) وأمثاله، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه، ولهذا نجد المصنفين كالأشعري لا يذكرون عن أحدٍ من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم، وإنما يذكرون عن قدمائهم التجسيم وإثبات القدر وغيره، وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم"^(٢).

"ويذكر ابن تيمية أن الشيعة فيهم طوائف تثبت القدر، وتنكر مسائل التعديل والتجوز، ويرى أن المعتزلة هم القائمون بالتعديل والتجوز"^(٣)، وأن شيوخ الرافضة المتأخرين كالمفيد، والموسوي، والطوسي، والكراجلي، وغيرهم إنما أخذ ذلك من المعتزلة، وإلا فالشيعة القدماء لا يوجد في كلامهم شيء من هذا"^(٤).

وهذا يدل على أن اتجاه الاثني عشرية إلى التعطيل قد وقع في فترة مبكرة، حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباري سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة، لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب

(١) الملل والنحل لشهرستاني (١/١٦٥).

(٢) منهاج السنه لابن تيمية (١/٧٢).

(٣) "التعديل والتجوز" المراد به: ما يجب وما لا يجب على في أفعال الله والمعتزلة فيه مشبهه "فهم معطلة في الصفات مشبهه في الأفعال" انظر: التنبيهات السننية للرشيد (ص٤٤٤)، شرح النونية لابن عيسى (١/٦١).

(٤) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/١٦٩).

المعتزلة^(١)

وكثير مما كتبه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك، هو منقول من تفاسير المعتزلة^(٢).

يقول الذهبي (المتوفي سنة ٧٤٨هـ): "إن الروافض والاعتزال تصادقا من حدود سنة ٣٧٠هـ وتواخيا"^(٣).

ويقول القنوجي (المتوفي سنة ١٣٠٧هـ): "قلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي"^(٤).

ويذكر المقرئزي (المتوفي سنة ٨٤٥هـ): أن مقالات المعتزلة قد فشت في صفوف الشيعة^(٥).

وأخيرا يقول أحمد أمين: "أما بعض الشيعة فيزعم أن المعتزلة أخذوا عنهم، وأن واصل ابن عطاء تتلمذ لجعفر الصادق، وأنا أرجح أن الشيعة هم الذين أخذوا من المعتزلة تعاليمهم... ونشوء مذهب الاعتزال يدل على ذلك، وزيد بن علي زعيم الفرقة الشيعية الزيدية تتلمذ على يد واصل بن عطاء، وكان جعفر «الصادق» يتصل بعمه زيد، ويقول أبو الفرج في (مقاتل الطالبين): كان جعفر بن محمد يمسك لزيد بن علي بالركاب، ويسوي ثيابه على السرج، فإذا صح ما ذكره الشهرستاني وغيره من تتلمذه لواصل، فلا يعقل كثيراً أن يتلمذ واصل لجعفر، وكثير من المعتزلة كان يتشيع،

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/١٠٠).

(٢) المصدر السابق (٣/٥-٧).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٢٣٥).

(٤) خبيئة الأكوان للقنوجي (ص٢٢).

(٥) الخطط والاعتبار (٤/١٨٤)، وأنظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف (ص٤٦٣).

فالظاهر أنه عن طريق هؤلاء تسربت أصول المعتزلة إلى الشيعة"^(١).

ولهذا لا يكاد القارئ والمطلع لكتب متأخري الشيعة يلاحظ أو يلمس أي فرق بين كتب المعتزلة، وكتب الشيعة، وخصوصاً في باب الأسماء والصفات، فالقوم يحاكون المعتزلة في ذلك، فالعقل هو ميزان التحكيم، ومرجع الترجيح في باب الأسماء والصفات، والمسائل التي يقررها المعتزلة ويؤمنون بها في هذا الباب تلقفها علماء وشيوخ الشيعة المتأخرون وأخذوا بها، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات^(٢).

بل إن مواطن الشبه والإشكالات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي نفس الشبه والإشكالات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون، إلا أن علماء الشيعة في هذا الباب فارقوا المعتزلة في اسناد أقوالهم التي يقولون بها في باب الأسماء والصفات إلى روايات منسوبة للأئمة المعصومين، التي تقول بنفي الصفات وتعطيلها، مع أنهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يتبع فيه ما رأوه بقياس عقولهم"^(٣).

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية نلمسه في طريقة احتجاجهم على مذهبهم في التعطيل، كما في "النكت الاعتقادية" للمفيد، و"نهج المسترشدين" لابن المطهر وغيرها من كتبهم الكلامية، حيث اعتمدوا المنهج العقلي الكلامي البحث في صفات الله^(٤).

ولا شك أنه مخالف للمنهج الشرعي والعلمي والعقلي؛ إذ إن صفات الله

(١) ضحي الإسلام لأحمد أمين (ص ٢٦٧).

(٢) انظر: أصول الشيعة للقفاري (٢/ ٥٣٥)، وتأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة لعبد اللطيف (ص ٤٦٣).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٠٩).

(٤) انظر: أصول الشيعة للقفاري (٢/ ٥٣٦).

سبحانه من الغيب الذي يتوقف العلم به على الكتاب والسنة، وأن العقل ليس له مجال فيه، إذ هي أمور غيبية *

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: "القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا: فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيها وجب نفيه، مع إثبات كمال ضده، وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيها وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفي، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه: فيفصل فيه: فإن أريد به حقٌ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنى لا يليق بالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجب رده..."^(١)

هذه هي الطريقة الصحيحة في التعامل مع أسماء الله وصفاته.

أما الشيعة فالعقل هو الميزان وهو الحكم وعليه الاعتماد وإليه الملاذ، ومع هذا فإنك تلاحظ أنهم جاءوا بروايات كثيرة عن الأئمة، يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر، وجعفر الصادق، بأنهم يقولون بالتعطيل.

واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات، حيث قال تحت عنوان: (طريقة معرفة الصفات): "هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): كمال الإخلاص نفي الصفات عنه"^(٢).

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى للكوارى (ص ٢١٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٦/٥)، التدمرية لابن

تيمية (ص ٦٥)، ولوامع الانوار للسفاريني (١/٤٠).

(٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني (ص ٢٨).

فترى القوم ليس لهم منهج ثابت، ذلك أن مسلك التقليد عرضة للتناقض، فهم حيناً يعتمدون العقل، وتارة يعتمدون الخبر.. فهم بين مشرب أخباري، ومشرب اعتزالي عقلي يتأرجحون^(١).

إلى جانب هذا الكم من كلام علماء السنة التي قرروا بها وجود الاعتزال في الفكر الشيعي المتأخر، يضاف إليه إعراف بعض رموز الشيعة المعاصرين وهو الدكتور محمود المظفر وهو يناقش هذه القضية: "ويجب أن نؤكد مسبقاً على أن قضية التأثير المتبادل بين الشيعة والمعتزلة غير قابلة للشك"^(٢) وهو يؤكد ما سبق تقريره من أصحاب الفرق.

بهذه النصوص يتضح مدي انتشار معرفة تأثر الشيعة بالمعتزلة عند العلماء

ويظهر هذا التأثير جلياً وواضحاً في المطلب الآتي

(١) انظر: اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٣٥).

(٢) انظر: تقديمه لكتاب الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد لمحمد الطوسي (ص ٩٠).

المطلب الثاني

مقالة التعطيل من خلال كتب الشيعة

لا ينكر الشيعة المتأخرون التعطيل الماثوث في كتبهم، بل يقررون ذلك ويقولون به، ويرون أن هذا المنهج هو الذي يقول به أئمة آل البيت، ويروون عن أئمتهم شيئاً من ذلك .

فقد جاء في كتاب (التوحيد) للصدوق وغيره عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليها السلام قال: "ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل إلى السماء الدنيا فقال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتاج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد فتحده بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين"^(١).

ويفسر هذا التعطيل رواية الكليني في (الكافي) التي قال فيها: "عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت للرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، إنما قال صلى الله عليه وآله: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثالث الأخير وليلة الجمعة في أول

(١) التوحيد للصدوق (ص١٨٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٩٦/٢٦٥)، أنظر: شرح أصول الكافي للمازندراني (٧/١٢٢).

الليل فيأمره فينادي: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء. حدثني بذلك أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله" (١).

وهذان النصان واضحان في التعطل:

فأما الأول: فعطل الصفة بعد ما شبهها، وهذه حال المعطلة فكل معطل مشبه (٢)، فالتعطيل والتشبيه شيان لا ينفكان عن بعضهما البعض، ويظهر هذا جليا في قوله: "...أما قول الواصفين: إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ينزل فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك..". فتوهم نزول الله كنزول المخلوق فعطل الصفة بقوله: "... إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل...".

وأما النص الثاني فالتأويل ظاهر فيه أيضا، وحقيقة التأويل الفاسد هو صرف النص عن ظاهره دون دليل (٣)، ويتضح ذلك بقوله: "... إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنزلُ ملكاً إلى السماء الدنيا..". وهو صرف عن ظاهر النص، فإن نزول الملك ليس خاصا بالثلث الأخير، بل بالملائكة في كل وقت، زد على ذلك أن آخر الحديث يبين أوله، بقوله: "هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له". فهل الملك يقول ذلك (٤)؟!

وفي (البحار) للمجلسي: "عن إبراهيم الكرخي قال: قلت للصادق جعفر بن

(١) الكافي للكليني (٣/٤١٤)، التوحيد للصدوق (ص١٧٦)، بحار الأنوار للمجلسي (٣/٣١٤)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٧/٣٨٨).

(٢) مختصر الصواعق المرسله للموصلي (ص٢٤٤).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٢)، شرح النونية لابن عيسى (٢/١٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٤٠١)، مختصر الصواعق للموصلي (ص٣٩١).

محمد عليهما السلام: أن رجلاً رأى ربه عَلَيْكَ في منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يرى في اليقظة ولا في المنام، ولا في الدنيا ولا في الآخرة" ^(١).

وفي نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه قال: "وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أفأعبد ما لا أرى!

فقال: وكيف تراه! فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا بروية، مرید لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقّة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته" ^(٢).

وفي (بحار الأنوار): "عن ابن طريف، عن الأصبغ في حديث قال: قام إليه رجل يقال له ذعلب فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أراه. قال: فكيف رأيت صفه لنا. قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من

(١) بحار الأنوار للمجلسي (١٦٨/٥٨).

(٢) نهج البلاغة (٩٩/٢).

شيء خارج.. فخر ذعلب مغشياً عليه"^(١).

ومن بعض خطب علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) في نهج البلاغة أنه قال: "الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود... أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه... فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده..."^(٢).

وفي خطبة أخرى له أنه قال: "أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، جل أن تحله الصفات لشهادة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع، وشهادة العقول أنه جَلَّ جَلَالُهُ صانع ليس بمصنوع، فصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعقد معرفته، وبالفكر تثبت حجته..."^(٣) وغير ذلك من الخطب المنسوبة إلى علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).^(٤)

والملاحظ في الكلام السابق هو النفي للصفات الذي سبق تقريره في كتب الفرق والمقالات ويجمع هذا قوله: "...أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٤/٢٧).

(٢) نهج البلاغة (١/١٤).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٤/٢٥٣).

(٤) أنظر: التوحيد الصدوق (ص٣١-٧٧).

الصفات عنه... "من الكلام المنسوب لعلي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وهو يجمل كلام من سبقه من الأئمة في نفي الصفات، وحقيقة نفي الصفات هو التعطيل الذي ينتج عنه العدم.^(١)

وفي مقابل هذا الكم الهائل من النصوص في التعطيل يظهر الجانب الآخر من التشبيه، وقد مر معك شيء من ذلك.

وبينهما يظهر المنهج السلفي الذي يقرر عقيدة السلف، فقد جاء في (بحار الأنوار) وغيره: "عن هشام بن إبراهيم العباسي قال: قلت له يعني أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة، قال: ومن هو؟ قلت: الحسن بن سهل قال: وفي أي شيء المسألة؟ قلت: في التوحيد، قال: وأي شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن الله جسم أو لا جسم؟ فقال لي: إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب. إثبات بتشبيهه، ومذهب النفي، ومذهب إثبات بلا تشبيهه، فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيهه"^(٢).

إلا أن الطرف الأول وهم أهل التشبيه لم يكتب لهم البقاء، لا لمخالفة أقوالهم للمنقول فقط، فإن المنقول الصحيح عند الشيعة لا يكاد يذكر؛ ولكن لمخالفة توجه الناس في ذلك الزمان.

أما التعطيل فهو المذهب الذي كان كبار الشيعة يرون أنه هو المسلك الذي يمكن أن يتقبله الناس فقالوا به، وكافحوا من أجله، بل إن كتب المتأخرين تطفح به، ذكرا وتقريرا، وما ذاك إلا لأن التعطيل الذي غُطي بالتنزيه أقوى قبولا من التشبيه الذي يرفع ويزيل التنزيه.

(١) التدمرية لابن تيمية (ص ٦٠).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٣٠٤)، تفسير العياشي (١/ ٣٧٨).

فلا جرم بعد ذلك عندهم أن تمزج أقوال الأئمة بكلام معتزلي، أو بمعنى أدق بكلام اثني عشري متأخر، فقد جاء في (الكافي) وغيره قول أئمتهم "أن الله ليس كمثل شيء، ليس جسم ولا صورة، ولا تقع عليه الرؤية في الدنيا والآخرة، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وأنه لا جسم ولا صورة وهو جسم الأجسام، ومصور الصور، لم يتجزأ ولم يتناه، ولم يتزايد ويتناقص، ومن زعم أن الله في شيء، أو على شيء أو يحول من شيء إلى شيء أو يخلو منه شيء، لا يشتغل به شيء، فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس ولا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان قريب في بعده بعيد في قربه ومن زعم أن الله تعالى من شيء فقد جعله محدثاً ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً"^(١)

وهذه الروايات كانت غايتها أولاً وبالذات تدعيم الأصل الاعتزالي القديم الذي اعتنقه متأخرو الاثني عشرية^(٢).

أما الطرف الوسط فلم ولن يحكي في كتب الشيعة عن قوله؛ لأنه قول العامة،
والعامة

لقب يطلقه شيوخ الشيعة على أهل السنة والجماعة.

جاء في دائرة المعارف الشيعية ما نصه: "الخاصة في اصطلاح بعض أهل الداربية: الإمامية الاثنا عشرية، والعامة: أهل السنة والجماعة"^(٣).

ويجري كثيراً استعمال هذا اللقب في رواياتهم للأحاديث، فيقولون: هذا عن

(١) الكافي للكليني (١/٨٨-٨٩-٩٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٧٥/٤١٦)، مستدرک الوسائل للطوسي (٣٥٢/٩).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/٢٢).

(٣) دائرة المعارف (١٧/١٢٢).

طريق العامة، وهذا عن طريق الخاصة^(١)، بل الأمر أصبح أشد من ذكر التسمية، بل جعلوا الميزان في معرفة الحق هو مخالفة العامة جاء في رواياتهم: "ما خالف العامة ففيه الرشاد".

فقد جاء في (الكافي) سؤال أحد أئمتهم يقول: إذا .. وجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة (يعني أهل السنة) والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العامة ففيه الرشاد...^(٢)

بل إن شيخهم المجلسي يعقد باباً بعنوان: "الباب الثامن والعشرون ما ترويه العامة (أهل السنة) من أخبار الرسول صلى الله عليه وآله، وأن الصحيح من ذلك عندهم (يعني شيعته) والنهي عن الرجوع إلى أخبار المخالفين إلا في حالة الاحتجاج عليهم من كتبهم"^(٣).

وبهذا التصور لتطور المعتقد عن الشيعة، قد يحدد رسم بياني لحال الشيعة العقدي، وهو كالتالي:

عقائد سلفية كانت متمثلة في علي بن أبي طالب وأحفاده إلى جعفر الصادق، ثم عقائد كلامية عقلية انبرى لها تلاميذ جعفر الصادق، وكان يغلب عليهم التشبيه، أمثال: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ومؤمن الطاق، وانتشر التجسيم، وظهر كتاب (الانتصار المعتزلي)، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري يؤرخ لنا تلك المرحلة الشيعية المجسمة، ثم ظهر كتاب الشيخ المفيد (المتوفي سنة ٤١٣ هـ) "أوائل المقالات" يمثل لنا المرحلة المعتزلية في عقائد الشيعة، أو يمثل لنا تكوين العقائد الشيعية الاثني عشرية، وتابع الشيخ المفيد مشيخة من أعلام المذهب الاثني عشرى

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٤٥).

(٢) انظر: الكافي للكليني (١/٦٧-٦٨)، من لا يحضره الفقيه لابن بابويه (٣/٥)، التهذيب الطوسي (٦/٣٠١)، الاحتجاج للطوسي (ص١٩٤)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/٧٥-٧٦).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢/٢١٤).

كالشريف المرتضي، والرضي، والطوسي، ثم ابن المطهر الحلي في عصر متأخر^(١).

وعلى كل فإن المتأخرين من الشيعة معطلة، بل إن شئت فقل معترلة في باب الأسماء والصفات •

والتحاق الشيعة ومشابقتها للمعتزلة في هذا الباب مع التباعد بينهما في بعض مصادر التلقي إلا أنها اتفقا واتحدا في تعطيل الصفات الذي يسمى عند كلا الطائفتين بالتوحيد •

فلم يبق من التراث الشيعي الجعفري عند المتأخرين إلا ما كان متعلقا بالفقه، فالعقائد التي أخذ بها متأخرو الشيعة لم يعرفها جعفر الصادق، ولا تلامذته، ولا آل البيت، فهو احتضان للمذهب الاعتزالي القائم على العقليات - إن كان فيه عقليات -^(٢) وقد حاول بعض الكتاب أن يفسر هذا الالتقاء بين الطائفتين في باب التوحيد، بأن الاعتزال يرجع إلى التشيع من حيث استناد المعتزلة في النظر إلى بعض الكلمات التي رويت عن علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، أو تلمذة شيوخ المعتزلة على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، أو أن بعض أنصار علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) اعتزلوا الحسن ومعاوية، لما وقع الصلح بينهما، فلزموا منازلهم، فسموا معتزلة، فيكون نشأة الاعتزال من التشيع^(٣).

يقول أبو الحسين الملقب: "وسموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم إليه الأمر فاعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/ ٢٢١)، إلا أن النشار أرتضي أن تكون حقبة جعفر الصادق قريبة للأشعرية •

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢/ ٢٠٩).

(٣) نظرية الإمامة لاحمد صبحي (ص٤٥١)، وانظر: نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار (٢/ ٢٢١).

فسموا معتزلة" (١).

ويبدووا - والله أعلم - أن التقارب بين الطائفتين ناشئ عن أسباب كثيرة (٢)، لكن من أهمها استعانة الشيعة بأصول المعتزلة الكلامية ومنهجهم في الاستدلال لحاجتهم في الرد على خصومهم، وخصوصا الأشاعرة، ولانتشار الاعتزال في ذلك الزمان. (٣)

لذلك يقول ابن تيمية: "ثم عمدتهم في العقليات اليوم على كتب المعتزلة فوافقوهم في القدر وسلب الصفات" (٤).

ويقول أحمد صبحي "وهكذا اقتبس الشيعة أكثر من أصل معتزلي ولكن هذه الأصول كلها تدور حول العدل الذي عاجله المعتزلة من الناحية الإلهية ثم تناوله الشيعة من ناحيته السياسية".

ولا يستبعد أن يكون للحوادث التاريخية أثرها في تقارب الفريقين وذلك حين تعرض المعتزلة للاضطهاد والتشريد منذ عهد المتوكل فلزم عن ذلك تجاوب بين المضطهدين وإن اختلفت مذاهبهم.

ذلك التجاوب هو الذي سهل على متكلمي الشيعة التماس آراء المعتزلة في عهد متأخر لم يعرف عن متكلمي الشيعة الأوائل كهشام بن الحكم وزرارة بن أعين ولذا استقر الاعتزال في مؤلفات الشيعة المتأخرين حتى يومنا هذا" (٥).

ويقول علي سامي النشار بعد استنكاره اعتناق المتأخرين للاعتزال مع كره محمد

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ٣٥-٣٦.

(٢) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة (ص ٤٦٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٤٧٢)، وانظر: نشأة الفكر الفلسفي لعلي سامي النشار (٢/٢٢١).

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص ٢٤).

(٥) نظرية الإمامة لاحمد الصبحي (ص ٤٥٣).

الباقر وجعفر الصادق للمذهب الاعتزالي فيقول: "ونحن لا نجد أدنى فرق بين أي معتزلي وابن المطهر الحلي عالم الشيعة المتأخر الكبير حين يكتب عن عقائد الاثني عشرية الكلامية فيقول: "إن الله عدل حكيم، لا يفعل قبيحا، ولا يخل بواجب، وأن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا يفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوف رحيم بالعباد، يفعل بهم ما هو الأصح والأنفع، وأنه تعالى كلفهم تحييرا لا إجبارا ووعدهم الثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي وإلا لم يبق وثوق بأقوالهم وأفعالهم فتننتقى فائدة البعثة" هذا كلام معتزلي واضح، تبناه مجتهدو الشيعة المتأخرين حين وجدت المعتزلة ملجأ في الشيعة، بعد أن أنزل علماء الأشاعرة الضربات الساحقة بهم، وليس في قدماء الشيعة شيء من هذا، بل إن الإمام جعفر الصادق يقول في الإرادة: "إن الله تعالى أراد بنا شيئا، وأراد منا شيئا، فما أراد بنا طواه عنا، وما أراد منا أظهره لنا، فما بالننا نشتغل بما أراد بنا، عما أراد منا"^(١).

ويتساءل النشار بعد ذلك قائلا ما هي العلة في احتضان الشيعة الاثني عشرية لمذهب المعتزلة في التوحيد والعدل فيجب قائلا: إن دخول كثير من الزيود في الإمامية وعودتهم إليها من الأسباب في احتضان الاثني عشرية للمذهب المعتزلي، حيث حملوا معهم كثيرا من عناصر مذهبهم المعتزلي ومزجوه بمذهب الاثني عشرية وكانت الزيدية متكاملة المذهب الكلامي^(٢).

ثم يحدد النشار تاريخ العقائد الشيعية وتطورها، فذكر أن عقيدة الاثني عشرية كانت معتدلة منذ عهد الإمام علي بن أبي طالب الإمام الأول لهم إلى نهاية عهد حفيديه علي زين العابدين ومحمد الباقر.

فتطورت إلى عقائد كلامية عقلية تتوسط المذاهب وهي أقرب إلى مذهب

(١) نشأة الفكر الفلسفي (٢/٢١٩).

(٢) انظر: نشأة الفكر للنشار (٢/٢٢١).

الاشعرية في ذلك الطور وذلك على يد الإمام السادس وهو جعفر الصادق، ثم عقائد مجسمة على يد تلاميذه كهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ومؤمن الطاق فانتشر التجسيم فظهر كتاب الانتصار للخياط المعتزلي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، يؤرخ تلك المرحلة الشيعية المجسمة، ثم ظهر كتاب المفيد "أوائل المقالات" يمثل لنا المرحلة المعتزلية بعقائد الشيعة الاثني عشرية وتابعه في ذلك أعلام المذهب الاثني عشري كالشريف الرضي والطوسي ثم ابن المطهر في عصر متأخر، وهكذا ظهر واستمر المذهب المعتزلي في المذهب الشيعي وهو مستمر إلى يومنا هذا^(١).

اعتنق المتأخرون من الشيعة المذهب الاعتزالي واعتبروا أصول الدين أربعة: "التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة" وخالف الشيعة المعتزلة في مسألة الوعيد خاصة^(٢).

وإذا أردنا أن نتكلم عن التعطيل عند المتأخرين، فإن التعطيل متعلق بالتوحيد من الأصول السابقة^(٣).

والتوحيد عند المعتزلة هو إثبات الأسماء مع نفي الصفات، فيقولون عليم بلا علم وسميع بلا سمع^(٤).

هذا عند المعتزلة أما الشيعة المتأخرون، فلا يختلفون عن تشبهوا بهم، حتى إن بعض علمائهم صرح بموافقة المعتزلة، ومن صرح بذلك علامتهم ابن المطهر، حيث قال بأن مذهبهم في الأسماء والصفات كمذهب المعتزلة^(٥).

ويؤكد هذا ابن بابويه الملقب بالصدوق (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في تعريفه للتوحيد حيث قال: "التوحيد أن الله تعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء قديم لم يزل

(١) المصدر السابق.

(٢) تقريب الطحاوية لخالد فوزي (١/١٥٦).

(٣) المعتزلة للمعتق (ص ٨٣).

(٤) نهج المسترشدين لابن المطهر (ص ٣٢).

سميع بصير عليم حكيم حي قيوم عزيز قدوس قادر غني. لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان"^(١).

ويقول في موطن آخر: "فأما توحيد الله تعالى ذكره: فهو توحيد بصفاته العلى، وأسمائه الحسنى كان كذلك إلهاً واحداً لا شريك له ولا شبيه"^(٢).

وهذا التعريف يوضحه معرفة حال المعطلة مع أسماء الله وصفاته، فهؤلاء النفاة يقولون "إن الله ليس له صفات ثبوتية؛ لأن ثبوت الصفات يقتضي على زعمهم أن الله مشابه لخلقه، حتى إن ابن بابويه روى أكثر من سبعين رواية تقول: "إنه تعالى لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا كيفية، ولا حركة، ولا انتقال، ولا بشيء من صفات الأجسام، وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة.."^(٣).

بل إن شيخهم محمد الحسيني الشهير بالقزويني (المتوفي سنة ١٣٠٠هـ) والذي يلقبونه بالإمام الثالث عشر؛ لأنه قابل منتظرهم المزعوم ثلاث مرات، قال في وصف الله سبحانه: "لا جزء له، وما لا جزء له لا تركيب فيه، وما ليس بمركب ليس بجوهر ولا عرض، وما ليس بجوهر ليس بعقل ولا نفس ولا مادة ولا صورة ولا جسم، وما ليس بجسم ليس في مكان ولا في زمان ولا في جهة، ولا في وقت، وما ليس في جهة لا كم له ولا كيف ولا رتبة، وما لا كم له ولا كيف له ولا جهة لا وضع له، وما ليس له وضع ولا في وقت ولا في مكان لا إضافة له ولا نسبة، وما لا نسبة له لا فعل فيه ولا انفعال، وما ليس بجسم ولا لون ولا في مكان ولا جهة لا يرى ولا يدرك.."^(٤).

(١) الاعتقادات الصدوق (ص٢١-٢٢).

(٢) التوحيد لابن بابويه (ص٨٦).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص٣١) وما بعدها، واصل مذهب الشيعة (٢/٥٣٧).

(٤) انظر: اصول مذهب الشيعة (٢/٥٣٧).

وحالهم مع الصفات إنما هو إثبات لصفات سلبية، أو إضافية، أو مركبة منهما •
والصفات السلبية التي يثبتها هؤلاء هي: ما كان مدلولها عدماً، وهذا أمر لا يليق
بالله ﷻ مثل قولهم: إن الله واحد، بمعنى: أنه مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول
ومسلوب عنه الشريك.

والإضافية هي: التي لا يوصف الله بها على أنها صفة ثابتة له، ولكن يوصف بها
باعتبار إضافتها إلى الغير، كقولهم عن الله: إنه مبدأ وعلة. فهو مبدأ وعلة باعتبار أن
الأشياء صدرت منه، لا باعتبار صفة ثابتة له هي البداء والعلية.

والمركبة منها هي: التي تكون سلبية باعتبار، وإضافية باعتبار كقولهم عن الله
تعالى: إنه أول فهي سلبية باعتبار أنه مسلوب عنه الحدوث، إضافية باعتبار أن الأشياء
بعده" (١).

ويؤكد هذا الكلام نفي ابن بابوية في " كتاب الاعتقادات " للصفات حيث
قال: " وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع وكل حديث لا
يوافق كتاب الله فهو باطل وإن وجد في كتاب علمائنا فهو مدلس.

والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في
القرآن من نظائرها؛ لأن في القرآن: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (١) ومعنى الوجه:
الدين والدين هو الوجه الذي يؤتى الله منه ويتوجه به إليه.

وفي القرآن: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ (١) والساق: وجه الأمر
وشدته.

(١) فتح رب البرية لابن عثيمين ضمن كتاب القواعد الطيبات لاشرف عبدالمقصود (ص١٦٢).

(٢) سورة القصص الآية (٨٨).

(٣) سورة القلم الآية (٤٢).

وفي القرآن: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(١) والجنب: الطاعة.

وفي القرآن: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢) والروح هي روح مخلوقة جعل الله منها في آدم وعيسى (عليهما السلام)، وإنما قال رُوحِي كما قال بيتي وعبدي وجنتي وناري وسماي وأرضي.

وفي القرآن: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) يعني نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

وفي القرآن: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٤) والأيد: القوة ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾^(٥) يعني ذا القوة.

وفي القرآن: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾^(٦) بقدرتي وقوتي... ثم ذكر نصوص أخرى ثم قال... وليس يرد في الأخبار التي يشنع بها أهل الخلاف والإلحاد إلا مثل هذه الألفاظ، ومعانيها معاني ألفاظ القرآن.^(٧)

فانظر إلى هذا التعطيل الذي لم يقولوا به إلا بعد التشبيه، فإن كل معطل مشبه والذي يجمع بين تعريف ابن بابويه والأمثلة التي ساقها، وبين قول بعض علماء الشيعة، يجد أنهم في باب الصفات معطلة، فهم يزعمون أن الذات عين الصفات، بمعنى أنه ليس وراء ذاته شيء يسمى صفة، فالصفة هي الموصوف.

(١) سورة الزمر الآية (٥٧).

(٢) سورة الحجر الآية (٢٩).

(٣) سورة المائدة الآية (٦٤).

(٤) سورة الذاريات الآية (٤٧).

(٥) سورة ص الآية (١٧).

(٦) سورة ص الآية (٧٥).

(٧) الاعتقادات للصدوق (ص ٢٢-٢٦).

فصفات البارئ عندهم ليست معنى زائدا على ذاته، فالله عالم وسميع، وقادر وبصير، وحي بذاته، لا بشيء زائد عن ذاته يقتضي ثبوت وصف العلم والسمع والقدرة والبصر والحياة^(١)، فالصفات عندهم هي: عين ذاته، فهو قادر بالذات، وعالم بالذات، وحي بالذات، أي: أن ذاته وصفته شيء واحد.

وجعل الصفة هي عين الموصوف هي مكابرة للقضايا البدييات^(٢)، فإن المرء يفرق بين الصفة والموصوف في الإطلاق.

وهذا الأمر أشار إليه بعض مشايخ الشيعة المتقدمين، ومنهم الشيخ المفيد^(٣) وبعض مشايخ الشيعة المعاصرين، ومنهم هاشم معروف الحسني^(٤).

يقول في ذلك العلامة الحلي: "ذهب الشيعة قاطبة إلى القول بأن الذات عين الصفات"^(٥).

ويؤكد هذه العقيدة الكوراني وهو من العلماء المنظرين والمعاصرين للمذهب الشيعي حيث قال: "يعتقد الشيعة إجماعاً أن صفات الله هي عين ذاته"^(٦).

ويقول الشيعي محمد جعفر شمس الدين: "وقد ذهب الإمامية قاطبة إلى القول بعينية الذات والصفات. كما ذهب إلى نفس القول بعض المعتزلة"^(٧)، وأضاف: "إن الحق ما عليه الشيعة الإمامية من القول بتجريد الذات الإلهية عن الصفات. ونحن

(١) انظر: شرح تجريد الاعتقاد لحلي (ص٢٢٩)، عقائد الإمامية محمد رضا المظفر (ص٢٧).

(٢) انظر التدمرية لابن تيمية (ص١٧).

(٣) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري. (ص٥٢).

(٤) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسني (ص١٠-١١).

(٥) شرح تجريد الاعتقاد العلامة الحلي (ص٢٢٩).

(٦) الانتصار للكوراني (٢/١٤٤).

(٧) دراسات في العقيدة الإسلامية (ص١٨٦).

نختار ما عليه الإمامية وبعض المعتزلة، من القول بأن صفاته تعالى عين ذاته، متحدة معها مستدلين بحكم العقل، وبما ورد من النقل"^(١)

وهذا علامة الشيعة المعاصر الطباطبائي يقول: "الصفات الذاتية هي عين الذات المتعالية، من غير أن تتفرع على أمر غيرها"^(٢).

وهؤلاء الشيعة حينما يصرحون بهذا الكلام فهم يستندون إلى روايات مزعومة، كما مر معنا عن الأئمة.

فعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول بزعمهم: "وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله"^(٣).

وهذا الكلام الذي تقوله الشيعة في الصفات ترده النصوص^(٤) النقلية والعقلية. أما النقلية:

فالكتاب والسنة مليئان بآيات الصفات، التي ظاهرهما إثبات الصفات، ولا يقول بغير ذلك إلا من تلوث بفرث التعطيل ودم التشبيه والتمثيل^(٥)، فاقراً إن شئت قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦) وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي

(١) المصدر السابق (ص ١٨٧).

(٢) تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي (٩/ ٢٧).

(٣) نهج البلاغة (١/ ١٤)، وبحار الأنوار للمجلسي (٤/ ٢٥٣).

(٤) المراد بالنص هو الدليل الواضح والنص مالا يحتمل إلا معنى واحداً، وقيل: ما تأويله تنزيهه، وهو مشتق من منصة العروس وهو الكرسي، أنظر: شرح الورقات للفوزان (ص ٧٧).

(٥) أنظر: شرح النونية لأبن عيسى (١/ ٣٣).

(٦) سورة الشورى الآية (١١).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾^(١) وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٢)

ومن السنة قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعون سميعاً بصيراً قريباً، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"^(٣)

وحدِيث "ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"^(٤)

وغير ذلك من النصوص وهذه النظرة للنصوص قال بها جهابذة أهل التعطيل بعد رجوعهم إلى الحق^(٥)، كالرازي، والشهرستاني، والجويني^(٦)، حتى قال الرازي

(١) سورة الحشر الآية (٢٢-٢٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٣) حديث متفق عليه رواه البخاري برقم (٤٢٠٥)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَوَى اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) حديث متفق عليه، رواه البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَوَى اللَّهُ عَنْهُ، وأنظر: شرح الحديث من كتاب ابن تيمية "شرح حديث النزول".

(٥) انظر: تقريب الطحاوية لخالد فوزي (١/١٤٠-١٤٣).

(٦) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني النيسابوري أبو المعالي المشهور بإمام الحرمين ولد سنة ٤١٩ هـ، وتلمذ على والده أبي محمد الجويني له مؤلفات كثيرة منها البرهان في أصول الفقه والورقات، والإرشاد وغيرها، انظر ترجمته في الأنساب (٣/٣٨٦)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٥/١٦٥)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٤٦٨)، وانظر: منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة للدكتور/ أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف.

وهو يحكي نتيجة مشواره الطويل في التعطيل: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن. أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٢).

واقراً في النفسي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾^(٤) علماً^(٥) ثم قال... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"^(٦).

وبهذه النصوص وقع إجماع العلماء على ذلك. يقول ابن قتيبة: "لقد تعمق نفاة الصفات بزعم تصحيح التوحيد بنفي التشبيه، وقالوا الله هو العالم ولا نقول بعلم، وهو القادرة ولا نقول بقدرة والحليم ولا نقول بحلم، وكأني بهؤلاء لم يسمعوا إجماع الناس الذين يقولون: أسالك عفوك، وهو يعفو بحلم، ويعاقب بقدرة، فالعليم هو ذو العلم، والحليم هو ذو الحلم، والعفو هو ذو العفو"^(٧).

ومع هذه النصوص وهذا الإجماع، يأتي العقل مساندا لها، فالعقل لا يتصور وجود وصف لا يقوم بموصوف، كما أنه لا يتصور موصوفاً لا وصف له، ومثل الصفة والموصوف في ذلك كمثل الفعل والفاعل، فلو جاز وجود فاعل ليس له فعل، لجاز وجود فعل بدون فاعل، وإذا استحال وجود الفاعل بدون فعل، استحال أيضاً

(١) سورة طه الآية (٥).

(٢) سورة فاطر الآية (١٠).

(٣) سورة الشورى الآية (١١).

(٤) سورة طه الآية (١١٠).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/١٦٠)، ومجموع الفتاوى (٤/٧٢-٧٣)، والنبوات لابن تيمية (ص٥٢)، وشرح الطحاوية تقريب خالد فوزي (١/١٤١).

(٦) انظر: موقف الشيعة من صفات الله (ص٣٨٢)، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، (٣٧٣-٤١١).

وجود فعل لا فاعل له. وإذا استحال ذلك استحال أيضاً وجود صفة بدون موصوف، كما استحال وجود موصوف بدون صفة؛ لأن العقل يجزم بأنه لا معنى لموصوف إلا من قامت به الصفة، ولا معنى لصفة إلا إذا كانت قائمة بموصوف، فبطل بذلك قول الشيعة: "يستحيل بحكم العقل زيادة الصفات على الذات، وأن الصفات عين الذات" (١)



(١) المصدر السابق، التدمرية لابن تيمية (ص ٣٣).

المبحث الثاني

موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه

* * * * *

تهييد

لم يكن المتأخرون من الشيعة أقل غلوا من المتقدمين في هذه المسألة، إلا أننا حين نناقش هذه المسألة عند المتأخرين ونبحث عنها في كتبهم، نجدهم يناقشونها في أبواب النجاسات، وهل المشبه نجس أو لا^(١)، وإن كانوا يقصدون على وجه الخصوص بالمشبهة "من يثبت الصفات، وخصوصاً أهل السنة والجماعة والأشاعرة"^(٢) إلا أن قولهم هذا يُسحب على متقدميهم القائلين بالتشبيه والتجسيم أصالة.

فهم يريدون أهل السنة والجماعة بهذه الأحكام؛ لأنهم يرون أن كل من أثبت الصفات فهو مشبه ومجسم، وفي مقابل ذلك ينكرون أن يكون التشبيه قد وقع عند متقدميهم، إلا أن الكتب المعتمدة عند الشيعة تأبى ذلك، فقد ذكرت لنا نصوصاً واضحة، لا يدخلها شك ولا ريبه، في تكفير وتضليل المشبهة من متكلميهم، وهو أمر لا يخفي على منصف قرأ كتبهم.

(١) انظر: الحدائق الناضرة ليوסף البحراني (٥/٢٠٢).

(٢) فهذا العالم الشيعي الكبير "المازندراني" يعتقد أن الأشاعرة هم مجوس الأمة، فقد علق على الحديث منسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو قوله: "القدرية مجوس هذه الأمة" فقال: (هم الأشاعرة) أنظر: شرح أصول الكافي (٥/١١).

وأطبق علماء الشيعة على وصف الأشاعرة بالشرك والتجسيم، بسبب إثباتهم بعض الصفات، ووصف الأشاعرة بالشرك والتجسيم يلزم منه وصف كافة أهل السنة والجماعة بالشرك والتجسيم على معتقد الشيعة!

يقول العالم الإمامي الشيعي المازندراني: (الأشاعرة يثبتون له تعالى صفات الجسم ولوازم الجسمية ويتبرؤن من التجسيم.. وهذا تناقض يلتزمون به ولا يبالون، وهذا يدل على عدم تفتنهم لكثير من اللوازم البينة أيضاً، وعندنا هو عين التجسيم) شرح أصول الكافي (٣/٢٠٢).

موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه

ما إن نظر إلى كتب المتأخرين من الشيعة، إلا ونجد البراءة والتكفير والتضليل، لمن قال بالتشبيه والتجسيم، المنقول عن أئمتهم المعصومين - كما يزعمون -، بل نجد أبواباً قد وضعت في النهي عن التشبيه والتجسيم كما فعل "الكليني" في (الكافي) حيث ذكر ثمان روايات في النهي عن ذلك^(١)، وكذلك "الصدوق" في كتاب (التوحيد) حيث ذكر عشرين رواية في النهي عن ذلك^(٢)، وكذلك "المجلسي" في كتاب (بحار الأنوار) ذكر ما يقارب سبعمائة وأربعين رواية في النهي عن التشبيه والتجسيم^(٣).

ثم أتت من بعدهم كتب الشيعة تترى في نقل ما ذكر في هذه الكتب من ذم التشبيه والتجسيم على السنة الأئمة المعصومين، وقد اتفقت جميع هذه الروايات على إطلاق لفظ الإشراف والتكفير والتبرؤ ممن قال بذلك.

لكن قبل ذكر هذه الروايات فإن بين يدينا رواية تُحكي عن الإمام علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ليس لها سند، حيث قال فيها: "سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفاراً ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء"^(٤).

(١) انظر: الكافي للكليني (١/١٠٤-١٠٦).

(٢) انظر: كتاب التوحيد للصدوق (ص٩٧-١٠٤).

(٣) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٨٧)، اصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٥٣٤).

(٤) هنالك فتوى بالشبكة الإسلامية، التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية القطرية بإشراف د. عبد الله الفقيه

الشنقيطي

السؤال: ما رأيكم عن هذه الرواية عن سيدنا علي يقول يرجع من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفاراً (ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء) رواه ابن المعلم القرشي في كتاب نجم المهتدي ورجم المعتدي (واني وضعت نصف الرواية)

فإن هذه الرواية ليس لها زمام يحكم عليه، وليست مذكورة في الكتب المعتمدة عند الشيعة، إلا أن ذكرها أتى في كتب المتأخرين، ومرادهم - والله أعلم - من أثبت الصفات من أهل السنة والجماعة، وإن كان معناه يطبق على من قال بالتشبيه من قدامئهم، إلا أنهم لا يقولون بذلك.

أما رواياتهم في الحكم على المشبه والمجسم، فقد جاء في (البحار) وغيره: "عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن أنكر قدرته فهو كافر"^(١).

وجاء أيضاً: "عن الحسين بن خالد، عن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حديث قال: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة"^(٢).

وجاء في (البحار) ما يبين سبب هذه الرواية ويفسرها: "ف... عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت له: يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقال: يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر قال: فليقولوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله

الجواب: وأما ما ذكرت عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلا يعرف في شيء من كتب السنة كما لا يعلم راوٍ بهذا الاسم المذكور ولا كتاب بهذا الاسم، فالظاهر أنه من تلفيق أهل البدع وافترائهم.

رقم الفتوى: ١٠٦٠٦١ [جزء منها]

تاريخ الفتوى: ١٦ ربيع الأول ١٤٢٩ / ٢٤-٠٣-٢٠٠٨

المفتي: مركز الفتوى

<http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/S...Id&x=46 &y=10>

(١) بحار الانوار للمجلسي (٣/ ٢٩٩)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٨/ ٣٣٩).

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٨/ ٣٤١).

وأله كان يقول في التشبيه والجبر... ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة، يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن والاهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد والانا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا... يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم وليا ولا نصيرا" (١).

و"عن داود بن كثير الرقي، عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلت: يا ابن رسول الله إني دخلت على مالك وأصحابه (٢) فسمعت بعضهم يقول: إن لله وجهها كالوجه وبعضهم يقول: له يدان! واحتجوا لذلك بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "بيدي استكبرت" وبعضهم يقول: هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله؟ قال: وكان متكئا فاستوى جالسا - وقال: اللهم عفوك عفوك. ثم قال: يا يونس من زعم أن لله وجهها كالوجه فقد أشرك، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين..." (٣)

وجاء أيضا" عن داود بن القاسم قال: سمعت علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن وصفه بالمكان فهو كافر، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب. ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبَ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِمَا آيٰتِ اللّٰهِ ۗ ﴾

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٢٩٤).

(٢) هذه من إفتراءات الشيعة على الإمام مالك بن أنس وإلا فإن الإمام مالك ممن عرف بصفاء العقيدة وبعده عن التشبيه انظر: موقف الإمام مالك من العقيدة السلفية، د. محمد بن عبد الرحمن المغراوي.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٢٨٧).

وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٠٥﴾^(١)، وفي رواية: عن "علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ" يقول: من شبه الله بخلقه فهو مشرك، ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر"^(٢).

وفي بعض الروايات يكفرون أو يخرجون من الإسلام من أثبت صفة واحدة، كما جاء في (مستدرك الوسائل) للطوسي: ف"عن الجعفري، قال: قال الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "المشيئة من صفات الافعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد"^(٣).

و"عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - في حديث - قال: من وصف الله بوجه كالوجه فقد كفر"^(٤).

فهذه الروايات السابقة تحكم على المشبه بالتكفير والإشراك، وأن الأئمة منهم برآء، فكل من شبه الله بخلقه ولو بصفة واحدة فهو كافر مشرك.

وعلى ذلك فكل من شبه الله بخلقه من أسلافهم من الشيعة يدخل في هذا الحكم، فهم كفار ومشركون.

وهنالك روايات حُكم فيها على المشبه بألا يعطي من الزكاة ولا يصلي خلفه ف" عن علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عَلَيْهِ السَّلَامُ: جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم، ومن يقول: بقول يونس - يعني ابن عبد الرحمن - ؟ فكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تصلوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة وابرؤوا منهم، برأ الله منهم"^(٥).

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/٢٩٩)، وسائل الشيعة للعالمي (٢٨/٣٤٤)، التوحيد للصدوق وحيد (٦٨/٢٥).

(٢) بحار الانوار (٣/٢٩٣-٢٩٤).

(٣) مستدرك الوسائل للطوسي (١٨/١٨٢).

(٤) بحار الأنوار للمجلسي (٢٤/٢٠١)، وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٨/٣٤٠).

(٥) بحار الانوار للمجلسي (٣/٢٩٢).

وفي بعض الروايات يمنعون من الزكاة فقط جاء في (البحار) وغيره: ف"عن عبد الملك قال: قلت لأبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أسألك جعلني الله فداك؟ قال: سل يا جبلي، عما ذا تسألني؟ فقلت: جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن الله عَجَّلَكَ صورة، وأن آدم خلق على مثال الرب، فيصف هذا ويصف هذا - وأومأت إلى جانبي وشعر رأسي - وزعم يونس مولى آل يقطين وهشام بن الحكم أن الله شيء لا كالأشياء، وأن الأشياء بئنة منه، وأنه بائن من الأشياء، وزعم أن إثبات الشيء أن يقال: جسم، فهو جسم لا كالأجسام، شيء لا كالأشياء، ثابت موجود غير مفقود ولا معدوم، خارج عن الحدين: حد الابطال، وحد التشبيه، فبأي القولين أقول؟ قال: فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أراد هذا الإثبات، وهذا شبه ربه تعالى بمخلوق، تعالى الله الذي ليس له شبه ولا مثل ولا عدل ولا نظير، ولا هو بصفة المخلوقين، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطين وصاحبه. قال: فقلت: يعطى الزكاة من خالف هشاما في التوحيد؟ فقال برأسه: لا" (١).

والكثير الكثير من هذه الروايات التي تُحكى في كتب الشيعة المتقدمين والمتأخرين •

ومع هذه الأخبار المتواترة في كتب الشيعة التي أخرجت بظواهرها كل مشبه ومجسم من دائرة الإسلام، تجد الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) وكذلك الطوسي في كتاب (مستدرك الوسائل)، قد قد بوبا باباً أسماه "باب جملة مما يثبت به الكفر والارتداد" (٢) ذكر فيه بعض مما سبق من النصوص.

إلا أن المتأمل في هذه الروايات يلحظ أنها حكمت على المجسم بالكفر والشرك

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣/ ٣٠٥)، ووسائل الشيعة للحر العاملي (٩/ ٢٢٨).

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي (٢٨/ ٣٣٩)، مستدرك الوسائل لطوسي (١٨/ ١٧٣) ذكر حديث واحد وهو: "عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى، عن الجعفري، قال: قال الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): المشيئة من صفات الافعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا فليس بموحد".

والبراءة، وعدم التوحيد عند القائل، وهذا الأحكام في حقيقة الأمر ليس بينها مغايرة جوهرية، وأن التغاير إنما هو لفظي^(١).

فالإشراك أتى في بعض الروايات، ومرادهم إشراك أحد الصفات الله، يقول شارح الكافي بعد ما حكى أن صفات الله هي عين وجوده قال: "عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قال: سمعته يقول: كان الله عَبْدًا ولا شيء غيره، ذكره في هذا الباب لإفادة أن صفاته الذاتية عين ذاته؛ إذ لو كانت زائدة لكان معه غيره، وأن جميع ما سواه حادث، وقد دلت الأخبار المتواترة عن أهل الذكر (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) على أن من يقول بزيادة الصفات وتكثر المعاني فهو مشرك"^(٢).

وأما البراءة فهي نوع من أنواع الكفر، يقول شارح (الكافي) مولي محمد صالح المازندراني: و"الكفر يطلق على خمسة معان: الأول: إنكار الربوبية... الثاني: إنكار الحق مع العلم بأنه حق... الثالث: ترك ما أمر الله به... الرابع: كفر النعم... الخامس: كفر البراءة..."^(٣).

(١) هل هنالك فرق بين الشرك والكفر عند أهل السنة والجماعة:

نقول المسألة: تحتاج إلى تفصيل

فأما من حيث الأحكام المترتبة على الشرك والكافر، فهي سواء، سواء كانت أحكام دنيوية أو أخروية، مثال الدنيوية: عدم محبتهم، ومثال الأخروية: الخلود في النار، فإنهم في هذه الأحكام فهم سواء، وهذا بإجماع العلماء انظر: موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (٣/١٠٥٤).

وأما من حيث أفعال الفاعلين وأفعالهم، فالمشرك اعترف بالله مع إشراك، وأما الكافر فهو من جحد، وقد يقال: أنه لا فرق بين الشرك والكافر في الأفعال ومن ذهب لذلك الألباني رَحِمَهُ اللهُ وستدل بقوله: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا } في إحدى أشرطة الهدى والنور، انظر: الفتاوى البازية للنساء لابن باز رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني (٥/٤٦٠).

(٣) المصدر السابق (٤/٧١).

وعدم التوحيد يقابله الكفر، ومنع الصلاة خلفه، وعدم إعطائه للزكاة، كلها دليل على عدم إيمانه، وفي نهاية الأمر فإن الكفر هو الحكم الذي أطلقه الأئمة المعصومون على المشبه والمجسم *

وكان سبب هذا الحكم؛ لأن القائل بالتشبيه والتجسيم اتخذ معبودا باطلا، وهذا المعبود توهم له حدا أو كيفية أو صورة أو مقدارا أو أينا أو وضعا إلى غير ذلك من المعاني الوهمية والصور الخيالية والمفاهيم العقلية فهو معبود باطل، إذ المعبود الحق لا ينال له الأوهام، ولا يدركه الأفهام، ولا يعرضه لواحق المحسوسات، ولا يلحقه عوارض الممكنات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، فمن تصوره أو توهمه أو تخيله بنحو من هذه الأنحاء وعبده فقد كفر^(١).

وخلاصه الكلام عندهم فيمن وصف الله أو شبهه " أن من وصفه فقد حده، ومن حده فقد عبده، ومن عبده فقد أبطل أزله، وشبهه بالجسمانية التي يشار إليها بالاشارة الحسية^(٢) .

ومع تلك الروايات المتضاربة في تكفير المشبه والمجسم، إلا أن علماء الشيعة المعاصرين يفصلون في الحكم على المشبه والمجسم، ويرون أن التشبيه والتجسيم على قسمين:

القسم الأول: وهو التشبيه والتجسيم الحقيقي.

وهو أن يريد بلفظة التشبيه والتجسيم، التشبيه والتجسيم الحقيقي، الذي ضابطه " أن الله مثل الإنسان، ذو أبعاد ثلاثة^(٣) وله ما للإنسان من صفات لفظاً بلفظ "، فهذا كفر؛ لأنه يلزم الحدوث، والله ليس بحادث، ويلزم التحيز والتحديد والحاجه

(١) بتصرف بسيط من شرح الكافي للمازندراني (٥/ ١٨١).

(٢) انظر: شرح أصول الكافي للمازندراني: (٧/ ٣٦٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٤/ ٢٥٢).

(٣) طول - عرض - عمق

لغيره، وكل هذه الأمور لا تكون إلا للحادث الممكن، والله ليس بحادث، بل واجب الوجود، وهذا المعنى هو المراد به كما يقولون في نصوص الأئمة.

القسم الثاني: وهو التشبيه والتجسيم اللفظي.

وهو أن يريد بلفظة التشبيه والتجسيم مجرد التسمية فقط فيقال "جسم لا كالأجسام" فهذا في الحقيقة نظير قوله "شيء لا كالأشياء" فالمراد التسمية فقط، دون التزام لوازم اللفظ السابق، وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية في القسم الأول.

يقول صاحب (نتائج الافكار) محمد رضا: "ولا يخفى أن المجسمة على قسمين:

أحدهما: القائلون بالتجسم بالحقيقة وهو القول بأن الله تعالى جسم حقيقة كسائر الأجسام فكما أن الانسان جسم وله أبعاد ثلاثة فكذلك الله تعالى لفظا بلفظ، وهذا القول مستلزم لحدوثه تعالى وتركيبه وتحيزه وتحديدته وحاجته ولا محالة يحكم على المعتقد به بالكفر والنجاسة.

لا يقال يمكن أن يقول مع ذلك بأنه تعالى قديم فالقول بالتجسم غير مستلزم للكفر.

لأننا نقول: إذا قال بالتجسم والقدم فلا بد من أن يكون أجزاء هذا الجسم أيضا قديما ويلزم من ذلك تعدد القدماء وهو أيضا كفر بالله العظيم.

ثانيهما: القول بالتجسم بالتسمية وهو القول بأن الله جسم لا كالأجسام فهو في الحقيقة مجرد اسم وهذا نظير اطلاق الشيء على الله الذي رخص في الروايات الشريفة وقد ورد في بعض الأخبار أنه تعالى شيء لا كالأشياء وعلى أي حال فالمعتقد بهذه العقيدة يقول إن الله جسم ولكنه ليس كسائر الأجسام بلا توجه إلى حقيقة الجسم ولوازمه من الحدوث والافتقار والتركيب، أو جاحدا ونافيا لها عن الله تعالى مع الالتفات إليها بأن الله ليس حادثا ولا مركبا ولا متحيزا ولا مفتقرا وإنما هو جسم،

وكأنه يتناقض في أقواله" (١).

وهذا التقسيم في نظري وإن كان صحيحاً إلا أنهم قالوا به حتى يبرؤوا أو يخرجوا أئمتهم الذين قالوا بالتجسيم، كهشام بن الحكم وغيره، لذلك تجد صاحب هذا الكتاب عقب بعد هذا الكلام بمسألة قول هشام بن الحكم بالجسم " حيث قال: "وأما ما رمي به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم ففيه:

أولاً: أنه ليس المقصود هو التجسيم بالحقيقة، بل الظاهر منه أن المراد: أن الله جسم لا كالأجسام.

وثانياً: أن أكثر أصحابنا على ما قاله علم الهدى السيد المرتضى قدس سره الشريف يقولون إنه أورد ذلك على سبيل الجدل والمعارضة للمعتزلة لا اعتقاداً به حيث إنهم كانوا يقولون إن الله شيء لا كالأشياء فقال لهم: إذا قلت إن القديم تعالى شيء لا كالأشياء فقولوا إنه جسم لا كالأجسام • انتهى

وعلى هذا فهو قد قال بذلك في مقام النقض عليهم لا إن هذا الكلام صحيح عنده أو أنه رَحِمَهُ اللهُ كان معتقداً بذلك، فإنه من أجلاء الأصحاب ومدوح بمدائح بليغة" (٢).

ثم يحكم صاحب كتاب نتائج الافكار على من قال بالتجسيم الثاني بعد أن مهد بممهّدات أثبت فيها أن كثير من الناس لا يدري ماهي اللوازم التي تعقب من قال بالجسم في القول الثاني: "...والحاصل: أنه لما لم يكن تلك المطالب ضرورية يعلمها كل أحد بل يعجز عن دركها عقول كثير من الناس، ويقصر أفهامهم، فلذا لو كان قد اشتبه الأمر على أحد وتخيّل بأن الله جسم لا كالأجسام فليس هو محكوماً بالكفر، هذا حال الجاهل.

(١) نتائج الافكار لمحمد رضا (ص ٢٠٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٢١٠)، وانظر: كنز الفوائد لمحمد بن علي (ص ١٩٨-١٩٩).

وأما من كان عالماً بمعنى الجسم وبلوازم القول بالتجسم وآثاره فالقول بعدم كفره مشكل، ولا يقاس هذا بمن يقول إن الله شيء لا كالأشياء، الذي نص الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على جوازه لأن الشيء لكثرة شموله وشدة اتساع مفهومه ليس محاطاً للذهن فيشمل حتى مثل الباري تعالى باعتبار صرف وجوده بخلاف القول بأنه تعالى جسم لا كالأجسام فإنه نظير القول بأنه تعالى مركب لا كالمركبات وبعبارة أخرى هو في حكم القول بأنه تعالى مخلوق لا كالمخلوقات فالنتيجة أن العالم بمعنى الجسم ولوازمه لو نسبته إلى الباري ولو بهذا النحو الخاص فالظاهر أنه يصير كافراً^(١).

وهذا التقسيم ألمح به قبل ذلك الشيخ المفيد في كتاب (ذبائح أهل الكتاب) وهو يحكي تحريم الأكل من ذبائح أهل الكتاب ولو سموها، يقول: "...والمرتد عن أصل من الشريعة مع إقراره بالتسمية واستعمالها والمشبه لله تعالى بخلقه لفظاً ومعنى، وإن دان بفرضها عند الذبيحة متديناً..."^(٢)، وقول المفيد: "والمشبه لله تعالى بخلقه لفظاً ومعنى" يلزم منه أن الذين قالوا بالجسمية لفظ ليسوا بكفار لجواز أكل ذبائحهم وإن كان لم يذكر المفيد هذا في كتابه السابق.

وهذا التقسيم الذي ذكره صاحب (نتائج الأفكار) ذكره أيضاً صاحب كتاب "الحدائق الناضرة" حيث قال: "...وقال الشهيد الثاني في الروض^(٣) بعد أن عد المجسمة: وهم قسمان: مجسمة بالحقيقة وهم الذين يقولون: إن الله تعالى جسم كالأجسام، ولا ريب في كفر هذا القسم، وإن تردد فيه بعض الأصحاب، ومجسمة بالتسمية المجردة وهم القائلون بأنه جسم لا كالأجسام، وفي نجاسة هذا القسم تردد، وكأن الدليل الدال على نجاسة الأول دال على الثاني، فإن مطلق الجسمية توجب

(١) نتائج الأفكار محمد رضا (٢١٠)

(٢) تحريم ذبائح أهل الكتاب للمفيد (ص ٢١).

(٣) المراد بالشهيد الثاني هو: زين الدين بن علي العاملي ولد سنة ٩١١ وتوفي سنة ٩٦٥ هـ له مؤلفات منها كتاب "روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان"، انظر: مقدمة حقيقة الإيذان للشهيد الثاني (ص ١).

الحدوث وإن غير بعضها بعضاً. انتهى...""^(١).

وقد ألمح شارح (الكافي) المازندراني لهذا التقسيم حيث قال: "... كما ذهب طائفة إلى أنه تعالى جسم لا كالأجسام وطائفة إلى أنه صورة لا كالصورة لما رأوا أهل الحق يقولون هو شيء لا كالأشياء طردوا ذلك في الجسم والصورة فيرد عليهما أن لفظ شيء لا يشعر بالحدوث بخلاف الجسم والصورة على أن جواز إطلاق الاسم عليه موقوف على الإذن وقد وقع الإذن بإطلاق الشيء عليه في القرآن والحديث ولم يقع الإذن بإطلاق الجسم والصورة عليه"^(٢)

ويؤكد ذلك محقق (بحار الأنوار) الدواني فبعد أن قرر ما سبق قال: "... وهوؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية"^(٣)

وهذا التقسيم قال به آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي (المتوفى سنة ١٤١١ هـ) أيضاً واسترضاه حيث قال: "وهو يشرح معني كلمة "المجسمة".... قال: "وهم على طائفتين: فإنّ منهم من يدعي أن الله سبحانه جسم حقيقة كغيره من الأجسام وله يد ورجل إلاّ أنه خالق لغيره وموجد لسائر الأجسام، فالقائل بهذا القول إن التزم بلازمه من الحدوث والحاجة إلى الحيّز والمكان ونفي القدمة، فلا إشكال في الحكم بكفره ونجاسته؛ لأنه إنكار لوجوده سبحانه حقيقة. وأما إذا لم يلتزم بذلك بل اعتقد بقدمه تعالى وأنكر الحاجة فلا دليل على كفره ونجاسته وإن كان اعتقاده هذا باطلاً ومما لا أساس له..."^(٤)

وأخير يقول آية الله الخميني (المتوفى سنة ١٤١٠ هـ): "وأما المجسمة فإن التزموا

(١) الحدائق الناضرة ليوسف البحراني (٢٠٣/٥).

(٢) شرح الكافي للمازندراني (٤٢٩/٥).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٢٨٩/٣).

(٤) التنقيح في شرح العروة الوثقى للخوئي (٧٢/٣).

بأنه تعالى جسم حادث كسائر الحوادث فلا إشكال في كفرهم لإنكار ألوهيته تعالى، ولا أظن التزامهم به، ومع عدمه بأن اعتقد بجسميته تعالى بمعنى أن يعتقد أن الإله القديم الذي يعتقدده كافة الموحدين جسم لنقص معرفته وعقله فلا يوجب ذلك كفرا ونجاسة.

هذا إن ذهب إلى أنه جسم حقيقة، فضلا عما إذا قال بأنه جسم لا كالأجسام، كما نسب إلى هشام بن الحكم الثقة الجليل المتكلم، ولقد ذب أصحابنا عنه، وقالوا: إنما قال ذلك معارضة لطائفة لا اعتقادا وبعض الأخبار وإن ينافي ذلك لكن ساحة مثل هشام مبرأ عن مثل هذا الاعتقاد السخيف، مع أن مراده غير معلوم على فرض ثبوت اعتقاده به" (١)

"وعلى الجملة فالذي يمكن أن يقال قطعاً بلا أي تزلزل وارتياب وتردد واضطراب هو أن من قال بتجسّمه تعالى ملتفتاً إلى لوازمه وتوابعه الفاسدة فهو كافر نجس، وأما غير ذلك فلا" (٢).

وسبب الخلاف في هذه المسألة يبينه صاحب القواعد الفقهية حيث قال: "فالقول بأنه جسم أو شبيهه بالمخلوقات إنكار للضروري، فإن قلنا بأن إنكار الضروري سبب مستقل للكفر وإن لم يكن موجبا لتكذيب النبي (صلى الله عليه وآله) فحالهم معلوم، وأما إن قلنا بأنه ليس سبباً مستقلاً فإن كان ملتفتاً إلى لوازم ما يقول من أن التجسّم واحتياجه إلى المكان والحيز ينافي القدم ووجوب الوجود فهو كافر، لأنه في الحقيقة بناء على هذا لم يدعن بوجود صانع قديم، فليس مقراً بالله خالق السماوات والأرضين.

وأما القول بأن التجسيم والتشبيه بالنسبة إليه تعالى ليس إنكاراً للضروري،

(١) كتاب الطهارة للخميني (٣/٣٤٠).

(٢) نتائج الافكار محمد رضا (ص٢١٣).

لأنّ ظاهر بعض الآيات وبعض الأخبار يوهم ذلك، فلا يخلو من غرابة، وعلى كل حال لا شك في أن التجسيم كفر بالله العظيم، إلا أن يكون ضعيف العقل قاصراً عن فهم لوازم كلامه"^(١)

وهذا الكلام السابق في التفريق في الحكم على من قال بالتجسيم عند الشيعة في نظري راجع إلى سببين:

١- لتبرئة بعض الأئمة الذين اشتهر عنهم هذا القول كهشام بن الحكم

٢- أن كثيراً من الناس حينما يطلق لفظ التجسيم يريد اللفظ دون المعني، وأنه قليل في سواد الناس وعامتهم من كان ملتفتاً إلى أن قوله بتجسيمه تعالى مستلزم لحدوثه وتحيّزه وغير ذلك من الآثار والتوالي الفاسدة فإن أفهامهم بسيطة وعقولهم محدودة"^(٢).

وخلاصة قول الشيعة المتأخرين في الحكم على المشبه والمجسم أن جمهورهم يقول بتكفير من قال بالتشبيه والتجسيم الحقيقي.

يقول صاحب كتاب "الحدائق الناضرة" حيث قال: "...وقال الشهيد الثاني في الروض بعد أن عد المجسمة: وهم قسمان: مجسمة بالحقيقة وهم الذين يقولون إن الله تعالى جسم كالأجسام ولا ريب في كفر هذا القسم وإن تردد فيه بعض الأصحاب..."^(٣).

وهذا القول الذي قالوا به من حيث الجملة "أي تقسيم القول بالتجسيم إلى قسمين" فيه وجه من الصحة، لكن مر معنا قول أهل السنة والجماعة في التعامل مع الألفاظ المجملة ومنها لفظة "التجسيم"، فإن التعامل مع هذا اللفظ يكون بالتفصيل،

(١) القواعد الفقهية السيد البجنوردي: (٣٧٢/٥).

(٢) نتائج الأفكار محمد رضا (ص: ٢١٠).

(٣) الحدائق الناضرة ليوسف البحراني (٢٠٣/٥).

فإن أهل السنة في التعامل مع اللفظ الذي "لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كـ: "الجسم" و"الحيز" و"الجهة" ونحو ذلك... فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم وُرُود ذلك، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه، وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل"^(١).

والعجيب من الشيعة أن هذا التقسيم لو كان صادرا من سلفي أو وهابي^(٢) - كما يزعمون -، لأقاموا الدنيا وما اقعدها، فهم يصفون شيخ الإسلام بالمجسم والمشبه وكلام شيخ الإسلام معلوم لدى العلماء أنه بعيد كل البعد عن القول بالتجسيم، وقد سبق شيء من ذلك، إلا أنها ازدواجية التفكير والنظر بعين واحدة للنصوص، وسوء المقصد جعلهم يقولون ذلك.

وما يقول به الشيعة من حيث الجملة^(٣) يقول به أهل السنة - بالإطلاق العام - ، يقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيها"^(٤).

فأهل السنة لا يختلفون في أن الله ليس كمثلهم، يقول ابن تيمية: "إذ لا يختلف

(١) فتح رب البرية للعثيمين (ص١٠٤)، وانظر: التدمرية لابن تيمية (ص٦٥).

(٢) أسم يطلقه الخصوم على أتباع محمد بن عبد الوهاب، والنسبة هذه في غير محلها وصوابها أن يقال: المحمدية، إن كان هنالك إنتساب له وكل من سار على منهجه في الدعوة إلى الدين الصحيح، قيل له: وهابي، ولكن ليس هناك في الوجود قوم يتبعون سيرته ويقولون عن أنفسهم: إنهم وهابيون، بل أتباعه ينكرون هذا الاسم، انظر: الشيعة هم أهل السنة لعثمان الخميس (ص٥٣).

(٣) قوله "من حيث الجملة" إذ أن منطلق الشيعة يختلف عن منطلق أهل السنة في التكفير فالشيعة يكفرون بمجرد إثبات الصفة ويرون أن هذا تجسيم.

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٩٤).

أهل السنة أن الله تعالى ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة^(١)

ويقول الزيلعي: "والمشبه إذا قال له تعالى يد ورجل كما للعباد فهو كافر ملعون وإن قال جسم لا كالأجسام فهو مبتدع؛ لأنه ليس فيه إلا إطلاق لفظ الجسم عليه وهو موهوم للنقص فرفعه بقوله لا كالأجسام فلم يبق إلا مجرد الإطلاق وذلك معصية تنتهض سببا للعقاب لما قلنا من الإيهام بخلاف ما لو قاله على التشبيه فإنه كافر وقيل يكفر بمجرد الإطلاق أيضا وهو حسن بل أولى بالتكفير..."

بخلاف مطلق اسم الجسم مع نفي التشبيه فإنه يكفر لاختياره إطلاق ما هو موهوم النقص بعد علمه بذلك ولو نفي التشبيه فلم يبق منه إلا التساهل والاستخفاف بذلك^(٢).

ويقول الخادمي في بريقة محمودية: "...والكفر كاعتقاد الجسمية كسائر الأجسام والتفصيل فيما سيذكره المصنف... (وبعضها ليست به) أي بكفر إنكار سؤال القبر واعتقاد أنه جسم لا كالأجسام (ولكنها أكبر من كل كبيرة في العمل).. (وليس فوقها) أي البدعة في الاعتقاد (إلا الكفر)"^(٣).

وفي حاشية ابن عابدين: "...كقوله جسم كالأجسام، وكذا لو لم يقل كالأجسام، وأما لو قال لا كالأجسام فلا يكفر لأنه ليس فيه إلا إطلاق لفظ الجسم الموهوم للنقص فرفعه بقوله لا كالأجسام، فلم يبق إلا مجرد الإطلاق وذلك معصية"^(٤).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/٣٥٦)، وانظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٢/٤١١).

(٢) تبين الحقائق للزيلعي: ١/١٣٥، وانظر: نحو ذلك أيضا في فتح القدير للشوكاني (١/٣٥٠).

(٣) بريقة محمودية للخادمي (١/٩٥).

(٤) حاشية ابن عابدين (١/٥٦٢).

ويقول صاحب حاشية الصاوي على الشرح الصغير: "أي يدل عليه دلالة التزامية كقوله جسم متحيز أو كالأجسام، وأما لو قال: جسم لا كالأجسام فهو فاسق، وفي كفرة قولان رجح عدم كفرة"^(١).

وفي الفواكه الدواني: "وقع نزاع في تكفير المجسم قال ابن عرفة: الأقرب كفرة، واختيار العز عدم كفرة لعسر فهم العوام برهان نفى الجسمية"^(٢).

وفي منح الجليل شرح مختصر خليل في باب يتكلم عن ألفاظ الكفر قال "باب الردة كفر المسلم بقول صريح أو بلفظ يقتضيه) أي يستلزم اللفظ الكفر استلزاما بينا كجحد مشروعية شيء مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة، فإنه يستلزم تكذيب القرآن أو الرسول، وكاعتقاد جسمية الله وتحيزه، فإنه يستلزم حدوثه واحتياجه لمحدث ونفي صفات الألوهية عنه جَلَّالَهُ وَعَظَمَ شَأْنَهُ"^(٣)، يقول النووي من الشافعية في المجموع: "قد ذكرنا أن من يكفر ببدعته لا تصح الصلاة وراءه، ومن لا يكفر تصح، فممن يكفر من يجسم تجسيما صريحا، ومن ينكر العلم بالجزئيات"^(٤).

ويقول صاحب حاشية البجيرمي على المنهج: " (لا نكفره) أي ببدعته خرج من نكفره ببدعته كالمجسمة ومنكري البعث للأجسام وعلم الله تعالى بالمعدوم أو بالجزئيات لإنكارهم ما علم مجيء الرسول به ضرورة فلا يجوز الاقتداء به لكفره، والمعتمد في المجسمة عدم التكفير. اهـ. زي أي ما لم يجسم صريحا وإلا بأن قال: إن الله جسم كالأجسام فيكفر كما قرره شيخنا، والجهوي القائل: إن الله في جهة لا يكفر وإن لزم من الجهة الجسمية؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب"^(٥).

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٤/٤٣٢).

(٢) الفواكه الدواني للنفاوي (١/٣٠٠).

(٣) منح الجليل شرح مختصر خليل لعليش المالكي (٩/٢٠٦).

(٤) المجموع للنووي (٤/١٥٠).

(٥) حاشية البجيرمي على المنهج (١/٣١١).

و خلاصة ما سبق: أن العلماء يكفرون من قال بالتشبيه والتجسيم الحقيقي، وهو قول لأغلبهم كما حكاه ابن تيمية^(١)، بل لا أظن أحداً يختلف في تكفيرهم في هذا الزمان، وقد نقل ابن تيمية عن الرازي إجماع الأمة على تكفير المشبه حيث قال: "أن الأمة مجمعة على أن المشبه كافر"^(٢)، إلا أن مسألة استيفاء الشروط وانتفاء الموانع لا بد أن تكون في حسابان مُطلق الحكم على المشبه.

قال أبو محمد ابن حزم: "قال أبو محمد وكذلك من قال إن ربه جسم فإنه إن كان جاهلاً أو متاولاً فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه فإذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيها عنادا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال أن الله ﷻ هو فلان لإنسان بعينه أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو أن بعد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا غير عيسى بن مريم فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو أمكن أن يوجد أحد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه"^(٣).

ومن لطيف ما نُقل عن ابن تيمية أنه قال: "كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال"^(٤).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٥٦، وانظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٢/٤١١).

(٢) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (٢/٤١١).

(٣) الفصل في الملل والنحل والأهواء لابن حزم (٣/١٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٣٢٦).

الخاتمة

الخاتمة

هذه خاتمة الرسالة وهي تتضمن أهم النتائج، التي يمكن إجمالها في ما يلي:

١- التشبيه والتعطيل شيان متلازمان لا ينفكان، فإذا ذكر التشبيه لزم التعطيل والعكس بالعكس، فكل مشبه معطل، وكل معطل مشبه، لأن المشبهة قد عطلوا البارئ عما يليق به، بتشبيهم إياه بالخلق. كما أن المعطلة قد شبهوه بالعدم بتعطيله عن صفات الكمال التي تليق به.

٢- التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى عند أهل السنة هو: وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يُثبت لله تعالى في ذاته وصفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات والأفعال، أو يُعطى لمخلوق شيء من خصائص الخالق ﷻ وأفعاله التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات.

فالتشبيه والتمثيل مختلفان عند أهل السنة، وإن كان مع التقييد يُراد بأحدهما ما يُراد بالآخر.

٣- التشبيه الذي ضل بسببه من ضل من الفرق وخصوصاً الشيعة الاثني عشرية، نوعان: تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق، وقد لازم هذين النوعين المذهبُ الشيعي الاثنا عشري على مر عصوره.

٤- ظهرت مقالة التشبيه في الإسلام بظهور بدعة التشيع المذموم في الملة الإسلامية عن أصناف من الروافض الغلاة، وأولهم قولاً به هم فرقة السبئية أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي بتأليهه لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، والغلو فيه وإعطائه بعض صفات الربوبية والألوهية، ثم تطور الأمر وانتقل من تشبيه المخلوق بالخالق إلى تشبيه الخالق بالمخلوق وتمثل هذا التشبيه في تلاميذ جعفر الصادق.

٥- الشيعة ليس لهم مسار واحد في العقيدة، بل كان لكل عصر من العصور فلسفه واتجاهات.

٦- الناظر في فرق المشبهة يجد أن معظمهم منشق من المذهب الشيعي، إذ لا يوجد التشبيه والتجسيم والشرك في طائفة من الطوائف المنحرفة مثلما يوجد فيهم، فالشيعة حملة لواء التشبيه بين الفرق والنحل، فقدماؤهم كانوا يقولون بالتجسيم والتشبيه الذي هو قول غلاة المجسمة، وقد ثبت هذا التشبيه عند القدماء عن طريق كتبهم وكتب مخالفيهم من أصحاب الفرق والمقالات •

ومتأخروهم يقولون بالتعطيل متابعة للمعتزلة المعطلة، وقد ثبت هذا عنهم عن طرق كتبهم وكتب مخالفيهم من أصحاب الفرق والمقالات •

وقد استمر قولهم بالتعطيل إلى يومنا هذا المصاحب للتشبيه المتمثل في تشبيه المخلوق بالخالق، وقد فاق المتأخرون أسلافهم في ذلك بإسنادهم التشبيه بالروايات الكاذبة إلى أئمة آل البيت، الذين تبرؤوا منهم ومن مقالاتهم الكفرية الضالة، كما فاق المعاصرون أسلافهم في التشبيه بظهور صور جديد في التشبيه لم تكن عند أسلافهم.

٧- إثبات التشبيه عند المتقدمين من الشيعة في باب الصفات، وأن أوائلهم كانوا مشبهة ومتأخريهم معطلة، ويمكن أن يجعل لهذا المعتقد رسم بياني ذهني، فيقال:

عقائد سلفية كانت متمثلة في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأحفاده إلى جعفر الصادق، ثم عقائد كلامية عقلية انبرى لها تلاميذ جعفر الصادق وكان يغلب عليهم التشبيه، أمثال: هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، ومؤمن الطاق، وغيرهم، ثم تحول المذهب الشيعي إلى التعطيل ويظهر ذلك فيما كتبه المفيد (المتوفي سنة ٤١٣ هـ) في كتابه "أوائل المقالات" وهو ما يمثل المرحلة الاعتزالية، وتابعه بعد ذلك أعلام المذهب الشيعي الاثني عشرية أمثال: الشريف المرتضي، وابن المطهر الحلي، والطوسي، واستقر المذهب على ذلك إلى زماننا.

٨- وحدة الوجود نتاج للقول بالتشبيه ويظهر ذلك جليا في كتابات بعض المتأخرين •

٩- التكفير والتضليل والتبديع سمات عامة في المذهب الشيعي، تلقى على كل مخالف لهم "فمن خالفهم الرأي أو المعتقد فهو كافر مشرك".

١٠- تكفير المشبهة وهم " المتقدمون " لمن خالفهم من المعطلة وهم " المتأخرون "، يظهر في الترامي بألفاظ الكفر والزندقة والبراءة من المعطلة، وعدم إعطاء الزكاة لمن خالف قولهم، وقد ثبت هذا بأمر:

١- تكفير وتضليل الشيعة القدماء لمخالفهم من حيث العموم.

٢- تكفير وتضليل الشيعة القدماء لمخالفهم من حيث الخصوص.

٣- تكفير وتضليل أصحاب البدع والأهواء بعضهم لبعض.

١١- لم يختلف المتأخرون عن المتقدمين في إلقاء ألفاظ التكفير والتضليل والتبديع على مخالفهم، إلا أن حكم المشبهة عند المتأخرين من المعطلة كان أكثر تنظيراً من متقدميهم فيرون أن التشبيه والتجسيم على قسمين:

القسم الأول: وهو التشبيه والتجسيم الحقيقي، وهو أن يريد بلفظة التشبيه والتجسيم، التشبيه والتجسيم الحقيقي، الذي ضابطه " أن الله مثل الإنسان، ذو أبعاد ثلاثة وله ما للإنسان من صفات لفظاً بلفظ "، فهذا كفر؛ لأنه يلزم الحدوث، والله ليس بحادث، ويلزم التحيز والتحديد والحاجة لغيره، وكل هذه الأمور لا تكون إلا للحادث الممكن، والله ليس بحادث، بل واجب الوجود، وهذا المعنى هو المراد به كما يقولون في نصوص الأئمة.

القسم الثاني: وهو التشبيه والتجسيم اللفظي، وهو أن يريد بلفظة التشبيه والتجسيم مجرد التسمية فقط فيقال " جسم لا كالأجسام " فهذا في الحقيقة نظير قوله " شيء لا كالأشياء " فالمراد التسمية فقط، دون التزام لوازم اللفظ السابق، وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصرحين بالجسمية في القسم الأول.

١٢- إثبات تناقض الشيعة بعد معرفة حكم المتقدمين على المتأخرين، وحكم المتأخرين على المتقدمين، ومعرفة عقيدة كل منهما في باب الصفات.

توصية:

١- ذكر الإيجي في كتابه "المواقف" أن قدماء المتكلمين قالوا: "أن ذاته تعالى مماثلة لسائر الذوات وإنما تمتاز عن سائر الذوات بأحوال أربعة الوجوب والحياة والعلم التام والقدرة التامة"^(١) فلو بحث عن عقيدة المتكلمين القدماء في الذات الإلهية وموقفهم من إثبات الصفات، لكان هذا دليلاً مستقلاً في إثبات التشبيه عند متقدمي الشيعة، لأن متقدميهم كانوا من المتكلمين.

٢- كتب الشيعة جمعت بين المتناقضات فلو عملت دراسة عقديّة يقارن فيها بين الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة لظهر هذا التناقض بجلاء، وخصوصاً ما كان متعلقاً بتوحيد الأسماء والصفات.

٣- دين الشيعة مليء بالتناقض والتقية، فلو عملت دراسة حول الكذب والتقية وأثرها في عدم معرفة ما هم عليه من الانحراف والضلال.

* وصلى الله على نبيّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم *

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣ - فهرس الآثار.
- ٤ - فهرس الأعلام.
- ٥ - فهرس الطوائف والفرق.
- ٦ - فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
- ٧ - فهرس الأماكن والبلدان.
- ٨ - فهرس الأبيات الشعرية.
- ٩ - فهرس المصادر المراجع.
- ١٠ - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢١٢		البقرة: ١٥	﴿وَيُنذُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ بَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾
٢٨، ٢٣		البقرة: ٢٢	﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
١٧		البقرة: ٢٥	﴿وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾
٢١٧		البقرة: ٨٩	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِءَ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾
١٨		البقرة: ١٣٧	﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِءَ فَقَدْ ءَاهْتَدُوا﴾
٢٨		البقرة: ١٦٥	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
٢٠٠		البقرة: ٢١٠	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾
٣٥١		البقرة: ٢٥٥	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
١١٣		البقرة: ٢٨٤	﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِءَ اللَّهُ﴾
١١٠		آل عمران: ٢٨	﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ تَقَنَّةً﴾
٧		آل عمران: ١٠٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِءَ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
٢٠٠		آل عمران: ١٣٨	﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧		النساء: ١٠	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾
٢٤		النساء: ٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٨﴾﴾
١٠٣		النساء: ١٣٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ ﴿١٣٧﴾﴾
٢٢٥		المائدة: ٤٨	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾﴾
١٠٦، ١٠٣		المائدة: ٥٥-٥٦	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾
٣٤٨		المائدة: ٦٤	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾
٢٤		المائدة: ٧٢	﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾
٥٩		الانعام: ٦٥	﴿أَوْ يَلِسَكُمْ شِيْعًا ﴿٦٥﴾﴾
٥٩، ٥٨		الانعام: ١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا ﴿١٥٩﴾﴾
٢٣٩، ٩٢		الاعراف: ١٨٠	﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾﴾
٢٢٢		الاعراف: ١٨٠	﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾
٢٢٤		الاعراف: ١٩٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾
٢٢٤		الاعراف: ١٩٧	﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾
١٨٣		التوبة: ٤٠	﴿ثَانِيكٍ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴿٤٠﴾﴾
٨٠		يوسف: ٢٦	﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴿٢٦﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٣		يوسف: ٣٥	﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَتَهُ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٣٥﴾
١١٣		الرعد: ٣٩	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾
٧		الأحزاب: ٧٠-٧١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾
٥٨		الحجر: ١٠	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
٣٤٨		الحجر: ٢٩	﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴿٢٩﴾
١٠٣		النحل: ٨٣	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴿٨٣﴾
٢٣		مريم: ٦٥	﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾
٥٩، ٥٨		مريم: ٦٩	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾
٣٥٢		طه: ٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾
٣٥٢		طه: ١١٠	﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾
١١٢		الأنبياء: ٩٥	﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾
١٠١		النمل: ٥٧	﴿ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٥٧﴾
٥٨		القصص: ١٥	﴿ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴿١٥﴾
٣٤٧، ٢٤٠		القصص: ٨٨	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿٨٨﴾
٥٧		سبأ: ٥٤	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ ﴿٥٤﴾
٥٩		سبأ: ٥٤	﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴿٥٤﴾
٣٥٢		فاطر: ١٠	﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴿١٠﴾
٣٤٨		ص: ١٧	﴿ وَادَّكَّرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴿١٧﴾
٣٤٨		ص: ٧٥	﴿ يَا بَلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ﴿٧٥﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٤٨		الزمر: ٥٧	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾
٢٢٤، ٩٠		الزمر: ٦٥	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطِ عَمَلِكُ وَتَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾
٢٢٥، ٩١		غافر: ١٢	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾
٢٢٢، ٢٠ ٢٥، ٢٣ ٢١٢، ٥٣ ٣٥٢، ٣٥٠		الشوري: ١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
٢٧٢		محمد: ٣٠	﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾
٣٤٨		الذاريات: ٤٧	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾
٥٨		القمر: ٥١	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾
٢٠٢		الرحمن: ٢٦-٢٧	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾
٢٤٠		الرحمن: ٢٧	﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾
٣٥٠		الحشر: ٢٢-٢٤	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾
١١٥		الملك: ٣٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾
٣٤٧		القلم: ٤٢	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾
١٠٣		الانشقاق: ١٩	﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٥		الليل: ٢	﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَىٰ﴾
٢٣		الإخلاص: ٤	﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾



فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما	١١٨
٢	إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ؟	٢٣٥
٣	أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي	١٠٦
٤	أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة	١٦٢
٥	أيها الناس اربعوا على أنفسكم	٣٥١
٦	فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ٧	٧
٧	ما شاء الله وشئت أجعلتني الله ندا	٢٩
٨	نحن - معاشر الأنبياء - أولاد علات، ديننا واحد	٢٢٥
٩	نهي رسول الله أن تسترضع الحمقاء؛ فإن اللبن يشبهه	١٧
١٠	هما ريجانتي	١٦٧
١١	وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء	٥٠
١٢	ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين	٢٤
١٣	يا رسول الله ولدي غلام أسود	٢١٣
١٤	ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا	٣٥١

فهرس الأثار

الصفحة	طرف الأثر	م
٢٧	إن إثبات صفة الاستواء يستلزم منها التشبيه	١
٢١٧	أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج	٢
٢٦	إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد	٣
٢٤٥	عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا	٤
١٦٨	لو أني كنت فيمن قاتل الحسين، ثم أتيت بالمغفرة	٥
٢٧	من قال بصر كبصري، ويد كيدي	٦
١٢٢	نقطع بتكفير غلاة الروافض، في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء	٧
١٦٨	يا أهل الكوفة: إنكم تكون علينا، فمن قتلنا غيركم !!؟	٨

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلام	م
١٦٧	إبراهيم بن يزيد بن قيس النّخعيّ	١
١٩٤، ٣٠	إبراهيم بن يعقوب الدمشقيّ الجوزجاني	٢
١٣٥	أحمد أمين الطباخ	٣
١٥٢	أحمد بن المرتضى اليماني	٤
٢٣	أحمد بن حنبل الشيباني	٥
٢٧٣	أحمد بن زين الدين الأحسائي	٦
٢٨	أحمد بن عبدالحليم، ابن تيمية الحراني	٧
١٨٦	أحمد بن علي بن العباس النجاشي	٨
٤٦	أحمد بن علي بن عبدالقادر المقرزي	٩
١٣٢	أحمد بن علي بن محمد الكناني (ابن حجر)	١٠
١٢٧	أحمد بن عمر بن سريج البغدادى	١١
٢٧٢	أحمد بن محمد مهدي النراقي	١٢
٢٨٢	أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى	١٣
٢٦	إسحاق بن راهويه	١٤
٤٤	الجعد بن درهم	١٥
٤٤	الجهم بن صفوان السمرقندي	١٦
٢٨٩	الحسن بن موسى النوبختي	١٧
١٤٣	الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الحلي	١٨

الصفحة	اسم العالم	م
٤٣	الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني	١٩
١٤٩	القاسم بن إبراهيم الرسى	٢٠
١٦٨	المختار بن أبو عبيد بن مسعود الثقفي	٢١
٢٧	بشر بن غياث بن أبو كريمة المريسي	٢٢
١٣٨	جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي	٢٣
١٥٤	جعفر بن خضر بن شلال النجفي	٢٤
٢٦٩	حسن مهدي الشيرازي	٢٥
٢١١	داود الجواربي	٢٦
١٧	رفيع بن مهران الرياحي (أبو العالية)	٢٧
٢٧٤	روح الله الموسوي الخميني	٢٨
٢٧٠	سليمان الأحمد	٢٩
٢٩٤	طاهر بن محمد الإسفراييني	٣٠
٢٣١	عبدالحسين شرف الدين الموسوي	٣١
١٥٠	عبدالحמיד بن هبة الله بن أبو الحديد المدائني	٣٢
٢٧٠	عبدالرحمن الخيّر	٣٣
٥٨	عبدالرحمن بن علي القرني ابن الجوزي	٣٤
١٦٦	عبدالرحمن بن ملجم المرادي	٣٥
٢٨٢	عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي	٣٦
٣١	عبدالقاهر بن طاهر البغدادي	٣٧
٣٥١	عبدالمملك بن عبدالله بن يوسف الجويني	٣٨
٢٧	عثمان بن سعيد الدارمي	٣٩

م	اسم العالم	الصفحة
٤٠	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري	٣٧
٤١	علي بن إسماعيل الأشعري	٣٦
٤٢	علي بن الحسين بن علي المسعودي	١٤١
٤٣	علي بن حسين بن موسى القرشي (الشريف المرتضى)	٤٧
٤٤	علي بن موسى بن جعفر الهاشمي (الرضا)	١٤٠
٤٥	عمر بن بحر بن محبوب الكناني (الجاحظ)	٢٩٢
٤٦	عمرو بن عبيد بن باب	١٥٢
٤٧	محمد باقر المجلسي	١٥٧
٤٨	محمد بن إبراهيم الشيرازي	٢٧٨
٤٩	محمد بن أبو بكر بن أيوب الزرعي (ابن القيم)	٥٩
٥٠	محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري	١٧
٥١	محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي	٤٢
٥٢	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	٤٦
٥٣	محمد بن الحسن الحر العاملي	١٤٩
٥٤	محمد بن الحسن بن دريد الأزدي	٥٧
٥٥	محمد بن الحسن بن علي الطوسي	٤٧
٥٦	محمد بن النعمان الرافضي	٢١٠
٥٧	محمد بن عبدالرازق الحسيني الزبيدي	٥٧
٥٨	محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني	٣١
٥٩	محمد بن علي بن أبو طالب ابن الحنفية	١٦٩
٦٠	محمد بن علي بن بابويه القمي	١٤٥

الصفحة	اسم العالم	م
٢٧٣	محمد بن علي بن محمد الحاتمي (ابن عربي)	٦١
١٣٧	محمد بن علي زين العابدين الباقر	٦٢
٣٦	محمد بن عمر بن الحسن الفخر الرازي	٦٣
١٧٩	محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي	٦٤
٤٧	محمد بن عمران العكبري المفيد	٦٥
٥٤	محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي	٦٦
١٥٥	محمد بن يعقوب الرازي الكليني	٦٧
١٨٣	محمد حسن بن عبدالله المامقاني	٦٨
٣٠٤	مقاتل بن سليمان بن بشر الخراساني	٦٩
٢٦٨	موسى الصدر	٧٠
٢٣١	ميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي	٧١
١٦٩	يوسف بن عمر الثقفي	٧٢

فهرس الطوائف والفرق

الصفحة	اسم الفرقة أو الطائفة	م
١٣٦	الأرمن	١
٣٣	البيانية	٢
٣٣	الخطابية	٣
٢٨٤	الديصانية	٤
١٩٦	السبائية	٥
٨٢	الفتحية	٦
٣٣	المغرية	٧
٣٣	المنصورة	٨
٢٦٨	النصيري	٩
٣١٨	الواقفة	١٠
٨٢	الواقفية	١١
٣٦٩	وهاي	١٢

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

الصفحة	الكلمة	م
٢٢٥	أبناء علات	١
٢٣٩	أرض ترا	٢
٣٣٠	التعديل والتجويز	٣
٢٠٦	الذات	٤
٢٤	الشرك الأكبر	٥
٣٦٥	الشهيد الثاني	٦
١٥٤	الشيخ	٧
١٦٥	الطبقة	٨
٨٣	العلامة	٩
٧١	الكنية	١٠
٢١٣	أورق	١١
١٨٥	جش	١٢
١٣٧	ذو الثغفات	١٣
١٨٧	ست	١٤
١٨٧	كش	١٥
١٨٥	وجه	١٦
١٩٧	يباهل	١٧

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	اسم المكان أو البلد	م
٢١٦		١ تيباء
٢١٦		٢ فدك
٢١٦		٣ وادي القرى

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت	م
١٧	أَصْبَحَ فِيهِ شَبَهُ مِنْ أُمَّهِ * مِنْ عِظَمِ الرَّأْسِ وَمِنْ خَرْطُمِهِ	١
٢٧٣	الرب عبد والعبد رب * يا ليت شعري من المكلف إن قلت عبد فذاك ميت * أو قلت رب أنى يكلف	٢
١٦٣، ٣١، ١٩٧، ١٩٤	لما رأيت الأمر أمرا منكرا * أجمت ناري ودعوت قنبرا	٣
١٧٢	وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت * غويت وإن ترشد غزيرة أرشد	٤
٣١٦	يا أيها الزيدية المهملة * إمامكم ذا آفة مرسله	٥

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- (١) أثر اليهود والنصارى والمجوس في التشيع: السيد أبو علي المرتضى بن سالم الهاشمي - الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
- (٢) الاثني عشرية في تفسير القرآن: محمد عسال - مخطوط •
- (٣) الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي - تعليق محمد باقر - مؤسسة الأعلمي ١٤٠١ هـ - بيروت •
- (٤) أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي - دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ - بيروت •
- (٥) الاختصاص للمفيد: مجمع المؤتمر العالمي للشيخ المفيد ١٩٩٣ - قم إيران •
- (٦) اختيار معرفة الرجال: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. وانشكا - مشهد إيران.
- (٧) الأربعون حديثاً: الخميني - طبعة دار الكتاب الإسلامي - قم إيران.
- (٨) أصل الشيعة وأصولها: محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ط الرابعة ١٤٠٢ هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- (٩) الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: عبدالقادر محمد عطا صوفي - الغرباء الأثرية - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - السعودية •
- (١٠) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة: محمد بن عبد الرحمن الخميس - دار الصمعيي الرياض •
- (١١) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية: سفر الحوالي - مركز البحوث والدراسات الرياض ١٤٣١ هـ •
- (١٢) أصول الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني - دار الكتب الإسلامية الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - طهران.

- (١٣) اصول مذهب الشيعة الامامية: ناصر بن عبدالله القفاري - الطبعة الثانية - ١٤١٥ هـ
- (١٤) الاعتصام: ابو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي - دار بن عفان - الطبعة الأولى السعودية
- (١٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشرک: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله - دار الكتب العلمية - ١٤٠٢ - بيروت.
- (١٦) الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي - دار العلم للملايين - الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م
- (١٧) أعيان الشيعة، لمحسن الأمين تحقيق حسن الأمين طبعة دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- (١٨) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: ابن القيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي - دار المعرفة - الطبعة الثانية، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ بيروت
- (١٩) الأغاني: أبي الفرج الأصفهاني - دار الفكر - الطبعة الثانية - تحقيق: سمير جابر - بيروت.
- (٢٠) أقاويل الثقات: مرعي الكرمي - مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة الأولى ١٤٠٦ بيروت
- (٢١) الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد، تأليف: محمد بن الحسن الطوسي، دار الأضواء - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بيروت
- (٢٢) الإمام الصادق: محمد الحسين المظفر - دار الزهراء - الطبعة الثالثة - ١٣٩٧ هـ - بيروت
- (٢٣) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة - عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي - دار طيبة - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- (٢٤) الأمثال المولدة: أبو بكر خوارزمي - مجمع ثقافي - ١٤٢٤ هـ أبو ظبي
- (٢٥) الإنتصار لأصحاب الحديث: أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني - مكتبة أضواء المنار - الطبعة الأولى ١٩٩٦ المدينة المنورة

(٢٦) الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث والرابع عشر: علي بن بخيت الزهراني - دار الرسالة - مكة.

(٢٧) الأنساب: الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني - مركز الخدمات والابحاث الثقافية - تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي - دار الجنان

(٢٨) الأنوار النعمانية: نعمة الله الجزائري - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٢٩) الاهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الاسلام: ناصر عبدالكريم العقل - دار الوطن - الطبعة الأولى ١٤١٥ الرياض

(٣٠) أوائل المقالات: المفيد - منشورات المكتبة الحيدرية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - النجف

(٣١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: الشيخ المفيد، تحقيق إبراهيم الأنصاري الزنجاني الخوئني، سلسلة كتب تراث الشيعة العقائدي، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

(٣٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٤٣٢هـ الرياض

(٣٣) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي - إحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - بيروت، وطبعة أخرى مؤسسة الوفاء - الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م بيروت.

(٣٤) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان

(٣٥) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى ت علي شيري - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

(٣٦) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ بيروت

(٣٧) البرهان في معرفة عقائد الأديان؛ أبو الفضل عباس السكسكي، تحقيق بسام العموش، مكتبة المنار، الأردن، الأولى ١٤٠٨هـ.

- (٣٨) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية: أبو سعيد محمد بن محمد الخادمي
- (٣٩) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: للخادمي الحنفي - طبعة دار إحياء الكتب العربية.
- (٤٠) بشرى للشيعة: محمد عبدالله محمد - دار الإيوان - القاهرة
- (٤١) بطلان عقائد الشيعة: محمد عبد الستار التونسى - المكتبة الإمدادية مكة المكرمة
- (٤٢) البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩-٢٠٠٧-المعهد الدولي للدراسات السورية
- (٤٣) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني - مؤسسة قرطبة
- (٤٤) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة: عبداللطيف عبدالقادر - دار الأندلس - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ جدة
- (٤٥) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي - دار الهداية
- (٤٦) تاريخ الإسلام: د. حسن إبراهيم - دار الأندلس - بيروت الطبعة السابعة ١٩٦٤.
- (٤٧) تاريخ الإمامية وإسلافهم من الشيعة - عبد الله فياض - الطبعة الثانية - مؤسسة الأعلمي - بيروت
- (٤٨) تاريخ الفرق الإسلامية. لعلي مصطفى الغرابي، طبع مطبعة محمد علي صبيح بمصر، ١٩٥٩م.
- (٤٩) التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري - السيد هاشم الندوي - دار الفكر - بيروت
- (٥٠) تاريخ بغداد: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت لبنان وطبعة أخرى دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٥١) تأويل مختلف الحديث: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري - دار الجيل تحقيق: محمد زهري النجار - ١٣٩٣ - ١٩٧٢ بيروت.

- (٥٢) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الإسفراييني - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨٣
- (٥٣) التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي: موقع الجامعة الاسلامية •
- (٥٤) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الكبرى الأميرية بولاق - الطبعة الأولى، ١٣١٣ هـ القاهرة •
- (٥٥) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: لأبي القاسم علي ابن حسين بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي - دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ بيروت •
- (٥٦) تجريد التوحيد المفيد: الإمام تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي - دار عالم الفوائد - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ السعودية.
- (٥٧) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي الحنبلي - مكتبة الرشد - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٥٨) تحريم ذبائح أهل الكتاب: المفيد محمد بن محمد النعمان - دار المفيد للطباعة والنشر بيروت •
- (٥٩) تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية - مكتبة دار البيان - الطبعة الأولى - ١٣٩١ - ١٩٧١ دمشق •
- (٦٠) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي - مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م - الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (٦١) التدمرية: احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية - مكتبة العبيكان - الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ الرياض.
- (٦٢) تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دراسة وتحقيق: زكريا عميرات - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ بيروت.
- (٦٣) التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية: محمد باقر الصدر - مكتبة الخانجي - ١٣٧٩ هـ - ١٩٧٧ م - القاهرة.

- (٦٤) تعجيل الندي بشرح قطر الندي: عبدالله الفوزان - مكتبة الرشد - الطبعة الثالثة -
١٤٢٢هـ الرياض
- (٦٥) تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس: الخميني - الناشر مؤسسة
باسدار اسلام.
- (٦٦) تفسير أسماء الله الحسيني: عبد الرحمن السعدي دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد -
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ
- (٦٧) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي - تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي -
المكتبة العلمية - طهران.
- (٦٨) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - دار
طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- (٦٩) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي تصحيح وتعليق طيب الجزائري - الطبعة
الثانية بيروت ١٣٨٧.
- (٧٠) تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي - مؤسسة إسماعيليان - قم.
- (٧١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي - دار الباز - الطبعة الثانية ١٣٩٦ مكة
المكرمة.
- (٧٢) تقريب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني - طبعة دار المعرفة - بيروت، لبنان
سنة ١٣٩٥هـ.
- (٧٣) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن
الجوزي - دار الأرقم بن أبي الأرقم - ١٩٩٧ - بيروت.
- (٧٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي
الشافعي - المكتبة الأزهرية للتراث - الطبعة الثانية، ١٩٧٧ القاهرة.
- (٧٥) التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية: عبدالعزيز الرشيد - دار الرشيد - الطبعة
الثانية - ١٤١٦هـ الرياض.
- (٧٦) تنقيح المقال: عبدالله الممقاني المطبعة المرتضوية - ١٣٤٨هـ - النجف.

- (٧٧) التنقيح في شرح العروة الوثقى: الشيخ علي الغروي المحقق - مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي.
- (٧٨) تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- (٧٩) تهذيب اللغة: منصور بن محمد الأزهري - دار القومية العربية - ١٣٨٤ القاهرة
- (٨٠) التهذيب: للطوسي - دار الكتب الإسلامية - ١٩٨٦ قم
- (٨١) توجيه النظر إلى أصول الأثر: طاهر الجزائري الدمشقي - مكتبة المطبوعات الإسلامية - الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م - حلب.
- (٨٢) التوحيد: محمد بن علي بن بابويه القمي - دار المعرفة - بيروت
- (٨٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: أحمد بن إبراهيم بن عيسى - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ بيروت
- (٨٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- (٨٥) الجامع الصحيح المسمى بصحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حسب ترقيم فتح الباري - دار الشعب - الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ القاهرة
- (٨٦) الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة - بيروت
- (٨٧) حاشية ابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار - شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٣٨٦ هـ.
- (٨٨) حاشية البجيرمي على شرح المنهج المسماة التجريد لنفع العبيد وبهامشه مع الشرح نفائس ولطائف منتخبة من تقرير العالم العلامة: الشيخ الكبير محمد المرصفي - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى - الميمنية - ١٣٣٠ هـ - مصر
- (٨٩) الحاوي للفتاوي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م بيروت

- (٩٠) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني - تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي - دار الراية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
- (٩١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني - مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم (إيران) *
- (٩٢) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم: بكر أبو زيد - دار العاصمة - الطبعة الثانية ١٤١٥ الرياض.
- (٩٣) الحركات الباطنية: محمد أحمد الخطيب - دار عالم الكتب - الطبعة الثالثة ١٤٢٨ هـ - بيروت *
- (٩٤) حق اليقين في معرفة أصول الدين: عبد الله شبر - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٧ م.
- (٩٥) الحكايات في مخالقات المعتزلة من العدلية والفرق بينهم وبين الشيعة الإمامية: الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان ابن المعلم أبي عبد الله، العكبري تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلاي بدون دسم للدار.
- (٩٦) الحكايات للمفيد - نشر مجمع المؤتمر العالمي للشيخ المفيد (١٩٩٣) وأخرى لمصادر الحديث الشيعية - القسم العام تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلاي - الطبعة الثانية - ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.
- (٩٧) الحكومة الإسلامية: للخميني - طبعة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام - الطبعة الرابعة *
- (٩٨) خبيئة الأكوان: محمد صديق خان القنوجي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ بيروت *
- (٩٩) خلاصة الأقوال: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة - المطبعة الحيدرية - الطبعة الثانية - ١٣٨١ هـ - النجف.
- (١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية ثابت الفندي، وآخرون - طهران بود رجمهري.

- (١٠١) الدر المنثور في التفسير بالماثو: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار هجر - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م مصر .
- (١٠٢) درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق: محمد رشاد سالم - دار الكنوز الأدبية - ١٣٩١هـ الرياض
- (١٠٣) دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين - دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى ١٩٧٧ م.
- (١٠٤) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين: أحمد محمد جلي - مركز الملك فيصل للبحوث - ١٤٠٨هـ الرياض .
- (١٠٥) دعوة أهل البدع: خالد بن أحمد الزهراني قدم له: معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - عضو هيئة كبار العلماء.
- (١٠٦) دفع شبه التشبيه: لابي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي - دار الإمام النووي - الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - عمان .
- (١٠٧) رجال ابن داود: ابن داود الحلبي _ منشورات المطبعة الحيدرية - ١٣٩٢هـ - النجف .
- (١٠٨) رجال الكشي: محمد بن الحسن الطوسي تصحيح وتعليق حسن المصطفوي - طهران.
- (١٠٩) رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي - مؤسسة الإسلامي قم تحقيق السيد موسى الزنجاني الشبيري - ١٤٠٧هـ إيران.
- (١١٠) الرد على الرافضة: القاسم ابراهيم - دار الافاق العربية - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ القاهرة.
- (١١١) الرسالة: الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي - المحقق: أحمد محمد شاكر - دار الكتب العلمية.
- (١١٢) رسائل المرتضى: للشريف المرتضى - مطبعة دار القرآن الكريم تقديم و اشراف السيد احمد الحسيني ومطبعة سيد الشهداء - ١٤٠٥هـ قم.
- (١١٣) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم: الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

- (١١٤) سماء المقال في علم الرجال: أبو الهدى الكلباسي - تحقيق مؤسسة ولي العصر للدراسات الاسلامية السيد محمد الحسيني القزويني.
- (١١٥) سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - مكتبة أبي المعاطي ١٤٣٠ هـ .
- (١١٦) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الفكر ١٤٢٨ هـ .
- (١١٧) سنن الترمذي الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.
- (١١٨) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (١١٩) سيرة ابن هشام: لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري تحقيق: مصطفى السقا. إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- (١٢٠) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي رزق الله - طبعة مركز الملك فيصل - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ الرياض.
- (١٢١) الشافي شرح الكافي: عبد الحسين المظفر - مطبعة القرن - الطبعة الثانية - ١٣٨٩ هـ النجف.
- (١٢٢) شجرة طوبى: محمد مهدي الحائري - منشورات المكتبة الحيدرية - الطبعة الخامسة ١٣٨٥ هـ النجف.
- (١٢٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي - الناشر دار بن كثير - ١٤٠٦ هـ - دمشق.
- (١٢٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي - دار طيبة - ١٤٠٢ الرياض تحقيق: د. أحمد سعد حمدان .
- (١٢٥) شرح أصول الكافي: للمولى محمد صالح المازندراني مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعرائي - مطبوعات المكتبة الإسلامية - طهران.

- (١٢٦) شرح العرشية: أحمد بن زين الدين الأوحى الأحسائي - الناشر دار البلاغ للصحافة والطباعة والنشر .
- (١٢٧) شرح العقيدة الأصفهانية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - تحقيق: إبراهيم سعيداي - الرياض .
- (١٢٨) شرح العقيدة الطحاوية: سفر الحوالي - دار الصفوة - الطبعة الأولى ١٤٣٤ .
- (١٢٩) شرح العقيدة الطحاوية: محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني - دار السلام - الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م . ونسخة أخرى بتحقيق أحمد شاكر - وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
- (١٣٠) شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني مع تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - بيروت .
- (١٣١) شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
- (١٣٢) شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل الهراس - دار الهجرة - الطبعة الثالثة - ١٤١٥ هـ السعودية .
- (١٣٣) شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار - مكتبة العبيكان - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- (١٣٤) شرح الكوكب المنير: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار تحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد - مكتبة العبيكان - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- (١٣٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن محمد العثيمين - دار ابن الجوزي - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ الرياض .
- (١٣٦) شرح الورقات في أصول الفقه: عبد الله بن صالح الفوزان - دار المسلم - الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ الرياض .

- (١٣٧) شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف ابن علي بن المطهر الحلي - مع حواشي وتعليقات لآية الله إبراهيم الموسوي الزنجاني - منشورات شكوري - قم.
- (١٣٨) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: عبدالله الغنيان - مكتبة لينة - الطبعة الثانية - ١٤١٣ هـ دمنهور.
- (١٣٩) شرح مسلم المسمى "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - المطبعة المكبري الأميرية - الطبعة السابعة - سنة ١٣٢٣ هـ مصر.
- (١٤٠) شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي - الطبعة الاولى - دار الكتب العلمية - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م - بيروت.
- (١٤١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد الطبعة أولى - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي البابي وشركاه.
- (١٤٢) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي - دار الفرقان، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - بيروت - تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف.
- (١٤٣) الشيخية نشأتها وتطورها: محمد حسن آل الطلقاني - ضمن مجلة العرفان مجلد ٣٣.
- (١٤٤) الشيعة الاثني عشرية في تفسير القرآن: محمد محمد إبراهيم العسال تقديم أحمد سعد حمدان - الطبعة الأولى.
- (١٤٥) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسني - دار القلم - الطبعة الأولى ١٩٧٨ م بيروت.
- (١٤٦) الشيعة في التاريخ: محمد حسين الزين العاملي - مكتبة دار الآثار - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - بيروت.
- (١٤٧) الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية - دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- (١٤٨) الشيعة والتشيع فرق وتاريخ: إحسان إلهي ظهير - دار ترجمان السنة - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

- (١٤٩) الشيعة والتصحيح: موسي الموسوي - دار طيبة ١٤٢٥ هـ .
- (١٥٠) الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة باكستان . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
- (١٥١) صحيح الأدب المفرد: للألباني - دار الصديق - الطبعة الثانية - ١٤١٥ هـ - السعودية .
- (١٥٢) صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري "ومعه فتح الباري" رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيحه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.
- (١٥٣) صحيفة الأبرار: ميرزي محمد تقي - الطبعة الرابعة - ١٩٨٦ م - دار الجيل.
- (١٥٤) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: زين الدين أبي محمد علي النباطي - المكتبة المرتضوية - إيران.
- (١٥٥) الصفدية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - تحقيق: د. محمد رشاد سالم .
- (١٥٦) الصلة بين التصوف والتشيع: مصطفى الشيبى - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية مصر .
- (١٥٧) ضحي الإسلام: أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٢ .
- (١٥٨) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري - دار صادر - الطبعة الأولى - المحقق: إحسان عباس - بيروت .
- (١٥٩) طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٣٩٦ القاهرة .
- (١٦٠) طرائف المقال في معرفة طبقات الرواة: للسيد علي أصغر الجابلقى تحقيق: السيد مهدي الرجائي - مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - الطبعة الاولى - النجف .
- (١٦١) عارض الجهل: راشد الراشد - مكتبة الرشد - الطبعة الثانية - سنة ١٤٢٤ هـ الرياض .
- (١٦٢) عبد الله بن سبأ: سليمان بن حمد العودة - دار طيبة - الطبعة الرابعة ١٤٢٠ الرياض .

- (١٦٣) العدة شرح العمدة: لموفق الدين بن قدامة المقدسي تحقق: صلاح بن محمد عويضة - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- (١٦٤) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، تحقيق وتعليق عليه محمد جواد الطريحي، مؤسسة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَام. انظر موقع مركز الأبحاث العقائدية على شبكة المعلومات الدولية (<http://aqaed.info>).
- (١٦٥) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: ناصر بن علي عائض حسن الشيخ - مكتبة الرشد - الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م - الرياض.
- (١٦٦) العقيدة والشريعة في الاسلام: جولد تسيهر ترجمة د. محمد يوسف موسى ود. علي حسن ود. عبدالعزيز عبدالحق - دار الكتب العلمية الحديثة مصر.
- (١٦٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لأبي محمد محمود بن أحمد العيني - مطبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - القاهرة.
- (١٦٨) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي تحقيق - محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي - دار الجيل - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - بيروت.
- (١٦٩) غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: لفتح محمد الزغبى - مخطوط - ١٤٠٩هـ.
- (١٧٠) الغلو في التكفير: خالد احمد الزهرني - تقديم محمد السعيدى *
- (١٧١) الغيبة: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - الطبعة الثانية - طبع في مطابع النعمان - ومطبعة مكتبة الألفين - الكويت.
- (١٧٢) فتح القدير: للشوكاني - دار المعرفة - بيروت.
- (١٧٣) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب - دار الصميعي - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ الرياض *
- (١٧٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - لبنان.

- (١٧٥) فتح رب البرية: محمد بن صالح العثيمين - ضمن كتاب القواعد الطيبات لأشرف عبدالمقصود - مكتبة اضواء السلف - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ الرياض •
- (١٧٦) فجر الاسلام: احمد امين - مكتبة النهضة - الطبعة الثانية عشر ١٩٧٨م القاهرة •
- (١٧٧) فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي - دار الأضواء - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - بيروت.
- (١٧٨) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الثانية ١٩٧٧ - بيروت.
- (١٧٩) فرق معاصرة: غالب العواجي - مكتبة لينة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ
- (١٨٠) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب . تأليف ميزرا حسن محمد النووي الطبرسي . مصور عن طبعة إيران ١٢٩٨ هـ .
- (١٨١) الفصل في الملل والاهواء والنحل: لابن حزم - مكتبة الخانجي - الطبعة الثالثة - ١٣٢١هـ القاهرة •
- (١٨٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية: كامل مصطفى الشبيبي - الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ - مكتبة النهضة - بغداد.
- (١٨٣) الفهرست: ابن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - ١٣٩٨ - ١٩٧٨ بيروت •
- (١٨٤) الفهرست: محمد بن جعفر الطوسي "شيخ الطائفة" - مؤسسة الوفاء - ١٤٠٣ - بيروت.
- (١٨٥) الفواكه الدواني: أحمد بن غنيم النفراوي المالكي - دار الفكر ، بيروت - ١٤١٥هـ.
- (١٨٦) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي - مكتبة الثقافة الدينية •
- (١٨٧) قاموس الرجال: لآية الله العظمى الشيخ محمد تقي التستري - مؤسسة النشر الاسلامي - الطبعة الأولى - قم.
- (١٨٨) القاموس المحيط - الفيروزآبادي - دار الجليل - الطبع الثالثة بيروت •

- (١٨٩) قلائد الخرائد في اصول الدين: محمد المهدي الشهير بالقزويني - مطبعة الإرشاد
١٩٧٢م
- (١٩٠) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - محمد بن صالح العثيمين - الجامعة
الإسلامية، المدينة المنورة - الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م
- (١٩١) القول المفيد على كتاب التوحيد: العلامة محمد بن صالح العثيمين - دار ابن الجوزي
- الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ السعودية *
- (١٩٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين - دار ابن الجوزي - الطبعة
الثانية - ١٤٢٤هـ - السعودية *
- (١٩٣) كامل الزيارات: لجعفر بن محمد بن قولويه - تحقيق: الشيخ جواد القيومي ولجنة
التحقيق - الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة - الطبعة الأولى *
- (١٩٤) كسر الصنم: آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقي / ترجمة: عبدالرحمن ملازاده/
ط: دار البيان الأردن ١٤٢١هـ *
- (١٩٥) اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية: صالح عبدالعزيز ال الشيخ - دار العاصمة
- الطبعة الأولى ١٤٣١ الرياض.
- (١٩٦) اللباب في تهذيب الأنساب: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري - دار
صادر - ١٩٨٠ بيروت
- (١٩٧) اللباب: لابن الاثير الجزري - مطبعة دار صادر - ١٤١٣ بيروت.
- (١٩٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري - دار صادر - الطبعة
الأولى - بيروت.
- (١٩٩) لسان المحدثين: محمد خلف سلامة - ملفات ورد نشرها المؤلف في ملتقى أهل
الحديث.
- (٢٠٠) لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمي - طبعة ثانية سنة ١٣٩٠هـ،
بيروت *

- (٢٠١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي - مؤسسة الخافقين - الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دمشق.
- (٢٠٢) لئلى الأخبار: آيه الله محمد نبي التوسيركاني - مطبعة شركة جاب، ايران تبريز.
- (٢٠٣) المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين: الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- (٢٠٤) المجلى في شرح القواعد المثلي: كاملة الكواري - دار ابن حزم - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ بيروت
- (٢٠٥) مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي - مؤسسة الوفاء - الطبعة الثانية ١٤٠٣ - بيروت.
- (٢٠٦) المجموع شرح المهذب: للامام ابي زكريا محي الدين بن شرف النووي - دار الفكر
- (٢٠٧) مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي وساعده ابنه محمد، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٢٠٨) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - دار الكتب العلمية - ٢٠٠٠ م بيروت
- (٢٠٩) المحلى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري - مطبعة الإمام - مصر
- (٢١٠) مختصر التحفة الاثني عشرية: أصل الكتاب لعبد العزيز غلام حكيم الدهلوي - اختصره وهذبه علامة العراق محمود شكري الألوسي - المطبعة السلفية، ١٣٧٣ هـ القاهرة
- (٢١١) مختصر الصواعق المرسله لابن القيم: اختصار محمد بن الموصلي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٢١٢) مختصر العلو: محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة: الثانية - ١٤١٢ المكتب الإسلامي - بيروت

(٢١٣) المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده - تحقيق: خليل إبراهيم جفال - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢١٤) مدينة المعاجز: للسيد هاشم البحراني - مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.

(٢١٥) مذاهب الإسلاميين: لعبد الرحمن بدوي - الطبعة الأولى ١٩٧١ م - دار العلم للملايين.

(٢١٦) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: محمد باقر المجلسي - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - دار الكتب الإسلامية - طهران.

(٢١٧) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري - مكتبة القدسي - الطبعة الثالثة - سنة ١٣٥٧.

(٢١٨) المراجعات: الإمام السيد عبد الحسين الموسوي - مؤسسة الوفاء - تقديم: السيد حسن الشيرازي.

(٢١٩) المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين - تحقيق حسين الراضي - الناشر الجمعية الاسلامية - الطبعة الثانية ١٩٨٢ م.

(٢٢٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ط. التجارية، القاهرة، ١٣٧٧ / ١٩٥٨.

(٢٢١) مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة: ناصر القفاري - دار طيبة - الطبعة السادسة - سنة ١٤٢٠ هـ الرياض.

(٢٢٢) مسائل الامامة: عبدالله ناشئ الأكبر - المعهد الألماني للأبحاث - ١٩٧١ بيروت •

(٢٢٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: عبدالاله بن سلمان الأحمدى - دار طيبة - الطبعة الثانية - ١٤١٦ هـ السعودية.

(٢٢٤) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي

(٢٢٥) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - ١٤١١ - ١٩٩٠ بيروت.

- (٢٢٦) مستند الشيعة في أحكام الشريعة، أحمد بن محمد مهدي النراقي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - مشهد، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- (٢٢٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- (٢٢٨) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار: السيد عبد الله شبر - تحقيق اية الله السيد علي شبر - اصدار مكتبة تصبيري - قم .
- (٢٢٩) مصباح الهداية: الخميني - مؤسسة الوفاء - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ بيروت .
- (٢٣٠) مع علماء النجف: محمد جواد مغنية - دار مكتبة الهلال لدار الجواد - ١٩٨٤ .
- (٢٣١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي - دار ابن القيم - الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - الدمام .
- (٢٣٢) المعالم الأثرية في السنة والسيرة: محمد محمد حسن شراب - الطبعة الأولى - سنة ١٤١١ هـ.
- (٢٣٣) معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري - دار طيبة - الطبعة الأولى الرياض .
- (٢٣٤) المعتزلة: عواد المعتق - مكتبة الرشد - الطبعة الثانية - ١٤١٦ هـ الرياض
- (٢٣٥) معجم الأماكن الواردة ذكرها في القرآن: سعد بن عبدالله بن جنيدل - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ الرياض .
- (٢٣٦) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، مصر، المطابع الأميرية.
- (٢٣٧) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة - مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي
- (٢٣٨) معجم رجال الحديث: الخوئي - الطبعة الأولى - النجف.
- (٢٣٩) معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس - دار الجيل - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ بيروت .
- (٢٤٠) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - بيروت .

- (٢٤١) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن - دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر تحقق: نور الدين عتر - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٢٤٢) مفتاح الكتب الأربعة: محمود الموسوي - مطبعة الآداب - ١٣٨٦ هـ قم.
- (٢٤٣) المقاصد الحسنة: السخاوي: الطبعة أولى ١٣٩٩ هـ - دار الكتب العلمية بيروت.
- (٢٤٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - تحقيق: هلموت ريتز - بيروت.
- (٢٤٥) المقالات والفرق: سعد عبدالله الأشعري - نشر مؤسسة مطبوعاتي عطاني - ١٩٦٣ م - طهران.
- (٢٤٦) المقالات والفرق: سعد عبدالله القمي - نشر مؤسسة مطبوعاتي عطاني - طهران ١٩٦٣ م.
- (٢٤٧) مقاله التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر بن دريس أمير - أضواء السلف - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- (٢٤٨) مقدمة ابن خلدون: لابن خلدون - دار الشعب - الطبعة الأولى - القاهرة.
- (٢٤٩) مكانة المرأة في الاسلام: الخميني - مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني *
- (٢٥٠) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني - دار المعرفة - ١٤٠٤ هـ - تحقيق: محمد سيد كيلاني - بيروت.
- (٢٥١) من عقائد الشيعة: عبدالله محمد السلفي - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ دون ذكر الدار *
- (٢٥٢) من لا يحضره الفقيه: ابن بابويه - دار صعب ودار المعارف - ١٤٠١ هـ - بيروت *
- (٢٥٣) المنتقى من منهاج الاعتدال اختصار الذهبي - تحقيق محب الدين الخطيب - مكتبة المؤيد - بدون تاريخ .
- (٢٥٤) منح الجليل شرح مختصر خليل: محمد عlish المالكي - دار الفكر . ط ١٤٠٩ هـ.
- (٢٥٥) منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام بن تيمية - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى *
- (٢٥٦) المنهج السلفي عند الألباني: عمرو عبدالمنعم سليم - بدون طبعة

- (٢٥٧) المواقف: عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي - دار الجيل - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ بيروت تحقيق عبدالرحمن عميرة *
- (٢٥٨) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي: سعدي ابو الجيب - دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ دمشق *
- (٢٥٩) موسوعة الإمام جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام - موقع الميزان *
- (٢٦٠) الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل الكويت - الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصنفوة مصر - الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة من ١٤٠٤ هـ - ١٤٢٧ هـ.
- (٢٦١) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب: باشراف مانع الجهني دار الندوة العالمية الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ الرياض.
- (٢٦٢) موقف الشيعة من صفات الله (ص ٣٨٢)، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، (٣٧٣ ص ٤١١) *
- (٢٦٣) ميزان الاعتدال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق - علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود
- (٢٦٤) النبوات: لشيخ الإسلام ابن تيمية - طبعة مكتبة الرياض الحديثة وطبعة أخرى دار الكتاب العربي *
- (٢٦٥) نتائج الافكار: محمد رضا - دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى - ١٤١٣ هـ.
- (٢٦٦) نشأة الفكر الفلسفي: علي سامي النشار - دار المعارف - الطبعة السابعة بيروت *
- (٢٦٧) نظرية الإمامة: احمد محمود الصبحي دار المعارف بمصر *
- (٢٦٨) نقد الرجال: السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - الطبعة الأولى - قم
- (٢٦٩) نقد الرجال: السيد مصطفى بن الحسين التفرشي - الطبعة الأولى - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- (٢٧٠) نقض تأسيس الجهمية: لابن تيمية - تعليق محمد القاسم - مطبعة حكومية القاهرة

- (٢٧١) النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر - أضواء السلف - الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - الرياض.
- (٢٧٢) النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: جاسم الدوسري - الطبعة الأولى - دار الخلفاء - ١٤٠٤ هـ - الكويت.
- (٢٧٣) نهج المسترشدين: الحسن بن يوسف الحلي - مجمع الذخائر الإسلامية قم
- (٢٧٤) نوادير المعجزات في مناقب الأئمة الهداة المؤلف: محمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم.
- (٢٧٥) نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين: السيد نعمة الله الموسوي الجزائري - تحقيق السيد الرجائي - الطبعة الأولى - مؤسسة النشر الاسلامي - ١٤١٧ هـ.
- (٢٧٦) نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني - المطبعة العثمانية - الطبعة الأولى - سنة ١٣٥٧ هـ مصر.
- (٢٧٧) هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي - دار العلوم الحديثة - بيروت.
- (٢٧٨) هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الإسلام وأستاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة: عبد الله نعمة رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا - دار الفكر اللبناني الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ.
- (٢٧٩) هوية الشيعة أحمد الوايلي دار الزهراء بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ.
- (٢٨٠) الوافي: الفيض الكاشاني - المكتبة الإسلامية - الطبعة الثانية - طهران.
- (٢٨١) وجاء دور المجوس: عبدالله محمد الغريب - الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.
- (٢٨٢) وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - الطبعة: الأولى - جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ.
- (٢٨٣) الوشيعة في كشف شنائع عقائد الشيعة: د. صالح الرقب - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- (٢٨٤) الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة: د. صالح الرقب - الطبعة الأولى. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

- (٢٨٥) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: موسي جار الله مكتبة الكليات الازهرية.
(٢٨٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
بن خلكان - دار صادر - بيروت.
(٢٨٧) الوهابية والتوحيد: على الكواري العاملي - دار السيرة - الطبعة الثانية .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	A summary of the thesis
٥	شكر وتقدير
٦	المقدمة
٩	أسباب اختيار الموضوع
١٠	خطة البحث
١٢	التهييد
١٤	المبحث الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل، والتعطيل
١٦	المطلب الأول: مفهوم التشبيه والتمثيل
١٦	أولاً: تعريف التشبيه والتمثيل
٢٠	ثانياً: ما الأدق في النفي، هل هو نفي التشبيه أو التمثيل
٢٣	ثالثاً: أقسام التشبيه
٢٥	رابعاً: مفهوم التشبيه عند أهل السنة والجماعة
٣٠	خامساً: مفهوم التشبيه عند الشيعة الاثني عشرية
٣٠	المرحلة الأولى: (التشبيه عند قدماء الشيعة)
٤٠	المرحلة الثانية: (التشبيه عند المتأخرين)
٤٢	المطلب الثاني: مفهوم التعطيل
٤٢	تمهيد

الصفحة	الموضوع
٤٢	أولاً: تعريف التعطيل
٤٤	ثانياً: أول من قال بالتعطيل
٤٥	ثالثاً: كيف انتقل التعطيل إلى الشيعة؟ ومتى؟
٥٠	رابعاً: أسباب انتقال التعطيل إلى الشيعة
٥٢	خامساً: ما الأعظم شراً التشبيه أو التعطيل؟
٥٥	المبحث الثاني: تعريف موجز بالشيعة الاثني عشرية
٥٧	المطلب الأول: تعريف الشيعة لغة واصطلاحاً
٦٣	المطلب الثاني: الشيعة وأصل ظهورهم وتطورهم
٦٨	المطلب الثالث: الألقاب والأسماء التي يطلقها مؤرخو الفرق على الاثني عشرية
٧٥	المطلب الرابع: أشهر شخصيات الشيعة على مر العصور
٧٨	المطلب الخامس: الكتب المعتمدة عند الاثني عشرية
٨٥	المطلب السادس: مجمل عقائد الشيعة الاثني عشرية
٨٥	عقيدتهم في القرآن
٨٧	عقيدتهم في السنة المطهرة
٨٩	عقيدتهم في أصول الدين
١٠٢	عقيدتهم في الصحابة
١٠٤	عقيدتهم في الإمامة
١٠٧	عقيدتهم في الأئمة
١٠٩	عقيدتهم في التقية
١١١	عقيدتهم في الرجعة

الصفحة	الموضوع
١١٢	عقيدتهم في البداء
١١٤	عقيدتهم في المهديّة والغيبة
١١٨	المطلب السابع: الحكم على الشيعة
١٢٤	الفصل الأول: التمثيل أو التشبيه عند الاثني عشرية
١٢٦	تمهيد
١٣٠	المبحث الأول: إثبات التمثيل أو التشبيه عند المتقدمين
١٣١	الأمر الأول: المراد بقدماء الشيعة أو أوائل الشيعة
١٣٤	المرحلة الأولى: بداية الشيعة
١٣٥	المرحلة الثانية: الغلو في الشيعة
١٣٧	الأمر الثاني: حال الشيعة العقدي من حيث الجملة
١٤٣	أ- ما كان من كتب وأقوال الشيعة والسمات العامة للمذهب الشيعي
٢٨٢	ب- ما كان من كتب أصحاب الفرق والمقالات
٣٠١	المبحث الثاني: موقف المتقدمين من التعطيل
٣٠٢	تمهيد
٣٠٣	أولاً: كتب المشبهة المتقدمين من حيث العموم
٣٠٦	ثانياً: من الكتب المعتمدة عند الشيعة
٣١٥	ثالثاً: كتب الفرق والمقالات والتراجم
٣٢٢	رابعاً: معرفة قولهم عن طريق اللّازم من أقوالهم الأخرى
٣٢٤	الفصل الثاني: التعطيل عند الاثني عشرية
٣٢٦	المبحث الأول: التعطيل عند المتأخرين

الصفحة	الموضوع
٣٢٧	تمهيد
٣٢٨	المطلب الأول: مذهب الشيعة المتأخرين من خلال كتب الفرق والمقالات
٣٣٥	المطلب الثاني: مقالة التعطيل من خلال كتب الشيعة
٣٥٤	المبحث الثاني: موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه
٣٥٥	تمهيد
٣٥٦	موقف المتأخرين من التمثيل والتشبيه
٣٧٣	الخاتمة
٣٧٨	الفهارس
٣٧٩	فهرس الآيات القرآنية
٣٨٤	فهرس الأحاديث النبوية
٣٨٥	فهرس الآثار
٣٨٦	فهرس الأعلام
٣٩٠	فهرس الطوائف والفرق
٣٩١	فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة
٣٩٢	فهرس الأماكن والبلدان
٣٩٣	فهرس الآيات الشعرية
٣٩٤	فهرس المصادر والمراجع
٤١٧	فهرس الموضوعات